

# الفشل بامتياز

نسف أساطير الفشل والنجاح



شيلي دافيدو  
بول ويليامز

دار الخيال

# الفشل بامتياز

نسف أساطير الفشل والنجاح



شيلي دافيدو  
بول ويليامز

والخيال

الفشل بامتياز

**Fail Brilliantly**  
*Shelley Davidow and Paul Williams*

---

**الفشل بامتياز**

---

**شيلي دافيدو**  
**بول ويليامز**

---

ترجمة كمال شريقي

---

Fail Brilliantly

Copyright © 2017 by Shelley Davidow and Paul Williams

All rights reserved.

Published by Familius LLC, [www.familus.com](http://www.familus.com)

---

حقوق الترجمة العربية محفوظة للناسر  
الطبعة الأولى 2021 ©

---

لا يجوز نسخ أي جزء من هذا الكتاب أو إستعماله بأي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الألكترونية أم الميكانيكية؛ بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والاستجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناسر.

---

**ISBN: 978-9953-65-118-7**

---

**دار الخيال**  
DAR AL KHAYAL

المنارة - رأس بيروت - بناية يعقوبيان بلوك B طابق 3  
لبنان تليفاكس: 009611740110

الرمز البريدي: 2036 6308  
مركز الأعمال صندوق بريد 519251  
مدينة الشارقة للنشر المنطقة الحرة  
الشارقة الإمارات العربية المتحدة

Email: [alkhayal@inco.com.lb](mailto:alkhayal@inco.com.lb)  
[www.daralkhayal.com](http://www.daralkhayal.com)



dar.alkhayal\_



dar.alkhayal



dar.alkhayal

شيلي دافيدو بول ويليامز

الفشل بامتياز

نصف أساطير الفشل والنجاح

ترجمة كمال شريقي

# مدخل

## من الأخطاء إلى الكوارث

النتائج غير المتوقعة قوة تصفعنا

---

على الرغم من بَدَلِك أفضل الجهود، وبالرغم من تعلمك من إخفاقاتك السابقة، إلا أنك ما تزال تخفق في تحقيق النجاحات التي حلمت بها. ولطالما طالعتك لافتة «لا تستسلم» في مرآة حمامك، وشعورك الدائم بأنك على دأبك طيلة اليوم وطوال الأسبوع مذ كنت على مقاعد الدراسة. ولكنك تدرك - بعد سلسلة من المصائب غير المتوقعة وسوء الحظ في هذا العالم التنافسي - أن ثمة إمكانية حقيقية وأنت قد وجدتها، الحياة الناجحة التي طالما تصورتها قد لا تصبح واقعًا... والآن ما العمل؟

إننا نعيش في عالم ازدواجي من النجاح والفشل. ولعل كثيرًا منا لا يعتقدون حتى أنهم على الطريق الصحيح حيث يعيشون ويواجهون الشدائد ويبدلون قسارى ما بوسعهم. وغالبًا ما نطن بأنفسنا النجاح أو الإخفاق. ولكننا نظل حبيسي تخيلاتنا. فنحن لسنا في رحلة نحو وجهة النجاح المنشودة! إنما هي رحلة وحسب؛ رغم أن المجتمع يعلمنا كل يوم أن نقيس حيواتنا وفق توقعاتنا وتوقعات الآخرين. ومعظم ذلك ما يزال يسبب لنا الألم منذ أن وضعنا قدمنا لأول مرة في غرفة الصف في المدرسة، إلى وقت إخفاقنا في نيل الوظيفة بعد إجراء المقابلة الخاصة بها، وحتى خسارتنا أموالنا في سوق الأوراق المالية المتهاوي. وهكذا نقضي الوقت في جلد أنفسنا على قرارات بائسة وعلى عدم نجاحنا، كما نقل ذلك لزملائنا ووالدينا وأولادنا.

تقودنا أدمغتنا - نحن الجنس البشري كسائر الثدييات - نحو طعم النجاح. ويمكن لما ندعوه «إخفاقاتنا» أن يشلنا، لأننا موثفون إلى تجنب الأمور التي تسبب لنا الخيبة. ورغم أن المدونين وعلماء النفس يهدرون بهبات الفشل، إلا أنه ما يزال بشكل أساسي سلبية مجتمعية. والعالم يعبس في وجهنا على النحو الخطأ. فنحن نصنّف باستمرار ونُمنح الدرجات والمراتب بناء على أدلة نجاحنا: الإنجاز التعليمي والمكانة

الاجتماعية والسيارة التي نركبها والمال الذي نجنيه. ومع ذلك فإن بنية الفشل جانب معقد وجوهري من وجودنا.

تنتج الإخفاقات الكبيرة غالباً أحداثاً جانبية غير قابلة للقياس: التغيير والتبدلات في المنظور والقيم، حتى لو لم تتحقق الأهداف ذاتها على الإطلاق. بدءاً بالمستكشفين المحكومين بالفشل فالهبوط المحبَط على القمر وحتى الروايات التي قوبلت بالرفض عشرات المرات. ينظر هذا الكتاب إلى الفشل باعتباره جزءاً متكاملًا مع الوجود الإنساني، ويحلل الكثير من الأوهام المحيطة بالفشل والتي نميل للإيمان بها. وي طرح مقارنة جديدة للتعامل مع كافة أنواع الفشل.

## درجات الفشل:

إن إحدى المشكلات الهامة التي نواجهها أننا نستخدم مصطلح الفشل للتغطية؛ الأمر الذي قد يكون مربكاً للغاية. فالإخفاقات ليست جميعها على حد سواء. وعندما نتحدث - في أيامنا هذه - عن الفشل فإننا نجمل كل الأمور معاً. وكأننا الفشل في الاختبار أو مخاطرة العمل لهما نفس القيمة أو الأثر الذي يخلفه التدخل الطبي الفاشل أو إخفاق الطائرة في بلوغ وجهتها. لذلك وبقصد التوضيح قمنا بتقسيم الفشل إلى ثلاثة أنواع عريضة مما يتيح لنا النظر إلى هذه الإخفاقات المزعومة بطرق جديدة.

## إخفاقات الدرجة الأولى:

هي الأكثر تدميراً. وهي الإخفاقات التي ينتج عنها مصائب شاملة وفقدان للحياة. مثال: الطائرات التي تحقّق في بلوغ وجهاتها، والأخطاء الطبية التي تفضي إلى موت أحد الأشخاص أو تعرضه لأذية لا سبيل لإصلاحها، أو الإخفاق في وصول خدمة الطوارئ في الوقت المحدد، أو فشل العدالة الذي ينتج عنه اتهام الشخص الخطأ بالجريمة.

إن لهذه الإخفاقات نتائج لا رجعة فيها ولا تعويض لها، إذ يموت أناس وتتضرر أشياء بشكل لا يقبل الإصلاح. وهنا لا يعود ممكناً لنا أن نمجد هذه الإخفاقات أو أن نشني على مرتكبيها كفاشليين بامتياز. وإذا كنا سنتعلم منها شيئاً فهو أن نمنع وبأي ثمن تكرار حدوث مثل هذه الإخفاقات ثانية وإلى الأبد.

## إخفاقات الدرجة الثانية:

وهي الإخفاقات التي تحدث عند تحديد أهداف سامية ولكنها لا تتحقق. مثال: مهمة المركبة «أبولو 13» (Apollo 13) إلى القمر والتي أجهضت، ولكنها لم تؤدِّ إلى خسائر في الأرواح. أو رحلة «إرنست شاكلتون» (Ernest Shackleton) 1914 - 1916 عبر القارة القطبية الجنوبية المحكومة بالفشل - جميع الرجال الثمانية والعشرون بقوا أحياء رغم فقدهم كل شيء وعدم تحقيق هدفهم في عبور القارة على الإطلاق. إن إخفاقات الدرجة الثانية هذه هي رحلات مغامرة أو رحلات علمية تم توقع نتيجة

لها، إلا أن ما يحدث هو نتيجة أخرى غير متوقعة. هي إخفاقات الفنانين والباحثين والكتّاب وأي شخص يسعى لخلق شيء لم يسبق أن وجد من قبل.

تُخَلَّف هذه الإخفاقات - خلافاً لسابقتها من الدرجة الأولى - إبداعاتٍ وإسهاماتٍ غير متوقعة وأفكاراً جديدة وتؤدي إلى النمو الشخصي والتطور، وإلى فوائدٍ خفية ودروس من نوع لا يمكن تحقيقه بدون اجتياز أفسى وأصعب الظروف. إن هذه الإخفاقات قابلة للثناء عليها لاحتوائها قيمة جوهرية، ولكونها محفزات للتغيير وجالبة للمعارف الجديدة القيمة للعالم، أضف إلى أنها تستحق التمجيد. وفي حقيقة الأمر لا يجدر حتى أن تسمى هذه الإخفاقات «فشلاً» لأنها تتجاوز كافة التعريفات الموضوعية بعناية لهذه الكلمة.

### إخفاقات الدرجة الثالثة:

هي الإخفاقات التي نقرر نحن أنها كذلك. ومن الواضح أنها ذاتية واستجاباتنا لها كثيراً ما تكون متعلقة بالبيولوجيا والفيزيولوجيا أكثر منها بالفشل الفعلي نفسه. فهي الإخفاق في الاختبار، أو الفشل في دخول الفرع الجامعي الذي نختاره، أو الفشل في تحقيق المال الكافي، أو في خلق العمل الناجح، أو في أن نكون الكاتب الناجح، أو في أن نحقق الأهداف المحددة التي وضعناها، أو التي وضعها رؤساؤنا. هذه الإخفاقات تجعلنا في الغالب نشعر شعوراً فظيماً تجاه أنفسنا. ولا نكون قادرين مراراً على فصل أنفسنا وقيمنا الخاصة عن هذه الإخفاقات.

إن لهذه الإخفاقات مقاييس مفروضة عشوائياً من قبلنا. والخط الفاصل بين ما يسمى الاجتياز أو النجاح وبين الفشل مرسوم بشكل غريب حيثما نعتقد أننا لن رسمه. فعندما نضع الأهداف بأنفسنا - الشخصية والمالية والتعليمية - نخلق بدون وعي منا نظاماً من الإخفاقات الممكنة. ولذلك يكون من الأفضل أن نفهم المجازفة الكامنة في السعي إلى النجاح.

يشير «مالكولم غلادول» (Malcolm Gladwell) في كتابه «القيم المتطرفة» (Outliers) بدقة إلى أن الناس والرياضيين والمقاولين الاجتماعيين ورجال الأعمال الذين ينجحون وفق تعريفاتنا المادية للنجاح يقومون بالفعل الاجتهاد - ولكن هناك في كل حالة يعاينها استراحة للحظ أو لقاء بفرصة أدت إلى أن يؤتي الجِدُّ ثماره. ويوضح كيف أن هناك أولئك العباقرة الذين لم يحصلوا على استراحة الحظ وما يزالون يعيشون حياتهم غير المميزة رغم بريقهم واجتهادهم. وكيف أن أفكارهم المذهلة وابتكاراتهم لم ترَ النور أو أنها لم تفض إلى نجاح ملموس. إنها حقيقة: إن سوء الحظ وتقلبات القدر قد منعا الكثير من الموهوبين من أن يُجَزَّوا لقاء جهودهم، سواء مالياً أو تقديرياً. ويمكن لمعظمنا على الأرجح أن يتعرفوا ذلك على نحو ما.

هناك عنصر الفرصة في كل ما يسمى «بالنجاح». وأولئك الذين يؤمنون منا أننا نستطيع تحقيق أي شيء إذا ما وضعنا عقلنا فيه، عليهم أن يفهموا أن الحياة زاخرة بالمفاجآت التي قد تجعل حصيلة رحلتنا حصيلة غير متوقعة نهائياً. إذن ماذا يفعل أولئك الذين كرسوا منا عشرة آلاف ساعة عمل لتحقيق أهدافنا. ولكنهم لا يجزون ما يعادل هذه الجهود؟

يتطلب التعامل مع هذه الإخفاقات إعادةً كلية للتفكير في مفهوم الفشل - ومفهوم النجاح طبعاً.

الحياة هي الفشل. إن رحلتنا الكاملة في هذا الكون والبالغة أربعة بليون من السنوات مكونة من كافة أنواع المحاولات والأخطاء. فحيواتنا حافلة بالسقطات والعثرات والتناج غير المتوقعة، والتي لا تؤدي غالباً إلى نجاح من أي نوع كان.

نحن نؤمن في هذا الكتاب أن الفشل يقع في ثلاثة أنواع عريضة، ندرس ونتحرى كيف تلعب دورها في هذا العالم. ونعاين أثر الفشل على حيواتنا الخاصة. ونوضح كيف أن بوسعنا فصل أنفسنا عن المفاهيم التي تسبب آلاماً غير ضرورية من خلال تزويد القراء بطرق ثوروية للتفكير بالفشل.

## الفصل الأول

### أسلافنا ما قبل التاريخ والبيولوجيا العصبية للفشل

عندما نفكر بالنجاح والفشل فإننا نكون محكومين عادةً بمجال محدد للغاية: حول سعي الإنسان لبلوغ أعلى الكوم أو الهرم، أو بشكل أوضح سعيه للبقاء. فكل ما يتعلق ببقائنا يترك لدينا خبرةً من آثار الشعور المحبب من السيروتونين والدوبامين الأندروفينات والأوكسيتوسين. فيما سيجعلنا ما قد يبدو تهديدًا لهذا البقاء نشعر بالتوتر والإحباط وعدم الرضى والسرور، وسيترك لدينا بالتالي احترامًا متدنيًا لذواتنا. فنحن نريد البقاء ونريد أن نتج وننمو. ونحن في الحقيقة نسل أجيال من البشر تمتعت بالذكاء الكافي لتستمر في البقاء.<sup>(1)</sup>

لنتصور أحد أسلافنا ما قبل التاريخ يتجول في السافانا الإفريقية وهو لم يأكل منذ عدة أيام. إنه يسعى لصيد ظبي جريح كان قد أصابه بسهمه وهو الآن يتبع آثاره. إنه متعب وقد نال منه الجوع والعطش وهو على مسير يوم كامل عن بيته. أولاده وأمهم جياح وهو لا يقوى عملياً على متابعة ما يفعله أطول من ذلك لكنه ما زال يجد في سعيه. وفجأة يرى حيوانه في بقعة جرداء من أي شجر فتتملكه النشوة ويدرك الآن أنه سيحصل وعائلته على الطعام الوفير لعدة أيام. فعمله الجاد ومثابرته عليه قد أتى ثماره. وهو يشعر بأهميته وبالنجاح وبالغ الارتياح.

لقد تغيرت ظروفنا وتطورت أدمغتنا عبر آلاف السنين. لكن ثمة خصائص أساسية باقية، وهي مطابقة إلى حد بعيد لخصائص أسلافنا ما قبل التاريخ. فنجد في عالمنا الحديث وكيلة عقارية خلفاً لسلفها القديم. فهي لم تبع شيئاً لشهور. والشاري الممكن لمنزل في المنطقة يبلغ سعره مليون دولار قد أبدى اهتمامه لكنه لم يبادر بعد إلى شرائه. إنها منذ أسابيع تعرض المنزل وتقدم المعلومات للزبائن، محافظة على هدوئها عندما يطلبون طلبات غير منطقية. وتعاود الاتصال بهم كلما بدا لها أن اهتمامهم بدأ يفتر. وأخيراً وبعد كل ذلك تجدهم أمامها يقدمون عرضهم نقداً، ويتممون صفقة المنزل في الوقت الذي لا تكاد تصدق ذلك. وتتماماً

كسلفها قبل التاريخ - الذي وجد طعامه بعد أيام من الجوع - تملكها النشوة فعائلتها ستأكل وهي ستصلح سيارتها وستذهب في إجازة. وبوسعها أيضًا أن تزور والديها المتعبين البعيدين عنها كثيرًا. إنها تشعر بالنجاح تمامًا فهي على قيد البقاء.

إن أدمغتنا مضبوطة بشكل مرهف على النجاح. ونحن الآن نساوي بين الدرجات العالية والمال والحصول على الكثير من الأشياء بالبقاء. وذلك صحيح إلى حد ما. فنحن لم نعد نجوب السهول لنصيد طعامنا كما لم نعد نسكن الكهوف. ونحن كذلك بحاجة إلى مقدار من المال لنحصل على سقف فوق رؤوسنا وطعام على موائدنا. لكننا نظل نرفع حدودنا لأعلى وأعلى شاعرين أننا نستحق المزيد فالمزيد والأفضل فالأفضل. ونحن نضبط أنفسنا على الفشل عندما نتوقف عن ارتقاء سلم النجاح المادي، كالحصول على بيوت أكبر وسيارات أحدث والمزيد من الأشياء. ومنذ اللحظة التي يبدأ فيها أولادنا بالتنفس نبدأ بتطبيق الضغط عليهم من أجل أن ينجزوا ويواصلوا صعود السلم الذي خلقناه، كما نفعل عندما نوبخهم على نتائجهم التعليمية. ونربط دون أن ندري أيضًا نتائجهم هذه بصراع البقاء. فالحصول على العلامة الكاملة في اختبار الحروف في باكورة الحياة الدراسية بداية تحميلهم عبء السعي للبقاء. وتصبح القضية توترًا من نوع الحياة أو الموت بالنسبة لنا ولأولادنا. ونؤمن بشكل ما أن هذا سيكون منبئًا عما إذا كانوا سيصبحون من الناجين في هذا العالم أم لا.

### تأثير الفشل على الحيوانات

وفقا لعالم البيولوجيا العصبية والمؤلفة «لوريتا غراتسيانو برونينغ» (Loretta Graziano Breuning) فإن الأغلبية الساحقة من الحيوانات تعاني خيبة الأمل أقل مما يفعل الإنسان. لأنها لا تعيش على توقعات أن الأمور ستتغير<sup>(2)</sup>. لنقل إنك نمسّ وأن مفترسًا يأكل ولدك. بالتأكيد ستكون مفطور القلب وحزينًا وربما متوترًا وخائفًا من تلك المفترسات. لكنك لن تطور نظريات مدروسة حول عدم الثقة بالنفس أو الكراهية لأنك فشلت في حماية صغيرك. إن عدم ثقتنا بالنفس كبشر ونظريات الفشل في العالم هي إجهادات مضافة تجعل الحياة بائسة بالنسبة للكثيرين.

إن لدينا قدرة فريدة في تصور معاناة الآخرين والعيش فيها. وتتيح لنا الخلايا العصبية العاكسة - كالمراة - أن نشعر بألم المخلوقات الحية الأخرى التي تكابد الألم. وبسبب التعاطف أو التقمص العاطفي لنظرائنا البشر والأحياء الأخرى فإن كثيرًا منا يودون أن يتخيلوا عالمًا أكثر سلامًا. إن بوسعنا أن نرسم عالمًا لا نرمي فيه القنابل على بعضنا بعضًا أو على أبناء بعضنا البعض. ولطالما رأينا هذه الخصال الحميدة في أناس كثيرين جدًا، لدرجة أصبح لدينا الأساس والقاعدة لنتمنى أو حتى لتتوقع أن يتصرف الناس وفق سلوك حضاري وأخلاقي، فلا يأخذوا أشياء الآخرين أو بلدانهم أو نطفهم أو ذهبهم. وعندما لا يحدث ذلك وعندما تحبط توقعاتنا حول كيفية حدوث الأمور ننهار. عندما نتوقع أن يجتاز أولادنا اختبارات القيادة ولا يفعلون نشعر أننا فشلنا كوالدين أو أن أبناءنا فشلوا. وهناك من الآباء من يعاملون أولادهم في لعبة كرة القدم على أنها لعبة حياة أو موت، حيث يرتبط الفوز بشدة بتقدير الذات للأبناء والآباء على حد سواء. وإذا ما خسر الأبناء فإن والديهم يجعلونهم يشعرون أنهم فشلوا. في الحقيقة يواصل الآباء والأمهات الشعور بأنفسهم على أنهم فشلوا.

## لكن نحن من اخترع هذا النظام!

لقد ربط أولئك الآباء غريزة حب البقاء الأزلية لديهم بطفل يلعب كرة القدم. ولذلك أدى الإخفاق في تحقيق الفوز إلى كارثة عظيمة لا تعدل حقيقتها.

تعاني الثدييات الأخرى من مشكلات كثيرة. فهي تتألم وربما تتوتر لكنها لا تتوفر لديها عملية مفصلة لخلق الشك بالنفس. تتوسع «برونينغ» حول هذه الفكرة في كتابها «عادات المخ السعيد» (Habits of a Happy Brain) باقتباس يمكن أن يخدمنا جيداً في ظروف كثيرة من حياتنا:

**«عندما يفقد قرودٌ موزةً لصالح منافسه فإنه يشعر بالانزعاج. لكنه لا يوسع المشكلة بالتفكير فيها مرةً بعد أخرى. بل إنه يبحث عن موزةٍ أخرى، وينتهي به الأمر بالشعور بالمكافأة بدلاً من الانزعاج. أما الناس إنهم يستخدمون خلاياهم العصبية الإضافية لبناء نظريات حول الموز، وينتهي الأمر بهم بإنشاء الألم».** (3)

فخسارة موزة واحدة ليست بالأمر الجلل. لكن تقترح الدراسة أنه مع مرور الزمن فإن أثر الخسارة يعتدل في داخلنا. وعندما يغدو أمراً مزمناً فإن مستوى التوتر يرتفع. فإذا كان القرود يخسر موزته دائماً لصالح قرودٍ أقوى، وإذا تعرض للمضايقة والمطاردة المستمرة من أجل موزته فإن هذا سيولد آثاراً فيزيولوجية بعيدة المدى.

القرود الذي يفلح في سرقة الموزة الناضجة من منافسه هو القرود الفائز بينما يُسحق الخاسر. ويشعر الفائز باندفاع في التستوستيرون بينما يصيب الخاسر هبوط خطر في المعنويات. ثم يشعر الفائز بزيادة في الثقة والزهو مما قد يجعله يشعر برغبة في المضي قدماً وكسب المزيد. وفي الحقيقة إذا قبل تحدي خصماً أقوى منه للقتال فمن المحتمل أنه سيفوز لأن نجاحه قد أعدّه لذلك. أما الخاسر الذي يقاسي إحباط الهزيمة فمن المحتمل أنه سيخسر مجدداً في المرة القادمة. (4)

تُخبر «الرئيسيات البشرية» (human primates) نفس الاندفاع في التستوستيرون أو الأندروفينات أو الدوبامين عندما ننجح في مهام صغيرة كما تفعل «الرئيسيات غير البشرية» (nonhuman primates). والكيفية التي ينتهي بها الأمر في حياتنا مثيرة للانتباه. فنحن وبعد كل اعتبار لا نختلف كثيراً عن أصدقائنا من الحيوانات الرئيسية. يظهر عالم الأعصاب «روبرت سابولسكي» (Robert Sapolsky) في كتابه (Why Zebras Don't Get Ulcers) «لماذا لا تصاب الحمر الوحشية بالقرحة»، أن مكاتنا الاجتماعية والاقتصادية ترتبط ارتباطاً مباشراً بصحتنا. كما أنه يظهر أنه وفي عالم الرئيسيات، على سبيل المثال، تتمتع قرود الرباح ذات الرتب العالية باستجابة توتر أكثر صحياً وتعاني من كافة أنواع المشكلات الصحية على نحو أقل من جميع أنواع القضايا الصحية من فردة الرباح ذات الرتب الدنيا. (5) ولهذا علاقة بمقدار تعرض قرود الرباح الأدنى مرتبة للمضايقة والإزعاج والهجوم. تتمتع قرود الرباح والرئيسيات الأخرى التي أغضبتها القرود الأخرى والتي تحمل على الشعور بالدونية بمستويات كورتيزول وستيرويد أعلى. ولذلك فإنها تعيش حياة أقصر. الفرق بين الرئيسيات غير البشرية وبيننا غير موجود تقريباً بمعنى واحد: فنحن نعيش لفترة أطول كلما شعرنا بالمزيد من النجاح. فالشعور بالفقر والدونية مؤشر على فترة

حياة أقصر.<sup>(6)</sup> لكن ثمة فرق هائل بيننا بمعنى آخر: فنحن ككائناتٍ بشريةٍ مفكرةٍ تتمتع بالقدرة على التخيل والإسقاط والمقارنة، وتتوفر لدينا السيطرة على استجاباتنا للعالم.

من المحتمل أن هذا هو واحد من أكثر الكشوفات إثارة للاهتمام، لأنه يعني أن الواقع الخارجي يتمتع بتأثير ملموس على صحتنا. فقدرتنا على توليد عامة إيجابية في اللحظة التي ينهار العالم فوق رؤوسنا هو أمر يقارب المستحيل. ولكن إذا علمنا أن استجابتنا لظروفنا تلعب دورًا هامًا في صحتنا الإجمالية، فإن بإمكاننا أن نبذل ما بوسعنا لنكون لطفاء مع أنفسنا، وأن نقوم بخطوات باتجاه تخفيف التوترات قدر المستطاع، ولنفهم أن حريتنا الوحيدة تكمن أحيانًا في كيفية ردود أفعالنا تجاه الأمور التي تواجهنا بها الحياة.

### تغيير الطريقة التي ننظر بها إلى الفشل

تكمن مشكلة فهمنا للفشل: في أن شعورنا وكأننا قد فشلنا في هرميتنا المستحثة اجتماعيًا لما «هو مهم» يخلف آثارًا فيزيولوجية يمكن أن تؤثر سلبًا في حياتنا، ويمكنها حتى أن تقصرها. يمكننا تطبيق هذا على سائر إخفاقات الدرجة الثالثة: أشعر بالسوء لأنني أخفقت في امتحان الرياضيات. أشعر بالسوء لأنني أخفقت في الحصول على ترقية في العمل. أشعر وكأنني شخصٌ فاشل لأنني عملت بجد كل يوم من أيام حياتي وما أزال أركب سيارتي تويوتا عمرها عشر سنوات وليس بمقدوري شراء سيارة أخرى حديثة. لكن ليس هذا هو الحال مع معظم حالات إخفاق الدرجة الثانية، لأنه يكون في كثير من الأحيان معروفًا أن الرحلة محفوفة بالمخاطر، وحيث يكون الفشل متوقعًا وحيث توفر المغامرة دروسًا ورؤى قيمة لا تترك المغامرين يشعرون بالانسحاق.

مثال: في عام 2016 قرر مقاولان شابان من شركتين مختلفتين جدًا، إيلون ماسك المدير التنفيذي لشركة (SpaceX) ومارك زوكربرج من شركة فايسبوك (Facebook) أن يعملوا معًا ويوحدا موارهما ويطلقا قمرًا صناعيًا في قاعدة كيب كانيفرال. وكانت لديها آمال عظيمة بأن مشروعها سوف يجلب الإنترنت إلى القرى النائية في إفريقيا. ولكن بينما كانا يشاهدان، انفجر الصاروخ «فالكون 9» (Falcon9) الذي كان يبلغ وزنه (604 طن) والذي بلغت تكلفته عدة ملايين من الدولارات على منصة الإطلاق ودمر القمر الصناعي الذي كان على متنه. كان من الوارد أن يشعرا أن هذا الحادث فشل شخصي لهما. لكنها تعاملتا مع الوضع على أن الفشل جزء من عملية. روادهما الأمل باكتشاف مكن الخلل على أمل ألا يتكرر.<sup>(7)</sup>

تتولد المشاعر التي مفادها أننا أقل جدارة لأننا أذكياء بما يكفي لاختراع فكرة الفشل. فإذا كان بمقدورنا أن نضع نظرياتنا الخاصة المعقدة للفشل والنجاح على أساس المقارنة؛ فنحن قادرون بالتأكيد على إعادة تصميم مفاهيمنا.

كانت «مارج دينفر» (Marge Denver)<sup>(8)</sup>، وهي معلمة مدرسة في فلوريدا لديها عشرون سنة من الخبرة في رصيدها تعي تمام الوعي شعورًا «الشعور بالدونية» وآثاره السلبية على صحتها. فعلى مدار الثمانية عشر شهرًا الماضية، كان رئيسها المباشر يتحرش بها، ويقوض مكانتها بمهارة. ففي حين كانت تحب عملها قبل ذلك، بدأت فجأة تخاف من كل يوم، ومن الاجتماعات، ومن مصادفة الرجل الذي يتحرش بها. ثم تم

تعيين مدير جديد في المدرسة، وتوافق نهجه الاستبدادي بالضبط مع نهج رئيسها المباشر. الآن أصبح لديها رجلان يتنمران عليها عند أدنى حركة. ولاحظت أن مستوى التوتر لديها كان آخذًا بالازدياد وبدأت صحتها تتدهور. راودتها فكرة مقاضاتها بتهمة التحرش، لكنها أدركت أن هذا سينجم عنه مستويات أعلى من التوتر بالنسبة لها وعلى مدى فترة طويلة من الزمن.

وفي لحظة واحدة قررت أن التكلفة المترتبة على سعادتها الشخصية ترجح كفة الميزان. فاستقالت على الفور وبدأت بحثًا عن وظيفة جديدة استغرق وقتًا طويلًا، وشعرت أن الضغط الذي تعاني منه كونها عاطلة عن العمل لفترة من الوقت كان أقل إجهادًا من خوض معركة مع رؤسائها المتحيزين جنسيًا. وأدركت أن الشعور بأنها موضع تحرش كان أكثر ضررًا من البحث بشكل استباقي عن وظيفة ملائمة أكثر، وربما سيؤثر تأثيرًا ملموسًا على متوسط عمرها المتوقع. فلم تعد تشعر على أنها شخص فاشل، بل شعرت أنها شخص يحمل وكالة. لقد حددت خيارها بناء على تحليل المنفعة - التكلفة الشخصية للحالة - وقررت أن كلفة البقاء كانت أعلى كثيرًا من كلفة المغادرة العاطفية والفيزيولوجية؛ وراهننت على أن سلوك الطريق الذي يحمل نتائج إيجابية أكثر بالنسبة لها في تلك اللحظة رغم المجازفة التي كانت تقدم عليها.

قد يبدو هذا فشلًا: استقالت مارج من عملها، وأخفقت في جعل الرجلين المسؤولين عن بؤسها عرضة للمحاسبة. وقد يكون نجاحًا حيث زالت حالة قلقها في الحال. كانت مشاعرها بتدني قيمة الذات أمرًا ظرفيًا بالكامل، ولذلك تشعر الآن بتمكينها وتحررها واستعدادها لتحديد جديد ومرحلة جديدة.

يمكن لشعورنا بالفشل أن يسبب لنا الكرب وطريقة تفكيرنا في حيواتنا والسياس الذي نخلقه لأنفسنا يولد تصرفاتنا ومواقفنا تجاه النتائج غير المتوقعة. فعندما نخسر أشياء نحتاجها أو نريدها تتشكل لدينا في الحال استجابة فيزيولوجية وعاطفية ونفسية - رد فعل غريزي تجاه الخسارة أو الافتقار للإنجاز. ولكن ها هو مكنم القوة المؤثرة في حيواتنا: فأفكارنا المتعلقة بعدم حصولنا على ما نريد، واستجابتنا للنتائج غير المتوقعة ممكنة التغيير. وستستجيب مشاعرنا وأجسامنا تبعًا لذلك.

باعتبارنا كائنات واعية ومدركة ذاتيًا وقادرين على تغيير عقولنا وأفكارنا، فإن بمقدورنا أن نقرر ما إذا كنا سنبرح أنفسنا ضربًا على فقداننا الموزة أو صفقة العمل أو الوظيفة، أم إن كنا سنمضي قدمًا ونبحث عن موزة أخرى أو صفقة عمل أو وظيفة أخرى.

يمكننا عن طريق الاعتراف بأن طبيعتنا المغامرة وبحثنا عن البقاء متجذرين عميقًا في رغبتنا بالنجاح المادي، النظر إلى الفشل عبر عدسة صافية: إننا كنوع لم نتغير كثيرًا في السنوات الأربعين ألف الماضية، لكن تغيرت حياتنا كليًا. فنحن نرغب بأشياء تجعلنا نشعر بالسلامة وتعدنا بالبقاء. وندخر المال في حساباتنا المصرفية ليوم عصيب. ولكننا وفي أحيان كثيرة كلما امتلكننا المزيد من المال كلما ظننا أننا نحتاج المزيد. وبالنسبة لغالبية الناس تتغير قواعد اللعبة باستمرار، فهناك مستويات وطرق شتى لكي نونتنا في هذا العالم، وحاجاتنا البدنية والمادية إنما تمثل جانبًا فحسب. الشعور بالأمان المادي هو حالة كينونة فردية تتفاوت على نحو كبير بين مختلف الأفراد. وليس ثمة تحديد موضوعي للمعيار الذي يمكننا استخدامه لقياس ما يدعى النجاح أو الفشل لشخص ما.

نحن من يضع هذه القياسات والمعايير: فنقرر أن شخصًا يقود سيارة أودي هو نوعًا ما أكثر نجاحًا، أو أنه ربما أكثر تطورًا وقدرة على البقاء من شخص آخر يقود سيارة تويوتا عمرها عشر سنوات. ولكن ذلك

هو الحال لأننا استبدلنا الوظيفة التطورية البيولوجية - الدافع للبقاء - بالأغراض المادية، وجعلنا سيارة أودي نوعاً ما رمزاً لذلك النجاح.

لننظر إلى السيناريو الافتراضي الذي يمثل شخصاً يعرفه معظمنا. تصوروا أن سائق تلك السيارة الفارهة «كايان» قلق ومضطرب. وأنه سيعاني من نوبة قلبية شديدة خلال يومين. وهو لا يشعر أنه على ما يرام. لقد تشاجر مع زوجته كما أن أولاده لا يبدو عليهم الامتنان. وهو يشعر بالفقر مقارنة مع «بارني» - وهو صديق مدرسة قديم اخترع جهازاً للاتصال عن بعد وجنى الملايين طوال السنوات السبع المنصرمة. يتحسر «كايان» على عدم مشاركة هذا الشخص في العمل منذ عشرة أعوام عندما واتته الفرصة لذلك. ويشعر أنه ارتكب خطأ فادحاً في حكمه آنذاك، وأنه يدفع ثمن غلطته في كل يوم منذ نجاح «بارني» الهائل. شرايين «كايان» مسدودة وضغط دمه مرتفع. لقد فقد اهتمامه بكل شيء، ويستطيع التركيز فقط على حقيقة أنه لم يرق في حياته إلى مستوى توقعاته حول ذاته. ويشعر أنه فاشل وقد ترسخ ذلك في سلوكه وأصبح أساساً يستند إليه تفكيره في كل دقيقة من يومه. عندما تحرج كان هدفه ببساطة أن يحقق ثروة مادية كافية للاستمرار والبقاء ولعيش حياة سعيدة طويلة. لكن رويداً رويداً لم تعد الأمور في نصابها. فلو لم يتم سلب دافعه بتغيير قواعد اللعبة ومقارنته نفسه بالآخرين، لما كان يجلس الآن أمام إشارة المرور في سنه الثانية والأربعين على بعد ثمانية وأربعين ساعة من نوبة قلبية.

عندما ننظر إلى ما يحدث بعقولنا - وحسب نمط تفكير كايان - يمكننا بسهولة أن نرى أنه ربما لو ركز على أشياء أخرى حتى هذه النقطة - نعيم بالحياة وحصل على المتعة وحرص على علاقاته وصحته وامتلك منظوراً وعلاقة مختلفة قليلاً بما يخص أهدافه المادية - لأمكن أن تمضي الأمور على نحو مختلف جداً. ففي كل يوم عاشه حتى هذه اللحظة كانت تتوفر لديه القوة لتغيير صورته: لقد كان يملك بالفعل ما يكفيه للاستمرار والبقاء، لكنه كان يجري مقارنة مستمرة مع زميل صفه، ولم يفهم أنه كان بإمكانه تغيير الاستجابات العاطفية والفيزيولوجية التي تولدت لديه عندما لم يحصل على ما يريد.

بعبارة أساسية: حتى أنه لم يخسر الموز؛ بل رأى فقط أن شخصاً آخر يمتلك موزاً أكثر منه. وهذا ما جعله غير راضٍ عن كل ما لديه. وبفكرة واحدة، كان يمكن أن يزيل ما يسمى بسلم النجاح الذي أنشأه.

إن إزالة السلام التصورية والهرمية التسلسلية هو قدرة بشرية على نحو فريد. لقد خلقنا حقيقة غير مرئية تستند إلى غريزة تطويرية نؤمن بها الآن. لقد خلقنا القصة ونؤمن الآن فعلاً برموز النجاح والفشل التي تولدها البنية الإعلامية والمجتمعية. وإن تنحينا جانباً يمكننا تغيير اختبارنا للواقع بأفكارنا. فإذا كنا قد امتلنا القدرة على خلق هذه السلام فإننا نملك القدرة على إزالتها. ونستطيع أن نقرر ما له قيمة وما نثمناه. ويمكننا أن نقرر عدم الإيمان بتصور بعض الناس كخاسرين وآخرين كرابحين. وقد تكون ارتدادات ذلك بعيدة الأثر.

الشعور بأنك خاسر خطير، والنتيجة الفيزيولوجية لـ «أثر الخاسر» قد تكون عميقة لدرجة أنها يمكن أن تقرب آجالنا. والشعور بالتفاهة - أو التندر أو التحامل - له ذات التأثير علينا كما على قرد الرياح. إذ ترتفع مستويات الستيرويد ومن الجائز أن نعاني من ارتفاع ضغط الدم واعتلالات فورية أخرى مرتبطة بالإجهاد والتوتر.

تؤثر «مواكبة الجيران» هذه على الناس في كلا البلدان الفقيرة والغنية. ويبدو أنه من حيث الشعور بالسعادة والثراء، فإنه ليس للدخل الفعلي أثرًا مساويًا للدخل النسبي. فأن نكون محاطين بجيران أثرى وأكثر نفوذًا وقدرة يجعلنا نشعر أننا لا نستطيع المجازاة بغض النظر عما إذا كنا نجني \$3000 أو \$3.000.000 سنويًا. وهذا الجانب التنافسي المقارن من حيواتنا هو أمرٌ يمكن إدراجه والتحكم فيه. فالمكون الفيزيولوجي والعاطفي للشعور بالتفاهة والذي ينتمي إلينا وإلى الرئيسيات غير البشرية هو قوة جبارة. ونحن غالبًا ما نخلق لأنفسنا حالات مثلها فعل «كايان» نتخيل فيها ذاتنا أدنى قيمة ولا نرى فيها سعادة على الإطلاق، لأن ثمة دومًا من سيكون أغنى مادياً وأنجح منا.

باعتبارنا كائنات بشرية مكافحة وتسعى على الدوام للتقدم دومًا بطريقة أو بأخرى وغالبًا ما يتم ذلك تحت ضغط الإنجاز الذي يمارسه علينا رؤساؤنا الذين يطالبون بنتائج محددة، ونرزع تحت أعباء التوتر المالي بسبب نفقات ومصائب غير متوقعة، تجعلنا نشعر بالانزعاج. فإننا يمكن أن نجد أنفسنا في إحدى الممرات التالية:

1. نستسلم. نعتقد أننا فشلنا أو أننا لسنا على قدر المهمة. فنهرب إلى الشراب أو المخدرات أو السلوكيات المدمرة. نشعر بالخسارة وبأننا متهينون لحدوث الأمر الأسوأ القادم، ولأن يزيد من هزيمتنا. فترتفع مستويات التوتر لدينا ويرتفع ضغط دمنا. ويعتمل في داخلنا شعور الخاسر وتزيد مجازفتنا بعيش حياة أقصر.

2. ننظر إلى النتيجة كمحفز. وبعد أن تتم تغذينا بالرغبة والالتزام بعدم السماح لهذا الأمر أن يثبّط من عزيمتنا، نعود إلى العالم بقوة وعزيمة على المواصلة بغض النظر عما يستغرقه ذلك منا.

3. نتقبل عدم اليقين المطلق الذي يحيط بكل مغامرة نخوضها في حياتنا. ونفهم أن الواجهات تتغير باستمرار، وأن الحياة سترمي إلينا بحوادث غير متوقعة. وهكذا نتعلم تغيير الاتجاه، وأفكارنا وتبدل مفاهيمنا بصدد حالة ما، وإعادة تقويم حيواتنا وأوضاعنا الحاضرة، دون حكم على أنفسنا أو قياس جدارتنا بالنجاح أو الفشل.

الفكرة هي: إذا كنا أذكياء بالقدر الكافي لنخلق فكرة الفشل في المقام الأول، وإذا توقف بقاؤنا إلى حدّ ما على ألا نشعر شعور الخاسر؛ إذن فنحن نتمتع بالذكاء الكافي لمحو الفكرة الشائعة حول الفشل - مفهوم سنستعرضه بالتفصيل لاحقًا عندما نأتي على لغة الفشل والقصص التي نرويها لأنفسنا وفلسفتنا حول الفشل - وكيف يمكن أن نبدأ إعادة كتابة رواياتنا وتبديل وجهة نظرنا.

### أفكار مهمة:

- تقوم أفكارنا حول النجاح والفشل على أساس غريزة البقاء الرئيسية.
- الرئيسيات الأدنى رتبة في عالم الحيوان ذات مستويات توتر أعلى وتعيش حياة أقصر في الغالب.
- الشعور بأنك خاسر يمكن أن يزيد مستوى التوتر وأن يؤثر على الصحة.

- في معظم الأحيان نحن من يبتكر فكرة الفشل الشخصي بآثارها التدميرية.
- نتمتع بالذكاء الكافي التي تمكننا من محور فكرة الفشل الشخصي المزعوم، ومن العيش حياة أطول وأسعد.

## الفصل الثاني

### إخفاقات الدرجة الأولى

#### كوارث السنوات المائة الماضية

ادخلوا أي متجر لبيع الكتب وستجدون رفوفاً من الكتب عن كيفية معانقة الفشل، إفضل أكثر، إفضل بشكل أفضل، تعلم من الفشل، اجعل الفشل صديقك، اكتشف قيمة الفشل. جميعها كتبٌ قائمة على فكرة أنك إذا لم تكن تفشل فأنت بشكل ما لا تبذل الجهد الكافي أو ما شابه. ولكن فشلاً من هذا النوع ينتمي إلى تصنيف محدد. فالكلمة نفسها - كما سنرى - إشكالية لأن الإخفاقات ليست جميعها متساوية.

ليست إخفاقات الدرجة الأولى موضوع هذه الكتب، وليست ما نريد أن نعيشه بعد الآن. لكنها تحدث دائماً وستظل تحدث. يمكن أن نتعلم منها، لكن ثمة درس واحد محدد: ماذا نفعل كي نتجنب هذا في المستقبل. وفائدة هذه الإخفاقات - إن كان ثمة فوائد - أنها تنتمي لأجيال ناجحة ستأتي بعدنا.

المسلسل التلفزيوني «تحقيقات حوادث الطيران» (Air Crash Investigations)<sup>(1)</sup> هو برنامج قائم على هذا الموضوع فقط: ما هي الأخطاء التي أدت إلى الكارثة؟ وما الذي يجب فعله لكيلا يقع هذا مرة أخرى؟ التفاصيل غير مهمة والفكرة مطبقة لدى كافة لجان التحقيق: ما الخطأ الذي حدث؟ هل يمكننا تجنب وقوع هذا الحادث بالتحديد مرة أخرى في المستقبل؟

قد يكون هذا ذا قيمة، ولكن سيكون علينا في بعض الأحيان أن نسأل: هل كان من الممكن تجنب حدوث ذلك في البداية؟ هل تستحق الدروس المستفادة القيمة التي يدفعها البعض مقابلها؟ في الحقيقة: هل من الممكن أصلاً أن نقول بأن ما نحصله من إخفاقات الدرجة الأولى يستحق ثمنه؟

#### إخفاقات شهيرة من الدرجة الأولى

لنستعرض بعض هذه الإخفاقات خلال المائة سنة الماضية. إنها كوارث. تتضمن إخفاقات القرن العشرين من الدرجة الأولى حوادث تتعلق بالوقاية، ينطوي الكثير منها على تدمير سفن وطائرات ومبانٍ مترافقا مع خسارة كبيرة في الأرواح البشرية.

صدمت السفينة التي كانت تدعى «التيتانيك التي لا تغرق» كتلة جليدية وأخذت تغوص إلى الأعماق في عام 1912. اتضح أن الكسر الهش لكل من المسامير وهيكل السفينة الصلب الذي نجم عن ارتفاع درجة حرارة التجمد، ومحتوى الكبريت العالي، والتصادم القوي أدى إلى ثقب السفينة العملاقة ثم انشطارها. إذ أدى الخلل في تصميم المقصورات المانعة لتسرب الماء المتمثل في كونها مانعة لتسرب الماء أفقيًا فقط، إلى امتلائها بسرعة بالمياه، وإلى تأرجح، ومن ثم غرق السفينة أسرع مما لو لم يكن هناك مقصورات على الإطلاق، الأمر الذي كان من شأنه أن يمكن من انتشار المياه، وترك السفينة في مستوى أفقي، وربما وفر للركاب المزيد من الوقت للنجاة. لقد غرق الكثير من الركاب الذين ما كان ينبغي أن يغرقوا في حال وجود مقاييس سلامة كافية - خصوصًا فيما يتعلق بقوارب النجاة. فرغم أن سفينة التيتانيك كانت تحوي قوارب نجاة كافية لتحقيق قواعد السلامة المطبقة في ذلك الوقت، لكن كان يتوفر عددًا من القوارب يكفي أكثر من نصف الركاب بقليل. لقد تمت إزالة صف كامل من القوارب قبل إقلاع السفينة وذلك لجعل سطحها أرحب. ومما زاد الطين بلة، استغرقت قوارب النجاة التي كانت متوفرة وقتًا لإطلاقها ولم تملأ ببطاقتها الاستيعابية الكاملة<sup>(2)</sup>. فالقوارب التي تتسع لأربعين شخصًا أنزلت وعلى متنها اثنا عشر شخصًا فقط. وبنتيجة هذه الأخطاء بلغت نسبة الناجين من الركاب 32٪ لا غير.

أجريت تعديلات كثيرة بعد حادثة التيتانيك، والتي خفضت من النتائج السلبية لكوارث مستقبلية محتملة: فأعيد تصميم السفن نظيرات التيتانيك من حيث بدن السفينة، بحيث تسمح حجرات الماء في حال ثقبها بالامتلاء والتدفق أفقيًا مع المحافظة على مستوى السفينة بدلاً من التدفق باتجاه أعلى الحواجز. تم تجهيز الطرادات بقوارب نجاة تكفي لنقل جميع الركاب. وتوجب تفسير الإشارات الصاروخية التي تطلقها السفن على أنها إشارات استغاثة ونداءات لطلب المساعدة. على ما يبدو لاحظت سفينة الشحن (SS Californian) إطلاق صواريخ من التيتانيك البعيدة التي كانت تغرق لكنها فسرت تلك الصواريخ على أنها شهب للتعريف أو على أنها «شارات الشركة» التي اعتادت أن تظهر مكانها للسفن الأخرى على هذا النحو. وتم استخدام سفن دوريات الجليد ومن ثم الطائرات لمراقبة مناطق شاسعة من المحيطات، وبالطبع تم إدخال العديد من التعديلات على تصميم البدن بشكل عام، بما في ذلك ما يعرف الآن بالهيكل المزدوج.<sup>(3)</sup>

حدثت مأساة أخرى خلال النصف الأول من القرن العشرين عندما انفجر المنطاد ذو المحرك «هيندنبيرغ» (Hindenberg) أمام أفراد عائلات الركاب وأصدقائهم وعموم الناس في أيار 1937. كان السفر بالمنطاد تسلية مثيرة ومترفة على مدى ثلاثة عقود قبل الحادث. لكن كارثة هيندنبيرغ أنهت كل ذلك. فبعد طيران المنطاد الذي كان يحمل على متنه مئة راكب بالإضافة إلى الطاقم في عاصفة رعدية، أدى تراكم الكهرباء الساكنة وسلك أو صمام مكسور إلى تسرب في الهيدروجين إلى فتحات التهوية عندما كان المنطاد يهبط في نيوجرسي. اشتعل الهيدروجين على الفور فأدى إلى حريق نجم عنه مقتل خمسة وثلاثين مسافرًا والطاقم بالإضافة إلى رجل كان موجودًا على الأرض. وحقيقة أن هذه المأساة قد تم تصويرها في الأفلام وتم بثها في جميع أنحاء العالم أسرت خيال الناس. إذ أنهم شاهدوا الفلم برعب. ولم يرغب أحد بالسفر

بالمطاد ثانية، ومثلت هذه الكارثة علامة نهاية عصر المناطيد. ورغم ذلك ما يزال القليل من المناطيد يطير أمثال: (The Goodyear Blimp and UK-designed airship / plane / helicopter) و (Airlander). فإن الغاز المستخدم لرفع هذه المناطيد ليس الهيدروجين، وإنما الهليوم غير القابل للاشتعال<sup>(4)</sup>.

لنتقدم إلى الأمام إلى ثمانينيات القرن العشرين: في صباح قارس في كانون الثاني عام 1986 وبعد 73 ثانية من إطلاقه من «كيب كانافيرال في فلوريدا» (Cape Canaveral Florida) انفجر مكوك الفضاء «تشانلنجر» (Challenger). كان القلق يتتاب مسبقاً العديد من المهندسين الذين عملوا على تصميم المكوك، بالإضافة إلى عدد قليل من الأفراد في ناسا، من أن درجات الحرارة الباردة على الأرض قد تؤثر على الحلقات - الحلقات على شكل حرف O - المحيطة بمُعززات الصاروخ الصلب، فتجعلها هشّة وغير قادرة على منع الغاز الخطير من التسرب من خلالها. إلا أن «حمى المضي قدماً» بدا أنها أثرت على عدد قليل من كبار المسؤولين في وكالة ناسا، الذين تجاهلوا تحذيرات المهندسين التي مفادها أنهم لا يمتلكون بالمطلق معطيات تظهر بأن المكوك يمكنه الإقلاع بسلام. وفي يوم الإطلاق كانت إحدى الحلقات هشّة بفعل البرد، فيما انحنت الأخرى، الأمر الذي عنى أن ثغرة قد تشكلت. وهذا ما أتاح ممراً جلياً لغاز ساخن على نحوٍ خطير - بلغت درجته 5000 على مقياس فهرنهايت - كي يتسرب من خلاله. ختمت الفتحة نفسها عند مرحلة معينة. ولكن البلى الذي أصاب الحلقات مترافقاً مع جهد غير متوقع ناجم عن الرياح أديا إلى انفجار الهيدروجين السائل والأكسجين. يعتقد المحققون أن الطاقم بأسرهم كانوا أحياء عقب الانفجار، وأنهم عاشوا مدة الدقيقتين اللتين استغرقتهما حجرة الطاقم في التطاير بعيداً في مسار غير متوقع في الفضاء قبل أن تسقط في المحيط. كانت الحجرة أصلب من أي مكون آخر فبقيت سليمة. إلا أنها ارتطمت بالمحيط بسرعة عالية وبقوة لا يستطيع معها أي شخص أو شيء النجاة من الاصطدام. كان موت الرواد السبعة الذين كانوا على متن المكوك، ومن ضمنهم معلمة المدرسة «كريستا ماك أوليف» (Christa McAuliffe) التي كانت تخطط لإعطاء دروس من الفضاء، بمثابة مأساة سببت الصدمة في جميع أرجاء العالم. وقال بعض المهندسين المتواجدين على الأرض ممن كانوا يريدون تأخير الانطلاق لحظة وقوع الانفجار: إنهم «كانوا يعرفون ما الذي حدث بالضبط»<sup>(5)</sup>.

الدروس المستفادة كانت كسباً قاسياً. كانت أخطاء بنيوية في الطبيعة. و نجم عن اكتشاف ذلك تغييرات بنيوية في الماكايك الأخرى - إضافة سدادة إحكام حلقيّة أخرى وعدم زيادة الأحمال على المكوك وعدم استخدامه لإطلاق الأقمار الصناعية - لكن التغييرات كانت ثقافية أيضاً: إذ كان القلق يراود أناساً عديدون بما فيهم رواد الفضاء، بأنهم كانوا متحفظين في أن يعرفهم فريق التحكم في قاعدة الإطلاق. وبالتالي كانت إحدى التغييرات المطبقة أن كافة مخاوف المهندسين والرواد ستلقى أذاناً صاغية وستلقى الاهتمام من جانب فريق تحكم القاعدة<sup>(6)</sup>. على أية حال أثبتت الحادثة أنها فشلٌ باهظ التكاليف على كافة المستويات - أحدها أن لا أحداً يودّ مشاهدته يتكرر - الأمر الذي أفضى إلى تغييرات جارفة في مجالات عدة في صناعة الفضاء.

ويستمر العام 1986 ليكون عامًا للإخفاقات الدولية، فيقع الحادث النووي الأسوأ في العالم في تشرنوبل بأوكرانيا (Chernobyl Ukraine) في نيسان من العام نفسه. بينما كان العمال يفحصون العنفات في المفاعل رقم 4 كان عليهم أن يخفضوا من طاقة المفاعل ثم يرفعوها ولكن كان من المفروض أن

يتم ذلك ببطء شديد. ولكن اندفاع الطاقة المفاجئ وعطل نظام إغلاق الطوارئ الذي تلاها أدى إلى انفجار هائل. بلغت درجة الحرارة 3632 على مقياس فهرنهايت، وتطاير سقف المبنى الذي كان يبلغ وزنه 1000 طن. وتواصلت الحرائق على مدى تسعة أيام لتصب إشعاعات على العالم أكثر من أي شيء سبقها على الإطلاق.

ومنذ ذلك الحين قضى عشرات الآلاف من الأشخاص منهم الذين تورطوا في الحادث وفي عملية التنظيف التي تلت ذلك - أطلق عليهم اسم «المُصَقَّون» لأنهم تخلوا عن حياتهم سعياً منهم لاحتواء الكارثة - وأولئك الذين كانوا يعيشون في مدى معين من المنشأة وأطفال الآباء المصابين - مات عدد لا يحصى من الناس مباشرة، أو نتيجة للتأثر غير المباشر بالتساقط الإشعاعي الناجم عن الحادث.

إن أي شخص رأى مشهداً من مشاهد المنطقة المحيطة بالمكان سيعلم أن الإنسانية تحمل وزر التدمير الكامل لبيئتها وذلك بسبب إخفاقاتها. ويقدر المسؤولون الرسميون أن المنطقة ستحتاج نحو عشرين ألف سنة تقريباً لتكون مكاناً آمناً للعيش فيه من جديد - إن لم يكن صنفنا البشري قد «صفى» نفسه بطرق أخرى بحلول ذلك الوقت.

في غضون ذلك، ما يزال الوقود النووي لمفاعل تشرنوبل قابلاً في خزان حجري ميني ليحتوي المفاعل رقم أربعة مع كميات ضخمة من النفايات النووية الموجودة في حاوية هشة. ويتخوف بعض العلماء من حدوث كارثة نووية ثانية في تشرنوبل في أي وقت.<sup>(7)</sup>

ونتيجة لهذا الحادث تناقص بناء منشآت الطاقة النووية على الصعيد العالمي كثيراً. حيث تم بناء 194 مفاعلاً فقط في كافة أرجاء العالم منذ حادثة تشرنوبل في مقابل 409 مفاعلاً في السنوات الاثنتين والثلاثين السابقة للحادثة. وبعد انهيار فوكوشيما في اليابان عام 2011 قررت ألمانيا التخلي تدريجياً عن كافة منشآتها النووية بحلول 2022. وقامت دول أوروبية أخرى بتخفيضات كبيرة في عدد منشآتها النووية العاملة.<sup>(8)</sup> ومن الممكن تصور أن وقوع أية كارثة أخرى في أي وقت خلال العقود القليلة القادمة سوف يحمل الناس على إدراك أن منافع امتلاك الطاقة النووية قد لا تزيد عن أخطارها.

توضح آثار كارثتي تشرنوبل وفوكوشيما أن الفشل في تصور عواقب استخدام الطاقة النووية قد يعني نهاية الجنس البشري. وحينئذ ستكون كلمة «فشل» كمفهوم نهائي للدمار صحيحة من حيث أن نوعنا سيفشل في البقاء على قيد الحياة.

بالانتقال إلى القرن الحادي والعشرين، يبدو أن إخفاقات الدرجة الأولى لا تظهر أي إشارة إلى التباطؤ. ولكن ربما تظهر الحوادث المأساوية إلى حيز النور على نحو متكرر أكثر الآن، بسبب مقدار ما تقدمه وسائل الإعلام الرئيسية والاجتماعية من تقارير. أشارت لجنة 11/9 إلى هجمات 11 سبتمبر 2001 على برجى التجارة والبنتاغون على أنها «فشل كبير في التصور».<sup>(9)</sup>

لم يتصور أحد أن طيارين انتحاريين يمكن أن يختطفوا طائرات ركاب نفائة ويحولوها إلى صواريخ. ولكن حدث الكثير من التفجيرات الانتحارية قبلاً، وكانت المخبرات قد كشفت سابقاً عن أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط كانت تسبب غضباً بين الكثيرين، وأن هجمات على مواطني الولايات المتحدة ورموزها كانت وشيكة الحدوث قبل 11 سبتمبر / أيلول. فلقد أظهر انفجار شاحنة

ملغومة سابقاً خارج مركز التجارة العالمي في مدينة نيويورك وهجوم على السفارات الأمريكية في كينيا أنه كان ثمة عدد كافٍ من الأفراد المستعدين للقيام بمهام انتحارية. وأنه كان يوجد عندئذٍ إرهابيون مشتبه بهم بصلاتٍ تربطهم بأسامة بن لادن يتعلمون الطيران في مطارات صغيرة في جميع أنحاء البلاد، مع علم السلطات الفيدرالية وعلى مدى سنوات أنهم يتلقون تدريبات على الطيران.<sup>(10)</sup>

في ذلك اليوم المشؤوم، فشل أمن المطار تمامًا. إذ نجح تسعة عشر من الخاطفين، وبعضهم كانوا يحملون سكاكين، في تجاوز الناس والآلات باتجاه طائراتهم المخصصة. فماذا تعلمنا من هذا الإخفاق؟

ازداد الأمن في المطارات والطائرات وتحسن إلى حدٍ كبير. لكن، بالطبع، إذا كان الفشل فشل تصور، فلربما لا نتمتع بالقدر الكاف من التصور كمجتمع. فإذا كان الخاطفون الانتحاريون يستخدمون السكاكين على رحلة ما وإذا كان المُخْتَطَف الآخر الذي تمَّ اعتراضه في رحلةٍ لاحقة يملك قبلة في حذائه، فمن المحتمل أنه حتى لو خلع الجميع أحذيتهم وخضعوا لمسح كامل أجسامهم، فإن الهجوم التالي سيكون أمرًا غير متوقع.

سوف يُغفر لنا تفكيرنا حينذاك بأننا فشلنا بجعل العالم مكانًا أكثر أمانًا طوال العقود الخمسين الماضية. ولكن هذا في الحقيقة وهم من دسّ وسائل الإعلام. يكشف المؤلف «ستيفن بينكر» في كتابه «الملائكة الأفضل لطبيعتنا» (The Better Angels of Our Nature) كيف أن التحديث ودوائر تعاطفنا المتسعة، قد أدت إلى حقيقة مفادها أنه برغم كل ما نشاهده في الأخبار، فإننا أقل عرضة للقتل على يد إنسان آخر عما كنا عليه قبل عقود أو قرون مضت.<sup>(11)</sup>

## التعلم من إخفاقات الدرجة الأولى

بالطبع، يمكن أن يتوفر نهج عملي لإيجاد القيمة في الدروس المستفادة من إخفاقات الدرجة الأولى واستخدامها على نحوٍ يحمل معه نتائج إيجابية للأجيال القادمة. يتجسد هذا النهج في صناعة الطيران، حيث يتم بناء سلامة اليوم على خلفية كوارث الأمس. فلقد تمَّ فصل أخطاء الطيار التقليدية والقضايا الهيكلية المتصلة بالطائرة والتي أدت إلى وقوع حوادث مميتة وشبه مميتة عن بعضها البعض وعلى مدى سنوات. وفي وقتٍ لاحق، تم إجراء تغييرات إما في الإجراءات المتبعة، أو في تدريب الطيار، أو في معالجة الأخطاء الهيكلية، أو تلك المتعلقة بالصيانة والتي أسفرت جميعها عن سفيرٍ جوي أكثر أمانًا. يتم تسليط الضوء على هذه النهج في برنامج «تحقيقات حوادث الطيران» (Air Crash Investigations)، وهو الموضوع الرئيسي الذي يتطرق إليه كتاب «تفكير الصندوق الأسود» (Black Box Thinking). يؤكد المؤلف «ماثيو سيد» (Matthew Syed) أنه لو أن المؤسسة الطبية تتعامل مع إخفاقات الدرجة الأولى بالطريقة نفسها التي نتعامل بها مع كوارث الهواء، فإن المهنة كانت ستتغير برمتها.<sup>(12)</sup> ويستشهد بإحصائيات من شأنها أن تجعل أي شخص يفكر مرتين قبل الذهاب إلى المستشفى لإجراء عملية طبية بسيطة: فعدد الأشخاص الذين يموتون نتيجة للأخطاء الطبية وحالات الفشل يعادل طائرتين نفاثتين تسقطان من السماء يوميًا! وتجدرنا نشعر بالتوتر إزاء قيام الإرهابيين بتفجيرنا على متن الطائرات.

لذلك عندما يتحدث شخص ما عن الفشل، يجب أن ندرج صناعة الطيران كنوع من مخطط لكيفية تحويل كوارث الدرجة الأولى إلى خبراتٍ تعليمية تفيد أولئك الذين سيأتون من بعدنا. مثال جيد على ذلك: يستكشف «مالكولم غلادويل» (Malcolm Gladwell) مؤلف كتاب «الاستثنائيون» (Outliers) الأفضل مبيعاً، «النظرية الإثنائية لحوادث تحطم الطائرات» (ethnic theory of plane crashes) استناداً إلى حقيقة أنه في التسعينيات، تعرضت شركة الكورية للطيران لحوادث أكثر من أي شركة طيران أخرى. لم يكن يكمن السبب في هذا في الطائرات التي تعاني من عيوب أو حتى في خطأ الطيارين بل بسبب المراسم الثقافية الهرمية الشديدة والتي لا يجوز وفقاً لها للمرؤوسين - في هذه الحالة لمساعدتي الطيار - التشكيك في قرارات رئيسهم. فأسفر مزيج من ذلك وقدرة لغوية محدودة في اللغة الإنجليزية عن سلسلة من الحوادث المميتة. ولكن كما يقول غلادويل حالما أدركت الخطوط الجوية أن مشكلتها كانت مشكلة ثقافية، قامت بتعديل تدريب الطيارين لديها<sup>(13)</sup>. وتم إدخال هذا التعديل ببطء في التدريب على الملاحة الجوية. والآن، يتم تشجيع مساعدتي الطيار على أن يقوموا بالمبادرة ويكونوا سابقين إن هم أيقنوا أن الطيار كان على خطأ.

الدروس المستفادة من أخطاء الطيران هي أمثلة عن التطور: كيف يمكننا استخدام إخفاقات وكوارث الدرجة الأولى لمنع كوارث المستقبل.

روت لنا طبيبة من فلوريدا مؤخراً أنها كانت مدركة تماماً للموقف تجاه الفشل في مهنتها وهو إسدال ستارة من الصمت على الأخطاء الطبية الكثيرة التي تحصل.<sup>(14)</sup> خلافاً لصناعة الطيران كما هو موضح في كتاب «تفكير الصندوق الأسود» تقول: لقد كانت صعوبة استثنائية بالنسبة للأطباء أن يناقشوا أخطاءهم، حتى تلك التي هي على أبسط مستوى وغير المهددة للحياة غالباً. وربما يقيد هذا التحفظ حقيقة أن الإقرار بخطأ كبير وإخفاق من الدرجة الأولى بالنسبة للمحترف الطبي سيكون مسؤولية شخصية عالية. يواصل الأطباء الذين يخطئون في عملية ما حيواتهم، بينما لا يواصل الطيارون الذين يحطمون طائرات المسافرين حياتهم. وحوادث الطيران المصيرية ينجم عنها تحقيقات تفضي عادة إلى فهم الأخطاء التي وقعت، وإذا ما كان الطيار مسؤولاً عن الخطأ - كما هو الأمر في الغالب - فهو لن يكون موجوداً للإجابة عن أسئلة حول ما فعله. الحال ليس كذلك في عالم الطب. فحينما ندخل من أجل إجراء طبي ما غالباً سيطلب إلينا أن نوقع على مسؤوليتنا وعدم تحميلنا الأطباء أو المشفى أية مسؤولية وعلى ألا نحاسبهم. بالنتيجة ثمة نقاش مفتوح قليلاً حول كيفية تلافي أو منع الإخفاقات الطبية الكارثية رغم أنها تحصل في سائر الأحوال.

بالنهاية مشكلة إخفاقات الدرجة الأولى أننا حتى لو جعلنا مستقبلنا أكثر أماناً وتعلمنا من أخطاء الماضي إلا أننا لا نستطيع استعادة الناس الذين فقدناهم.

### أخطاء الدرجة الأولى هي أخطاء نهائية.

في معظم الأحوال هذه الأخطاء هي الإخفاقات الوحيدة التي ليست متوقفة على قرينة أو عرضة للتفسير.

سنوات كبر معرضين للعطب التآثر بإخفاقات الدرجة الأولى الكارثية في المستقبل، رغم كافة وسائل الحماية الموجودة في العالم. حيث لا مفر من الحوادث المصيرية، وسوف تظل الكوارث التي يسببها الإنسان تطعننا طالما نحن موجودون على هذا الكوكب. ستتعلم ونغير أشياء، ومخاطر اليوم لن تشكل خطراً كبيراً في المستقبل. لكن أخطاءً جديدة ستستمر بالظهور وستعرض لمخاطر كثيرة سينتهي بعضها بكوارث. وسوف نخسر أناساً ومجتمعات نتيجة الأخطاء البشرية، وسوف يؤثر ذلك في حياة الملايين منّا.

ونحن نفكر بذلك، سيكون من الجوهري أن ننظر إلى إخفاقات الدرجة الأولى بعين الواقعي المسلم بأن هذه الكوارث ستظلّ أبداً جزءاً من عالمنا كبشر. فما العمل؟

سيكون من السذاجة الافتراض أننا ستمكّن بفضل الخبرة والحرص الكافيين في مجالات عديدة من استبعاد المآسي والنتائج المصيرية بشكل كلي. نحن لا نستطيع فعل ذلك، ونحن فانون. وفكرة قدرتنا على التقدّم في الطب والطيران والعلوم والتكنولوجيا وكل مسعى تسلكه البشرية دون فقدانٍ وخسارة هي مجرد وهم. ما نحتاجه رغم ذلك هو مقاربات لهذه الكوارث لتمكين باقي الجنس البشري ممن تأثروا بهذه الحوادث من تدبّر شؤون حياتهم بعد ذلك. وسوف نناقش في الفصل العاشر ما يعنيه أن نعيش مع نتائج إخفاقات الدرجة الأولى وما نفعله عندما نهدم تلك الكوارث حياتنا.

على ضوء إخفاقات الدرجة الأولى سيكون ممكناً أن نعيد تسمية وتصميم وتصوّر كل شيء آخر ندعوه فشلاً. وفي عالم تسيره التجربة والخطأ وبأشياء غير متوقعة أو منتظرة تحدث يومياً، يمكن أن نبلي بلاء حسناً بتحرير أنفسنا من مفهوم الفشل واستبداله بشيء يمثّل خبراتنا المعاشة من كذب ولا يحمل وزر أعباء سلبية كثيرة.

### أفكار مهمة:

- الكوارث الكبرى كانت موجودة دوماً، وستستمر لتكون جزءاً من التطور البشري.
- إخفاقات الدرجة الأولى نهائية: الدروس المستفادة غالباً تفيد بجعل العالم أكثر أماناً بالنسبة لآخرين. هذه هي قيمتها. لكن لا يمكن منع وقوع الكارثة.
- نحن بالإجمال أكثر أماناً اليوم مما كنا عليه منذ مائة عام خلت، رغم وسائل الإعلام التي توحى بالعكس.
- لا نستطيع منع الكوارث، لكن يمكننا أن نتعلم كيف نعيش في ظلها.
- كافة الإخفاقات المزعومة الأخرى ليست إخفاقات. وإنما هي تنتمي إلى عالم النتائج غير المرغوبة.

### أفكار مساعدة على الحياة بعد فشل من الدرجة الأولى:

- لا شيء يحمي أيّاً منا من أن تطاله الكارثة.

- يمكننا أن نحاول استخلاص الدروس والأفكار الجديدة وتغيير الأثر عندما تقع الكارثة.
- يمكننا النظر إلى حياتنا ما بعد الكارثة، ونعلم أن هذا ما يعنيه أن نكون بشرًا. علينا أن نستمر في الحياة كل خطوة في أوانها.
- يمكن لاستشارة اختصاصية أن تساعدنا بعد إخفاقات الدرجة الأولى على توجيه هذا الواقع.

## الفصل الثالث

### إخفاقات الدرجة الثانية

المستكشفون ورجال الأعمال،

وتعزيز شعار "الفشل بشرف"

تتعلق إخفاقات الدرجة الثانية بنا جميعًا. فهذا هو عالم المخترعين والعلماء والفنانين والمهندسين والكتاب وكل من يشرع في مغامرة أو محاولة - سواء الذهاب الى القمر أو عبور القارة القطبية أو كتابة رواية.

#### إخفاقات شهيرة من الدرجة الثانية في القرن العشرين

“إرنست شاكلتون” (Ernest Shacklton):

وقعت الحادثة المشهورة التالية بالضبط منذ أكثر من مائة عام. حيث انطلق في العام 1914 المستكشف الإيرلندي الخبير بمنطقة القطب إرنست شاكلتون مع طاقم من ثمانية وعشرين رجلاً لعبور القارة القطبية الجنوبية في سفينة شراعية قوية دعيت باسم «التحمل» (Endurance) في ما أصبح يعرف بالبعثة الإمبراطورية عبر الدائرة القطبية الجنوبية. علقّت السفينة في الجليد في بحر ويديل قبل أن تسنح الفرصة للمستكشفين في وطء اليابسة التي يرجون عبورها. وعلى مدى شهور عديدة انجرفت السفينة مع الجليد لأكثر من ألف ميل نحو الشمال. وفي النهاية حطم ضغط الجليد السفينة وغرقت. خيم الرجال الثمانية والعشرين في العراء على الجليد، وكانوا قد جهزوا قوارب النجاة في حال اضطرروا للمغادرة. وأخيرًا بدأت كتلة الجليد الطافية التي كانوا عليها بالتصدع. وعرفوا أن عليهم أن يتخذوا قرارهم.

انتهى بهم الأمر في ثلاثة قوارب نجاة تمخر المحيط المتجمد باتجاه «جزيرة الفيل» التي كانت مكانًا باردًا موحشًا ومقفّرًا غالبًا ما تبلغ درجة الحرارة فيه عشرين درجة مئوية تحت الصفر (-4 فهرنهايت). وعرف شاكلتون أن نجاتهم مرهونة بقدرتهم على الحصول على المساعدة. وكانت السفن الوحيدة التي تقترب من

جزيرة الفيل هي سفن صيد الحيتان التي كانت نادرة. حينئذ قرر فريقه الذي كان مؤلفاً من ستة أفراد أن يتركوا الآخرين. فانطلقوا في قارب نجاة تمّ ترميمه ليجرّوا في المياه الجليدية الواسعة نحو جزيرة جورجيا الجنوبية، حيث ثمة مركز لصيد الحيتان مما يعني وجود أناس وسفن إنقاذ جاهزة محتملة متوفرة. وأثناء تلك الرحلة نجا طاقمه من أحداث من الصعب تحيّلها. ففي إحدى مراحل الرحلة، نظر شاكلتون إلى الأعلى نحو السماء الداكنة فرأى ما خاله شعاعاً من الضوء الأبيض يتسرب من فجوة بين الغيوم. ولم يصدق نفسه عندما أدرك أنه كان يحدّق إلى موجة عملاقة فوقهم. وفي الحقيقة كانت نجاة القارب والطاقم بمثابة معجزة. وكانت المعجزة الأخرى أن الملاح الذي كان يعتمد على الشمس في توجيهه في الأسابيع التالية لم يرها إلا ثلاث مرات ولفترات وجيزة، ومع ذلك تمكن من توجيه المركب إلى جزيرة جورجيا الجنوبية. استغرق المستكشفون يومين للرسو بسبب الرياح العاتية والبحر الهائج الذي حال بينهم وبين الشاطئ.

وبعد السير في الجزيرة في ظروف متجمدة، كان عليهم تسلق الوديان الجليدية دون أن يعلموا إن كانوا سيلقون حتفهم، وكان عليهم أن ينزلوا شلالات متجمدة قبل أن يصلوا في النهاية إلى مركز صيد الحيتان حيث بدأت مهمة الإنقاذ الفعلية حينذاك فقط.

حاول شاكلتون بمساعدة سفن كبيرة من أمريكا الجنوبية الوصول إلى جزيرة الفيل أربع مرات. إلا أن سماكة الجليد وسوء الطقس حالاً دون ذلك. حتى تمكنوا في النهاية من الرسو وإنقاذ الرجال الذين كان قد مضى عليهم شهوراً وهم ينتظرون. كان أحد الرجال قد فقد قدمه اليسرى نتيجة لتجمدها أعقبها غرغرينا فقام جراحا السفينة الموجودان معه بعملية البتر. باستثناء تلك الخسارة كان كل فرد من الرجال الثمانية والعشرين الذين انطلقوا في الرحلة إلى القارة القطبية الجنوبية سليماً<sup>(1)</sup>.

كان محكوماً على المهمة بالفشل قبل أن تبدأ. إذ لم يسبق هؤلاء الرجال أن وطئوا تلك القارة التي خططوا لعبورها على الإطلاق.

ومع ذلك فالمعجزة الحقيقية ولعلها الأكثر تأثيراً وإثارة للإعجاب من أي عبور للقارة، كانت تماسك ونجاة هؤلاء الرجال في ظروف مروعة للغاية، ونجاح مهمتهم في إنقاذ أنفسهم وإنقاذ بعضهم البعض.

الأسطورة التي تتلقاها عموماً هي أن هذه الرحلة كانت إخفاقاً مشهوداً. انطلق بعض الرجال لعبور القارة لكنهم فشلوا. ولكن هل هذا هو واقع الحال؟ من وجهة نظر أخرى ثمة حقيقة مغايرة. إنها مغامرة دامت ثلاث سنوات وكشفت عن قدرات بشرية غير عادية للبقاء في مواجهة فرص مستحيلة. لقد كانت الرحلة معجزة في التآلق والتحمل. إذا أزعنا وجهة نظرنا بضع درجات يمكننا أن نرى أنه ورغم عدم تحقيق هؤلاء الرجال هدفهم الأصلي، إلا أنهم حققوا شيئاً آخر. تحكي نجاتهم قصة بشرية تستحق إعجاباً مساوياً لما كان سيلهمه عبورهم للقارة. فهم لم يفشلوا بل إن رحلتهم وإنجازاتهم تبين أنها مختلفة عما سبق أن تصوروه.

“أبولو 13” (Apollo13)

ما يدعى إخفاقاً مميزاً آخر حبس أنفاس العالم في العام 1970. حيث سافر ثلاثة رواد الى الفضاء، وعلى مدى يومين كانوا يشاهدون الأرض تتضاءل في الحجم إلى أن أصبحت كالقمر، في حين بدا القمر أمامهم كبيراً. فعلى بعد أكثر من 200.000 ميل عن وطنهم، فقد أضحوا على مسافة 137 ميل بحري عن سطح القمر. كانوا حينها على وشك أن يصنعوا التاريخ.

فجأة دوى انفجار ضخم في خزان الوقود رقم 2. وجاءت كلمات الرائد جون جاك سويغرت عبر محطة التحكم الأرضي: «هيوستن، حصلت لدينا مشكلة».

من الممكن أنه دار في ذهن بعض المؤمنين بالخرافات أن الرقم 13 هو رقم مشؤوم. ففي الثالث عشر من نيسان 1970 كانت أبولو 13، المهمة السابعة المأهولة إلى القمر في خطر مميت فجأة. دمر الانفجار خزان الأوكسجين رقم 2. وفي وقت لاحق أصبحت وحدة الخدمة الأساسية بالنسبة لعمل وحدة القيادة مشلولة. كما أثر الانفجار على خزان الأوكسجين رقم 1 وأصابه بضرر. يتذكر الرائد المعروف جيمس لوفيل:

«استمر الضغط في خزان الأوكسجين رقم 1 بالانخفاض متجاوزاً ضغط 300 psi ثم انخفض إلى ضغط 200 psi. بعد شهور وبعد استكمال التحقيقات في الحادث، تقرر أنه عندما انفجر الخزان رقم 2 يمكن أن يكون قد أتلّف أنبوباً من أنابيب الخزان 1 أو سبب تسرباً في أحد الصمامات. وعندما بلغ الضغط 200 psi كان من الواضح أننا سنفقد كامل الأوكسجين. ما يعني أن خلية الوقود الأخيرة ستنتهي أيضاً»<sup>(2)</sup>.

أجهضت المهمة إلى القمر في تلك اللحظة - وقد أصبحت جبال القمر تحتهم على مسافة 150 ميل، وقد بات هدفهم قريباً ويوشكون على لمسه. وها هو مسعى آخر باهظ التكاليف يتحول فشلاً ذريعاً في ثوانٍ. لكن تغير تركيز جيمس وفيل وباك سويغرت وفريد هيز سريعاً: للنسي أمر الهبوط على القمر. لقد أصبح تفكيرهم منصباً على هدف واحد: العودة بسلام إلى الأرض. يصف لوفيل التجربة في مقاله «هيوستن، لدينا مشكلة»:

«تلاشى كل التشنج المستحكم في أحشائي والتحسر على الهبوط على القمر. إنها الآن مسألة بقاء لا مهادنة فيها...»<sup>(3)</sup>

وبالطبع خطرت في بالي أحياناً إمكانية أن يعزلنا الانفجار في مدار هائل حول الأرض - كنوع من نصب تذكاري خالد لبرنامج الفضاء. ولم نتكلم أنا وسويغرت، وهيز عن مصيرنا أثناء الرحلة المحفوفة بالخطر. وأظن أننا كنا منشغلين بالصراع من أجل البقاء<sup>(4)</sup>.

كان على الرواد أن يستخدموا الشمس لتعديل وضع المركبة القمرية. وكان عليهم أن يتعاونوا مع الناس المتواجدين على الأرض ليجدوا طريقة لمعالجة قضية التخلص من ثاني أوكسيد الكربون، لكيلا يموتوا جراء انبعاثاتهم وزفيرهم الذاتي. وفي نهاية الأمر صنعوا على عجل نظاماً لاستخلاص ثاني أوكسيد الكربون مشابهاً لنموذج موضوع على سطح الأرض.

«قمت مع جاك بتجميعه: تماماً مثل تصنيع نموذج طائرة. لم يكن الجهاز متقناً جداً. لكنه قام بوظيفته. وكان عملاً عظيماً ومثالاً ربيعاً للتعاون ما بين الأرض والفضاء»<sup>(5)</sup>.

كانوا متجمدين ويعانون من التجفاف والحرمان من النوم. وكان كل ما لديهم آخذ بالنفاد. ولم يحسبوا أنهم سيعبرون الغلاف الجوي للأرض بأمان وحتى لو أفلحوا في بلوغه. وعندما سقطوا في نهاية المطاف في المحيط لم يكونوا يعلمون أن مليارًا من البشر كانوا يشاهدون الملحمة ويعيشونها، وأن فكرة الفشل بالنسبة لهؤلاء الناس كانت قد تبدلت نهائيًا. لأن الفشل كان سيعني حينذاك فقدان الرواد. وقد تجسدت براعتهم في تحقيق النتيجة الفضلى الممكنة: نجاة الثلاثة جميعًا.

«حققتنا النجاة، ولكنها كانت نجاةً ثقيلة الوطاء»، كتب لوفيل. «كانت مهمتنا فاشلة. ولكنني أود التفكير بها على أنها فشل ناجح<sup>(6)</sup>».

وقد اعتقد الجميع بما في ذلك الرواد أنفسهم أن المهمة من حيث تحقيق الهدف الموضوع كانت فاشلة.

ولكن مرة أخرى، إذا غيرنا منظورنا، فالحقيقة أن المهمة كانت قصة مشهودة للبراعة البشرية والقدرة على البقاء. وقد تحول هدف الهبوط على القمر إلى هدف العودة إلى الأرض سالمين. لقد تجنبوا فشلًا من الدرجة الأولى واستطاعوا العودة إلى الأرض. لم تكن المهمة فاشلة. لكنها لم تنجح كما كان متوقعًا.

### الإخفاقات الملحمية المزعومة في العلوم والطب التكنولوجيا

بالنسبة لبعض الناس الذين يروجون للفشل على أنه أمر حسن - دعونا نحدد أننا في إخفاقات الدرجة الثانية لا نتحدث هنا عن نهايات كارثية للحياة - وإنما نتحدث عن ابتكار واستكشاف في الرحلات والأعمال والتكنولوجيا والفنون والعلوم. وبهذا المعنى يبدو الفشل مفهومًا غير ملائم للحالة. فنحن ننظر إلى المسعى البشري، وإلى مغامرة الانخراط مع العالم والتي دائمًا ما تحمل معها نتائج غير متوقعة. فالمغامرون - سواء أكانوا مستكشفين أو صانعي سيارات أو مخترعين - يضعون أهدافًا نصب أعينهم، لكنهم يدركون تمامًا حقيقة أنهم لا يستطيعون التنبؤ بالنتائج. والسؤال الذي يطرح نفسه هو إذا ما كان يجب اعتبار إخفاقات الدرجة الثانية إخفاقات أصلًا. فالكثير من نتائجها غير المتوقعة قد تفضي إلى أمور وأفكار جديدة ومتطورة. والفشل ليس فشلًا بالمعنى الواسع عندما تكون التجربة هي كل ما تفعله. وسيبدو من غير الأخلاقي نوعًا ما أن نضع بطاقة تعريف تقول: «فشل غالبًا» عندما يكون كل ما تعنيه: «تابع سعيك لأجله». وإليك هذه المقولة من مقالة عن «إيلون ماسك» كمثال: «يعتبر الفشل وسام شرف في وادي السيليكون. لأنك إن لم تفشل، فأنت لا تحاول! وإذا لم تفشل فشلًا ذريعًا مرة، فإنك لا تطمح بالقدر الكافي غالبًا»<sup>(7)</sup>.

حاول إيصال ذلك للطفل الذي يكرر الحصول على علامة متدنية في اختبارات الإملاء؛ أو للخطوط الجوية التي يتكرر تحطم طائراتها في البحر. والفشل كما يمكن أن نراه حتى الآن ليس مفهومًا واحدًا.

دعونا نلقي نظرة أقرب على «ماسك» المولود في جنوب إفريقيا ومخترع «باي بال» (PayPal) وهو الآن المدير التنفيذي لـ «تسلا» (Tesla). يعتقد البعض أنه في طريقه لتصدر كبرى إخفاقات الدرجة الثانية. حتى بمعايير وادي السيليكون. يكتب الصحفي ماثيو دييورد: «حتى بمعايير وادي السيليكون، ما ينتهجه إيلون ماسك المدير التنفيذي لتسلا، سيكون فشلًا على نطاق جديد بالكامل<sup>(8)</sup>». وهذا يدل على طموحاته الإنتاجية. في العام 2015 سلمت تسلا عددًا من السيارات بلغ 50000 سيارة لعدد مماثل من الناس. وبعد بعض الوقت من ذلك الوقت صرحت تسلا أنها ستصنع بحلول عام 2020 نصف مليون سيارة سنويًا.

وهم يعدون الآن بتصنيع نصف مليون سيارة بحلول (9) 2018. لا تلقى هذه الفكرة هوى لدى جميع موظفي تسلا. ولا يعتقد كل شخص أن إيلون ماسك سيكون قادرًا فعلاً على تسليم ذلك العدد. لكن شعاره هو: «عندما يتمتع أمر ما بالقدر الكافي من الأهمية، افعله حتى لو لم تكن الفرص في صالحك».<sup>(10)</sup>

ولكن إذا ما فشل، ما الذي سيخسره؟ المال؟ لديه الكثير منه على أية حال، وهو يعلم كيف يجنيه. «الفشل على نطاق جديد بالكامل» ما زال قيد التجربة. فإذا نجح سيكون مثلاً للجد وسهر الليالي رغم أصوات معارضيه. فالإخفاقات المحتملة المشابهة لهذه هي تحديات وضعها مسبقاً أفراد وشركات سبق لها النجاح على نطاق واسع. يمكن لغوغل أن يفعل الأمر ذاته، وكذلك يمكن لمايكروسوفت وأبل فعل ذلك. هذا هو عالم التجريب. والسر يكمن في عدم الاكتراث لنتائج أقل من المثالية وعدم التعب في السير نحو الهدف.

إنها منطقة «عدم الاستسلام» فـ «إذا لم تنجح بادئ الأمر... جرب ثم جرب». وهذا عملياً لا علاقة له بالفشل. فأى فشل على هذه الطريق لا يعني نهاية للحياة. والتمن المدفوع لقاء فشل كهذا هو الوقت والمال وربما الكبرياء. لكن ليس الحياة بشرية.

لنلق نظرة على بعض تلك المساعي والتحديات في العلوم والأعمال والتكنولوجيا حيث يمكن لما يسمى فشلاً أن يكون موضع ترحيب. لأن كل إخفاق يقرب المشاركين خطوة باتجاه النجاح. هذا هو العالم الذي يمكننا: نضع الأهداف ونقرر المقدار الكافي ومتى وإذا كنا سنسمي ذلك انسحاباً. فإذا فشلنا لا أحد يموت ولا أحد يتأذى. ولنكن صادقين: يمكن اعتبار «إفشل غالباً، إفشل أفضل» تعويذة للمتميزين، ونعني بهم القلة التي تعرف طعم النجاح سلفاً في مجالاتهم - الناس الذين لا تردعهم نتائج تجاربهم الفاشلة وعوامل الخطورة المتعلقة بها.

إن أسطورة «إفشل أكثر؛ إفشل على نحو أفضل» تتجلى في ذروة مجدها في العلوم والتكنولوجيا. ولقد دأبنا على الاقتناع في القرن الماضي على الثقة بالمنهج العلمي في البحث كمعيار ذهبي لوضع أساس لأية مزاعم أو افتراضات. وهو مع ذلك ميدان للتجربة والخطأ. ومفهوم الفشل هذا هو ما يمكن أن نعتمده ونعيد تسميته، لأن تسمية الفشل لم تخدم، ببساطة، هذه الأحداث. فإخفاقات الدرجة الثانية هذه هي اكتشافات تحمل معها نتائج كثيرة غير متوقعة. هي مغامرات بشرية، وأشياء جديدة ومثيرة ناجمة عنها لم يسبق التنبؤ بها. فنحن هنا نرى نتائج مفاجئة للواقع كنتيجة لمحاولتنا القيام بشيء آخر. فعندما ثبتت عند الأهداف والرغبات الأولية التي تسعى الشركات من أجلها، تبدو هذه المغامرات حينها كإخفاقات. وعندما نركز على ما يجرى نتيجة لهذه الرحلة يمكن أن تدهشنا هذه الابتكارات، أي اكتشاف أشياء لم تكن معروفة سابقاً. يمكن التخلص من الفشل كمفهوم. وعندما نتعلم كيف نفشل بشرف فنحن نتعلم في الحقيقة كيف يمكن أن نتعايش مع النتائج غير المتوقعة بشكل مميز.

حصلت إحدى النتائج الشهيرة غير المتوقعة والمتعلقة بالعقاقير في أيلول من العام 1928. بعد عطلة الصيف عاد عالم البيولوجيا والنبات والصيدلة الإسكوتلندي «الكسندر فليمنغ» إلى الوطن ثم ذهب إلى مختبره في مشفى سان ميري في لندن حيث بدأ بحملة تنظيف للمختبر القديم. بدأ التنظيف بصحون الاستنبات التي كان يزرع فيها بكتيريا ستافيلوكوكوس - وهو النوع الموجود في البثرات والخراجات وغيرها من الآفات. لقد نسي أن يقوم بعملية التنظيف كما ينبغي فنمت بؤرة من العفن وسط أحد الصحون.

ومن الغريب أن مستعمرات البكتيريا انتشرت في كل مكان باستثناء المنطقة المحيطة بهذه البؤرة. فعرف حينها أن هناك شيئاً ما كان ينتج عن العفن ما أدى للقضاء على بكتيريا ستاف. وفيما بعد عرف أن هذا «الشيء» هو مجموعة من «بنسليوم نوتاتيوم» (*penicillium notatum*) وهو أول مضاد حيوي تمت معرفته. وبالتالي كانت حبة الدواء السحرية التي منعت عشرات الآلاف من الوفيات بعد ذلك اليوم، نتيجة لمصادفة، أي نتيجة غير مقصودة بسبب الفشل في تنظيف صحن الاختبار<sup>(11)</sup>.

لا يمكننا الادعاء أن العقاقير الفعالة هي نتيجة تخطيط واعٍ ودؤوب، لأنها في غالب الأحيان ليست كذلك. فاختراع الفياغرا مثلاً كان مصادفة تماماً.

فشركة الأدوية «فيزر» كانت تعد دواء (UK-92480) من شأنه توسيع الأوعية الدموية لتخفيف أثر الخناق الصدري عندما يعاني تدفق الدم إلى القلب من إعاقة بسبب التقيض الوعائي. لسوء الحظ الدواء لم يكن فعالاً. ثم عازمت فيزر على التوقف عن التجارب المستقبلية تماماً عندما أفاد الرجال الذين خضعوا للاختبار بأمر غريب: وهو حدوث انتصاب متكرر لديهم. وقد اكتشف كريس وايمان، كبير علماء فيزر أنه عند وضع نسج من عضو رجل عنين في أنبوب الاختبار ومن ثم تعريضها لتيار كهربائي، لا يحدث أي شيء. ولكن عند إضافة الفياغرا لها لاحظ عودة تأثير الانتصاب. وعندها عرف، على حدّ قوله، أنهم كانوا بصدد «حالة استثنائية<sup>(12)</sup>».

أطلقت فيزر الدواء في العام 1998. ومنذ ذلك الحين تغيرت حياة الملايين من الرجال. ربما كان هذا مثلاً على النجاح الناجم عن الفشل - وعلى نحو أدق، كان مثلاً على النتائج غير المتوقعة، التي تحمل آثاراً إيجابية بالنسبة لكثير من البشر.

عندما نهياً أنفسنا لإحراز النجاح كائناً ما كان، فإن نخاطر بفكرة الفشل الشخصي. وحينما نحدد هدفاً ونثبت ناظرينا على النتيجة، فإننا نخسر الإمكانيات الكبيرة الموجودة في أية رحلة. ينطوي تحديد الهدف على خطر متأصل، على الرغم من أننا جميعاً نعتقد أن هذا يشكل دافعاً كبيراً يدفعنا للتقدم في العالم - ونحن نناضل ونتطور.

إذا كان القصد النهائي أكثر أهمية من رحلة الوصول إلى هذا القصد، وإذا ركزنا على ذلك، عندها ستكون غايتنا الوحيدة هي الوصول إلى نهاية حياتنا، ولكن الحقيقة ليست كذلك. فرحلة الحياة بذاتها، يمكن ويجب، أن تكون غايتنا، وهو ما ينطبق على كل خطوة فيها. ففي كل لحظة نحن أمام عتبة نصل إليها. نحن نتوقع أشياء ونتنبأ بها ونتمناها بها. أحياناً تتحقق، وأحياناً لا تتحقق. وفي أغلب الأحيان لا نتمتع إلا بتأثير ضعيف على الطريقة التي يسير بها العالم وعلى الأشياء التي تعترض سبيلنا - سواء أكانت جالبة للحظ أم لا.

إن اختراع أفران المايكرويف وأشعة إكس ومنتجا فيلكرو سكوتشغارد، جميعها تمت بفعل المصادفة. فقد كان الناس بصدد القيام بأمر آخرى مختلفة كلياً، ليطراً عندها أمر ما يلفت انتباههم. فالبخاخ سكوتسغارد المقاوم للبقع والماء لم يكن ليوجد لو لم تسقط زجاجة اللاتيكس الصناعي من يد عاملة المخبر وتقع على حذائها. كانت تعمل تحت إشراف الباحث الكيميائي باتسي شيرمان في العام 1952 على

كيمياويات الفلور. وعندما حاولا إزالة المادة عن الحذاء وجدا أنها لا تنزح. لقد ظل الحذاء أبيضًا ومحتفظًا بذات المظهر، ولم يؤثر فيها الماء أو الزيت أو المذيبات. وفي الحال انتشر سكو تشغارد في الأسواق.<sup>(13)</sup>

وبالتالي ما هي الطريقة الأفضل للحديث عن إخفاقات الدرجة الثانية؟ نحن نعلم أنه سيكون علينا أن نواجه نتائج إخفاقات من الدرجة الثانية، خاصة أو شخصية أو حتى إخفاقاتٍ عالمية مشهورة، في حياتنا.

في هذا الصدد لدينا فكرة مفيدة: إذا كنا مصرين على التركيز على هدف ما، فلن نفهم عندها كيفية عمل الحياة. الأهداف مهمة ورائعة لأنها تبقينا في حالة حركة والتحفز. ولكن بدلًا من التركيز على مسيرة تحقيق الهدف بنفس الدرجة التي نركز فيها عليه تتوفر إمكانية الاستفادة من عملية التقدم ذاتها. وحتى عندما نحقق هدفنا، فإن طبيعتنا البشرية لن ترضى بذلك لفترة طويلة، بل سنضع نصب أعيننا هدفًا جديدًا نسعى لتحقيقه. ففي هذه الظروف تكون فكرة الفشل ضيقة؛ فهي تشير إلى أن الأمر الوحيد المهم هو النتيجة النهائية، أي الريح الصافي بناءً على معايير محددة. ولكن يفوتنا في هذه الحالة كل الاحتمالات الإيجابية التي يمكن أن تصاحب المسيرة. فما يمكن أن نعرفه حقًا هو أن الحياة ليست مؤكدة وأن هناك قوى خارج سيطرتنا ستؤثر في تكويننا. والمغزى من القصة هو التالي: عندما نكون مهيين لتقبل الاحتمالات غير المنظورة، ونكف عن جلد أنفسنا - أو الآخرين - عندما لا نصل إلى الغاية التي خططنا للوصول إليها، يمكن أن نكتشف أمورًا مهمة خلال الطريق لم نتوقعها مسبقًا.

لا يمكن أن يكون هدف حياتنا النهائي هو نهاية حياتنا ذاتها. ولا يمكن أن يقاس ذلك الهدف بما نملكه أو بما حققناه عندما نصل إلى تلك اللحظة. المهم هو التجارب والاختبارات التي نمر بها خلال الطريق. في الكتب الكثيرة التي كتبت حول «قيمة الفشل» هناك مسعى نبيل لرؤية الجانب الإيجابي من «الفشل». ولكن المشكلة التي تناولناها فيما سبق هي أن العالم لا يفكر على هذا النحو. ففكرة الفشل تمثل حكمًا سلبيًا من وجهة نظر المجتمع. فنحن عادة لا نحفل بالفشل كمجتمع. فإذا كنا نعمل في مجال المبيعات، على سبيل المثال، أو العقارات، فمن غير الوارد أن يقول رئيس الشركة: «أنا لست مهتمًا بتحقيقك لأهدافك المالية؛ فالرحلة هي بنفس أهمية الغاية التي نسعى لها». وفي معظم الحالات لن نجد تشجيعًا على الفشل. وسيقرب رؤسائنا إزاء أي فشل مادي، ولن يغفروا لنا أي تقاعس. كما أن الفشل في تحقيق الأهداف يسبب غالبًا التوتر: قد لا يكون لدينا المال الكافي للعيش؛ ويمكن أن نفقد وظائفنا لصالح موظفي بيع أكثر نشاطًا. والأمر الجوهرى هو عدم قدرتنا على التحكم بما يحدث لنا. يمكن أن نتحكم فقط بكيفية استجابتنا لما يحدث. علينا أن نغير نظرتنا عن أنفسنا على نحو لا نقيس معه مسيرتنا الشخصية تبعًا للنتائج المادية لحياتنا المهنية أو عملنا أو كفاحنا، وهذا يمثل تحديًا رائعًا. ويمكن لرؤسائنا أن يهددونا بالبطالة إذا ما أخفقنا في تحقيق الأهداف. فنحن مثل شاكلتون مستكشفو، - ومقاولو حياتنا الخاصة. ونحن نقوم بتجريب الأشياء. ويمكن لهذه الأشياء أن تخفق. وهناك قوى معادية، بدءًا من الطقس السيء إلى التخطيط الكارثي، إلى الناس الذين يبدو عليهم التصميم لجعل حياتنا صعبة أو معقدة.

تتمتع مسيرتنا الشخصية بقيمة جوهرية. لسنا مضطرين للفشل أكثر أو على نحو أفضل أو أسرع. إذا أردنا أن نكون متميزين في الفشل، فللمفارقة أن إزالة كلمة «الفشل» من الكيفية التي ننظر من خلالها لأنفسنا ومن ميدان النشاط الإنساني المعروف باسم «الحياة» يبدو أكثر منطقية.

## أفكار مهمة

- تحدث إخفاقات الدرجة الثانية في كل يوم، وهي نتيجة لأية محاولة أو مسعى إنساني للقيام بأمر ما.
  - هذه الإخفاقات هي النتائج غير المنتظرة التي ينبغي علينا توقعها.
  - حالما نضع هدفاً نصب أعيننا ونقصر تطلعاتنا على الغاية النهائية فإننا نغامر بفقدان الإمكانية الكبيرة المصاحبة لكل مسيرة.
  - عندما نقصر تطلعاتنا على نتائج تجاربنا فقط، سينتابنا شعور الفشل إذا لم نحصل على ما نريد.
  - لمسيرتنا الشخصية قيمة جوهرية بغض النظر عن نتيجة هذه المسيرة.
- أفكار مفيدة حول التعايش مع إخفاقات الدرجة الثانية
- يجب أن تعرف أن الأهداف تتغير باستمرار، وحتى عندما نحقق ما نريده اليوم سنسعى في الغد لتحقيق هدف آخر.**
- أنظر لكل مسعى لتحقيق أمر ما كتجربة.
  - عليك أن تعي أن الحياة مليئة بالعقبات التي ستعرض طريق أهدافنا. عليك أن تفصل فكرة الفشل الشخصي عن نتائج التجربة التي تقوم بها.
  - تذكر أن الحياة أشبه برحلة مستكشف، وليست سباقاً نحو خط نهاية. عش هذه الحياة بتمامها وعلى نحو متألق دون أن تنظر لمساعيك كإخفاقات عندما لا تسير الأمور كما تريد.

## الفصل الرابع

### إخفاقات الدرجة الثالثة وطبيعتها الاعتبارية

الفشل مصطلح نستخدمه كل يوم. ونحن نستخدمه جزافاً ونؤمن بوجوده كمفهوم قائم بذاته من دون وضعه موضع التساؤل. وفي عالم محكوم على نحو جنوني بهوس النجاح المالي يستحضر الفشل صوراً لذلك الخاسر المطلق، أي الشخص الذي لا يكسب المال أبداً. وعلى النقيض من ذلك ثمة انتشار في الأدب الذي يخبرنا أن الفشل هو في الحقيقة أمر جيد - لأنك إن لم تفشل فهذا يعني أنك لا تشترك في النشاط. إنها محاولة نبيلة تهدف لإنقاذنا من أوهامنا، ولكنها ليست فعّالة كما ينبغي. والسبب الكامن وراء ذلك هو السبب التالي: فبغض النظر عن عدد المرات التي نجربنا فيها رجال الأعمال البارزون وحتى المربون بضرورة تقبل الفشل، وأن نفشل أكثر، وأن نفشل على نحو أفضل، ففي الحقيقة سيستمر المجتمع على استيائه من الفشل. ففي نظمنا التعليمية والقضائية والطبية فنحن نصطف على سلم النجاح الذي يتدرج ما بين (A to F). ويعني الحصول على الدرجة F أنه أمر سيء. لقد أخفقت.

لقد بنينا عالمنا على بيولوجيا عصبية تدفعنا قدماً إلى الأمام، وتخلق رابحين وخاسرين، وبالتالي يكون تعبير «الفشل على نحو أفضل» هو تعبير مخفّف عن «حاول وبجدية أكبر المرة القادمة». وهو لا يعني «أجهض محاولتك قصداً مرة بعد أخرى». وبالتالي إن عبارة «الفشل بامتياز» هي عبارة متناقضة.

ما زلنا نجمع ونتفحص جميع أنواع الفشل تحت مظلة واحدة، وفي جميع جوانب حياتنا لا ننظر لهذه النتائج غير المنتظرة على أنها أمر جيد، بغض النظر عما تقوله الكتب. فالحياة هي على النحو التالي: لا تسير الأمور وفقاً لما هو مخطط. إن استخدام مصطلح الفشل للتعبير عن مجموع الأشياء التي لا تسير وفق المخطط هو أمر ضار خصوصاً فيما أطلقنا عليه اسم «إخفاقات الدرجة الثالثة». فهذه من صنعنا كلية.

الشيء الوحيد الذي نتعلمه من الفشل، كما يكتب «الفي كون» (Alfie Kohn) في «فشل الفشل» (The Failure of Failure) هو أننا لا نحبه ولا نريد تكرار التجربة. وهو يعتبر أن فكرة الفشل البناء

تعود لأخلاق العمل البروتستانتية التي تعتبر المعاناة بمعنى من المعاني حتمية في الطريق لتحقيق الأهداف المطلوبة: «حيث يتم المبالغة بقيمة الفوائد الناتجة عن المعاناة. فالتجارب الناجحة هي التي تكون مصحوبةً غالبًا بالنتائج المطلوبة، لا بالتجارب الفاشلة»<sup>(1)</sup>. لأن المجتمع ينظر إلى التجارب الفاشلة بعدم تفهم، على الرغم من كل ما يقال عن فوائد الفشل كمقدمة للنجاح، ويضع جميع أنواع الفشل في سلة واحدة.

وهذا من سوء الحظ طبعًا، لأن إخفاقات الدرجة الثالثة، في كثير من الحالات، تفضي إلى مفاجآت واكتشافات مذهلة لا يمكن اعتبارها فشلًا. ومرة أخرى نقول إن الهدف الأصلي لم يتحقق، ولكن برزت إلى الواجهة معرفة جديدة وأفكار جديدة واكتشافات جديدة غير مسبوقه كليةً. إذا كانت إخفاقات الدرجة الثانية هي إخفاقات من العيار الثقيل التي تقود إلى أفكار واكتشافات جديدة، فإن إخفاقات الدرجة الثالثة هي إخفاقات شخصية وتكون في الغالب اعتباطية تنسب نحن بها لأنفسنا. نحن نتعلم كيف نوظف إخفاقات الدرجة الثانية كعقبات للنجاح؛ أما إخفاقات الدرجة الثالثة فهي أفكار زائفة يجب التحرر منها.

لا يعتبر الهوس بالإنجازات المادية وصفة مناسبة لحياة أطول وأكثر صحةً. فالأمر أكثر تعقيدًا من ذلك بكثير. فالمسألة هي في كيفية تفاعلنا واستجابتنا لأحداث تبدو مهمة. ولكننا ربطنا بين الجانبين كما لو أن هذا هو الأمر الطبيعي. فبعض الناس على هذا الكوكب ممن يتمتعون بحياة أطول وربما يشعرون بسعادة أكبر هم ريفيون من «أوكيناوا» (Okinawa) في اليابان وجزيرة «سردينيا» (Sardinia) في البحر المتوسط.<sup>(2)</sup> إنهم يأكلون طعامًا مميزًا على نحو استثنائي ويبدلون جهدًا بدنيًا كبيرًا ولديهم إحساس بالترابط الاجتماعي ولديهم هدف. وكلمة «الهدف» هذه هي ما نفتقده في مجتمعنا المولع بالنجاح. يتمثل هدفنا في الغالب في الحصول على مرتبة عالية وكسب المال واقتناء الأشياء، التي نربطها ببقائنا النهائي. وعلى الرغم من أهمية اقتناء ما يلزم من أجل العيش، فإن المقتنيات ليست هدفًا كافيًا من أجل حياة طويلة وسعادة مديدة.

وبالتالي عندما نتحدث عن النجاح فنحن نتحدث عن معنى ضيقٍ من النجاح، وبالترافق مع ذلك يمكننا، وبقليل من التفكير، أن نعيد تعريف الفشل.

لقد اخترعنا، في سياق بحثنا عن التقدم والنجاح، هذا الشيء الذي نسميه الفشل، وهو ما لا يوفر لنا، في معظم الحالات، ما نريد: الصحة والسعادة والحياة المديدة. يمكن لشخص ما في الولايات المتحدة ممن يربط هدف حياته بتحقيق أكبر قدر ممكن من الممتلكات والشهرة والثروة والغنى أن يموت عن اثنين وأربعين عامًا بسبب نوبة قلبية، في حين يمكن لمزارع كادح من سردينيا لا يملك إلا القليل ويستمتع بمسيرة حياته وبأصدقائه ويعي هدفه في الحياة، أن يعيش مئة وستين سنة.<sup>(3)</sup>

الأكثر أهمية في هذا الموضوع هو أن إخفاقات الدرجة الثالثة هي مرض من أمراض العالم الصناعي الحديث. يمكننا أن نكون جريئين في مقاربتنا لها. ما الذي يمكن أن يحصل، مثلًا، لو حذفنا كلمة «فشل» من إخفاقات الدرجة الثالثة واستبدلناها بكلمات «نتائج غير متوقعة»؟ هل سيغير هذا في الأمر أي شيء؟ بالتأكيد ستكون النتائج رائعة بالنسبة لإخفاقات الدرجة الثانية، كبعثة أبولو التي تحمل رقم 13 ورحلة شاكلتون، برغم أنها غير متوقعة. فالمعرفة التي اكتسبها من خلال التجربة - الابتكارات، وأشكال التعاون - من هذه التجارب البشرية كانت نتائج لم تتوقعها هذه البعثات المميزة.

ومن المهم في هذا الصدد أن هذا سينطبق على أخطاء الدرجة الثالثة أيضًا.

## التربية والفشل

ميدان التعليم هو مثال تقليدي عن المجالات التي يظهر بها ما يسمى إخفاقات، في كل يوم من حياة الأطفال والشباب.

إن وضع تصنيفات لحالات الفشل ومن ثم إعادة تحديد ما هو المقصود بالفشل في هذا السياق، يمكن أن يوصلنا كمجتمع إلى نمط تفكير جديد - أو نموذج جديد - ويمكن أن يقود إلى نتائج إيجابية في مناحٍ مختلفة على نحو يؤثر على مستوى سعادتنا، والأكثر أهمية، مدى حياتنا.

انطلاقاً من هذا قامت بعض مدارس ومعاهد التعليم العالي بالتخلي عن نظام التقييم التقليدي. وهذا يناسب خصوصاً مستوى التعليم الأساسي للأطفال، لأنهم يتقدمون وفقاً له تبعاً لمعايير لا تتعامل معهم كما لو أنهم في سباق للجري. ليس هناك من رابحين أو خاسرين، بل مجموعة من المتزهين الذين يتسلقون جبلاً مختلفاً، ويعتمدون طرقاً مختلفة للوصول إلى غاياتهم. ففي بيئة المدرسة، يمكننا تقبل التجربة والخطأ وعدم الخوف من النتيجة إذا لم يتم تحميلها أو تصنيفها وفقاً لمعايير النجاح / الفشل. وعندما نعتمد نهج التجربة، والخطأ أو نهج الرحلة المتطورة في كل موضوع وفي كل مستوى، فإننا نفسح المجال أمام الطبيعة الحقيقية للبشر كي تعبر عن نفسها. يمكننا أن نستعمل المنهج العلمي: حاول توجيه فتحة البخار وفق هذه الزاوية من أجل جعل العنفة تعمل، وفي حال لم تعمل، نجرب زوايا أخرى حتى نجد الوضع المثالي. في هذه الحالة لا تعتبر أيًا من النقاط التي جربناها في مسيرتنا فشلاً؛ بل هي مجرد تجارب. هذه الزاوية غير مناسبة على الإطلاق: هذه تعمل، ولكنها ليست الأخيرة.

ينطبق الأمر نفسه على كتابة المقالات: هذه المقالة تقدم عددًا من النقاط الجيدة، ولكن يمكن تطوير اللغة على نحو أفضل، ويمكنك أن تناقش كيف أن نمو الكاتب أثناء الحرب أثر على اختياره للموضوع. تمت هذه الأمور من أجل النسخة الثانية. ليس ثمة درجات، مجرد فكرة أنه عند القيام بذلك، يمكنك الانتقال إلى المستوى التالي، المهمة التالية، بعد توفر كل ما تحتاجه. فأنت تتنافس مع نفسك أو مع الآخرين إن أردت، ولكن لن تحمل أبداً بطاقة «الفشل» أو «طالب من المرتبة D» في رأسك أو في قلبك. وليس هناك من يطلب منك تقبل الفشل، لأنه ليس هناك من فشل. وكما هو الحال في تسلق الجبل، هناك مستويات مختلفة، وعندما تكون مؤهلاً جيداً وتناسبك الظروف، فستصل إلى القمة، إن كانت هدفاً لك. تنمي هذه الطريقة المرونة لدى الأطفال الذين تتطور جملتهم العصبية بسرعة. فعندما نحسن أطفالنا من الشعور بالدونية منذ الصغر سيكون شعورهم باليأس والخضوع أقل عندما يكبرون. وربما يزيد هذا في أعمارهم وأعمارنا أيضاً. لو كان بإمكاننا أن نمحو كلمة ومفهوم الفشل من إخفاقات الدرجة الثالثة كليةً، لكان بإمكاننا التأثير في النهاية على نمطنا العصبي وعلى ردود فعل المجتمع. إذا أردنا أن نغير حياتنا على نحوٍ إيجابي يجب أن تصبح أفكارنا عن الفشل أكثر تطوراً.

يمكن لهذا أن يكون سيناريو نموذجي: تخيل أن هناك شخصان أستراليان، جوستين ومارك، عمر كل منهما ثمانية عشر عاماً. علامة النجاح في الامتحان النهائي للغة الإنكليزية هي الخمسين بالمائة. حصل جوستين على ثمان وأربعين درجة، وبالتالي رسب في الامتحان ويتوجب عليه إعادته. وجوستين الآن بنفس وضع مارك الذي لم يدرس ونال عشرة بالمائة في الامتحان - مع أنه من الواضح أن جوستين يعرف معظم

منهاجه. يشعر جوستين الآن كما لو أنه فشل. في الامتحان التالي، في الأدب، حددت علامة النجاح بأربعين بالمائة. إن الحصول على 48 بالمائة في هذا الامتحان يعتبر درجة مقبولة، وعندما يحصل عليها جوستين يشعر بالابتهاج؛ هو يعلم ما يلزم معرفته كي لا يعيد الامتحان، بالرغم من أن نسبة الأجوبة الخاطئة التي في هذا الامتحان هي كنسبتها في الامتحان السابق. بالطبع قررت السلطات التعليمية في لحظة ما أن النجاح في امتحان اللغة الإنكليزية يستوجب أن تكون خمسون بالمائة من الأجوبة صحيحة، في حين يكفي أن تكون هذه النسبة أربعين بالمائة بالنسبة لبقية المواد. ربما كان هذا اعتباريًا، ولكن إحساس الفشل الذي تملك جوستين بعد الامتحان رافقه لعدة شهور، بالرغم من أنه أخطأ في سؤال واحد وكان طالبًا جيدًا فيما عدا ذلك. وإذا ما أعاد الامتحان مباشرة بعد ذلك من الممكن أن يحصل بسهولة على علامة الخمسين بالمائة المطلوبة، باعتبار أن الامتحانات تبدو كما لو أنها ضربة حظ بالنسبة للطلاب ويمكن للنتائج أن تتغير كثيرًا<sup>(4)</sup>.

مع ذلك، في جامعة قريبة، تقوم راشيل بالإعداد لدرجة الدكتوراه. عندما تسلم أطروحتها ستحصل على أحد الأجوبة الثلاثة: إما أنها مقبولة، أو أنها مقبولة شريطة القيام بتعديلات طفيفة، أو سيتم قبولها إن أقدمت على إجراء تعديلات كبيرة. وبالتالي ينتظرها الحكم إما أنها كفؤة أو أنها في الطريق لنيل الكفاءة. فهي لن تعطى درجة أبدًا، ولديها فرصة للحصول على الوقت اللازم لتجاوز عملية الامتحان. هل يمكن للمدارس والجامعات والصناعة التربوية بكاملها أن تعمل على هذا النحو؟ وهل ستكون ناجحة؟ طبعًا. هناك العديد من الأمثلة التي ستتطرق لها لاحقًا، ولكن معظمنا يعيش في عالم يعطى فيه الطلاب الدرجات من اللحظة التي يبدوون فيها المدرسة، وعقولنا معدة من عمر مبكر للاستجابة للإشارات التي تعطى لنا على أننا «ناجحون» أو «فاشلون». كما تتفاعل أجسادنا وفقًا لذلك. عندما نحصل على الدرجة A في امتحان ما يحصل لدينا ارتفاع في مستويات الدوبامين والتستسترون، ونشعر عندها أننا نجحنا في التنافس الكبير من أجل الحياة. مع ذلك فإن هذه البنية اعتباطية تمامًا، ومن صنع أيدينا، ولا تُترجم بالضرورة إلى أشياء نعتقد أنها مرتبطة بهذه الدرجات التي أعطيت للطلاب في وقت مبكر: كالصحة والسعادة والنجاح المالي اللاحق. المعلمون - وهم مخلوقات بشرية خاطئة - هم من يضع علامة النجاح وليس الكون أو الله. وهم من يقرر أن هذا A أو B أو C، أو أن علامة النجاح لهذا المقرر هي أربعين بالمائة في حين يمكن أن تكون لمقرر آخر 33.3 بالمائة. وفي النتيجة يتحرك قسم كامل من السكان وهم يعتقدون أنهم فاشلون، كما لو كان لديهم مرض خفي.

شارلي في السابعة من عمره ولكنه لا يستطيع القراءة بعد. بحلول الآن يقرأ معظم زملاء صفه، مع ذلك يحاول جاهدًا أن يتذكر إن كان ينظر إلى حرف B أو حرف D وكيف يلفظ ذلك الحرف. فهو لا يستطيع أن يتذكر كيفية تهجئة الكلمات.

بعد عام أو عامين من الفشل في الاختبارات الصغيرة، أصبح عقل شارلي معدًا بحيث يخاف من الامتحانات وينظر إلى نفسه على أنه غبي وفاشل. وسيحمل هذا التصور عن نفسه إلى المرحلة الثانوية، وربما إلى الجامعة والعمل، لأنه أصبح ضمن مجموعة من الطلاب الذين يقعون دائمًا إلى الخلف ويفشلون دائمًا، حتى لو كان السبب هو أن الأدمغة تتطور بوتائر مختلفة جدًا - وأن الأطفال يبرعون في الأشياء على نحو متباين بحيث يكون هناك في أي وقت مسافة خمس سنوات فاصلة بين الطلاب الأكثر كفاءة والأقل كفاءة في الصف نفسه.

ولكن ربما يذهب شارلي إلى ثانوية سانبورن ريجينال في نيوهامشاير، إحدى المدارس العديدة التي تركز على التعليم وفقاً للكفاءة.<sup>(5)</sup> لقد تخلت هذه المدارس عن الدرجات - الحروف - يعطي المعلمون الطلاب مراجعة واسعة ومفيدة، ويعطي الطلاب قائمة بالتصورات التكوينية كي يقيّموا مقرراتهم قبل أن تصبح بين أيديهم. ينخرط الطلاب في المشاريع التي تنفذ ضمن برنامج مرّن. وبالتالي كيف سيكون الجلاء المدرسي الخاص بشارلي في سانبورن؟ لن يشبه في شيء الجلاء السابق المبني على الدرجات - الحروف - سيظهر قائمة بالمهارات الرئيسية ثم يبين إن كان شارلي قد أصبح متمكناً من هذه المهارة أم لم يصبح بعد. وفي حال لم يظهر كفاءة، يمكنه القيام بأشياء أخرى لنيل الاعتراف بالكفاءة. وسيشكل نوعاً من المفاجأة، لأنه مؤهل في معظم مواد الدراسة. لقد استعاد شجاعته، وأعطى الوقت خلال الفصل الدراسي للوصول إلى المستوى المطلوب من الفهم كي يكون مؤهلاً. هناك نظامٌ كامل مكرّس لدعمه في المجالات التي يحتاج فيها للمساعدة. وفي النهاية، يتم التعبير عن مؤهلاته بالمعدل العام ومن ثم درجته النهائية.<sup>(6)</sup> لقد اقتنع العديد من الكليات والجامعات في الولايات المتحدة بهذه الطريقة، ولكن ما يزال هذا استثناءً وليس قاعدة.<sup>(7)</sup> تعتمد الكلية الجديدة "في فلوريدا و"أيفرغرين ستيت كوليدج" في واشنطن و"ريد كوليج" في أوريغون، الدرجات بحسب الكفاءة في جميع ميادين الدراسة. أنت تعمل حتى تصبح كفوّاً؛ أنت تعمل وتنجز مهام في مشروع أعلى كي تظهر تعليمك. وعدم وجود مشروع لا يعني الفشل. بل يعني فقط عدم وجود مشروع. هذه طريقة مختلفة جداً. فأنت لست موضع تقييم أو حكم؛ بل تعطى تغذية راجعة وقوة من دون أن يكون هناك وصمة مرافقة، ما من شأنه أن يظهر أن مفهومنا عن الفشل الأكاديمي يقوم كلية على نموذج اعتباطي وغير ضروري. إن إخفاقات الدرجة الثالثة هي نتيجة تصوراتنا العشوائية.

تقوم الدرجات بثلاثة أشياء، بحسب ألفي كوهن:

• تقلل الدرجات من اهتمام الطلاب بما يتعلمون. لقد تبين أن التوجه القائم على إعطاء الدرجات يتناقض مع التوجه القائم على التعلم، لقد بينت الدراسات التي بحثت عن أثر تلقي الدرجات على الحافز الجوهري للتعلم، عن وجود تأثير سلبي.

• تدفع الدرجات لتفضيل أسهل مهمة ممكنة. فالطلاب يستجيبون للبالغين الذين يرسلون الرسالة التي مفادها أن النجاح أهم من التعلم بقولهم أن الهدف هو تحصيل علامة جيدة.

• تميل الدرجات للتقليل من نوعية تفكير الطلاب. ففي إحدى التجارب أظهر الطلاب الذين تمّ إخبارهم أنه سيتم منحهم درجات وفقاً لمستوى فهمهم لدرس عن الدراسات الاجتماعية، درجة أكبر من الصعوبة في فهم الفكرة الرئيسية، من الطلاب الذين تمّ إخبارهم أنه لن يكون هناك درجات. وحتى من زاوية الحفظ أظهرت المجموعة التي اعتمد معها نظام الدرجات قدرة أقل على الحفظ بعد أسبوع من الزمن.<sup>(8)</sup>

وفي مقالة حديثة تناقش قضايا أساسية تتعلق بالتقييم المدرسي في أستراليا، يكتب البروفيسور جيوف ماسترز، المدير التنفيذي للمجلس الأسترالي للبحث التربوي - وهي هيئة تقدم معايير تقييم للمدارس ونصائح للحكومات - ما يلي:

“هناك خلل كبير في الطريقة التي يتم بها تقييم طلاب المدارس حالياً. من خلال تصنيفهم إلى جديدين وضعفاء. بناء على الدرجات الإجمالية التي ينالونها في نهاية كل عام، لا يعرف الطلاب على نحو واضح إن كانوا يحرزون تقدماً في المراحل الزمنية المتتالية. فالطلاب الذين يتلقون الدرجة D هذا العام والعام التالي وما بعده، يمكن أن يستنتجوا أن هناك نوعاً من العجز فيما يتعلق بقدرتهم على التعلم - إنهم طلاب الدرجة D - يترك الكثير من هؤلاء الطلاب في النهاية مسيرتهم المدرسية”<sup>(9)</sup>.

يرى الموجهون التربويون أن هناك حاجة لإحداث تغيير يعكس مدى تقدم التلاميذ في مسيرتهم المدرسية. وسيكون هذا أفضل من الدرجات - الحروف - التي تنتظر آلاف من الشباب في جلاءاتهم المدرسية في نهاية العام، وما تسببه من إحساس بالفشل لدى عدد لا يحصى من الشباب.

بالطبع هناك طلاب لا يفهم الحظ في النجاح حتى في التعليم المستند على الكفاءة، ومع تقدم الزمن لا يتقدمون في القراءة والحساب. وهؤلاء الطلاب ليسوا فاشلين. فهؤلاء يقعون غالباً خارج التصنيف الأكاديمي ولكن لديهم مواهب في مجالات غير منظورة في قاعة المدرسة. إن استبعاد وصمة الفشل يمكن أن يساعد هؤلاء الطلاب أيضاً. فعندما نلغي الدرجات فإننا نلغي معها أعباء العار المرافقة والسباق إلى القمة والخوف من الفشل. ليس هناك من قمة. هناك فقط مهمة ورحلة. والطلاب الذين لا يحققون معايير الكفاءة في البداية يجب إعطاؤهم كل الفرص والدعم من أجل أن يتقدموا إلى الأمام. وبالطبع يعتمد هذا على الطالب. يمكن للطلاب الذي لا يقدم أي دليل على التغذية الراجعة أو التقييم الأكاديمي أن يتمتع بمواهب أخرى يجدر بنا في هذه الحالة متابعته فيها. ويعود للمدرسين ومسؤولي التعليم تحديد الاتجاهات التي يمكن لهؤلاء الطلاب أن يتألقوا فيها.

لقد ساعدت إحدى المشاركات في تأليف هذا الكتاب، شيلي دافيدوف، الكثير من الشباب الموهوبين، ولكن الفاشلين أكاديمياً، في إيجاد بدائل للتعليم المدرسي التقليدي، كمتابعة مناهج غير أكاديمية من شأنها تطوير المهارات والكفاءات في مجالات متخصصة. وكان أحد أكبر الفاشلين الأكاديميين لديها موسيقي ناشئ لم يقدم أي عمل أكاديمي في الصف العاشر. لقد شجعت شيلي على متابعة التدريب المهني في تكنولوجيا الموسيقى. وقد عمل بنصيححتها وهو يكسب عيشه اليوم كموسيقي. كما عمد طالب آخر فاشل للتدرب في البناء وهو يتفوق في دخله اليوم عن جميع معلميه السابقين. هؤلاء التلاميذ ليسوا فاشلين؛ ولكن لم يتمتعوا بذهن أو بدافع أكاديمي. ويحتاج عالمنا المعاصر لما هو أكثر من شعب من العلماء كآينشتاين.

لقد وقعنا فريسة لأكذوبة الفشل الأكاديمي التي تقول: «العلامات الجيدة في المدرسة تعني فرصاً أفضل للدخول إلى كلية جيدة، وهذه تعني فرصاً أفضل للحصول على عمل جيد، وهذا يعني فرصة أفضل كي تكون ناجحاً مادياً، الأمر الذي يعني السعادة النهائية»، لقد آن الأوان لدحض هذه الأكذوبة. وفي الحقيقة، لا تستقيم هذه المعادلة حتى بمعيار النجاح والثروة المالية.

في كتابه «عقل المليونير» (The Millionaire Mind) بين توماس ستانلي، عالم الرياضيات في جامعة هارفارد، من خلال دراسة له أنه ليس هناك من ارتباط بين النجاح المدرسي والنجاح المالي اللاحق. ولا علاقة للدرجات والنقاط في اختبار للالتحاق بالجامعات في أميركا بهذا الأمر، بغض النظر عما إذا كان الطلاب متميزين أم لا. وفي الحقيقة كان بعض من أغنى الناس في الولايات المتحدة ممن لم يكمل دراسته. وبالتالي لا يعتبر النجاح الأكاديمي دليلاً على أن الطالب سيكون مليونيراً في المستقبل.<sup>(10)</sup>

بالإضافة لذلك تكتب كارين أرنولد، بروفييسورة التربية في جامعة بوسطن: “أن يكون الشخص طالبًا متميزًا فهذا يعني أنه جيد في تسجيل العلامات. ولكن هذا لا يفيدنا في شيء من حيث طبيعة تفاعله تجاه تقلبات الحياة”.<sup>(11)</sup>

### السياق وإخفاقات الدرجة الثالثة

تواجهنا فرص عديدة للإخفاق في كل يوم، والمجتمع هو من يجعل من الصعب أن نمحو فكرة الفشل الشخصي من حياتنا. ولكن بالرغم من أن تجربة الفشل حقيقية، يبقى هذا الفشل نسبيًا، وهناك طرق لإعادة تصور الفشل على نحو يمكن معه أن نلغيه من عالمنا الشخصي.

فيما يلي مثال كيف أن إحساسنا بالفشل يرتبط على نحو معقد بالسياق والتصور: لو ذهبنا إلى مسابقة والتقطنا بطاقة رابحة من القعبة وربحنا عشرة آلاف دولار، وذهبنا بما ربحنا فسوف نشعر بالنشوة. عندها سنجد أنفسنا أغنى بعشرة آلاف دولار من اليوم السابق، وهو ما سيجعلنا سعداء. ولكن إذا دخلنا مسابقة لربح مائة ألف دولار، وربحنا فقط عشرة آلاف دولار فمن المرجح أن نشعر بالفشل والخسارة، بالرغم من أنه لم يكن بحوزتنا مائة ألف دولار أصلاً. تصوراتنا عن الفشل محكومة بالظروف، وهي لا ترتبط في الغالب بالحقائق التي تواجهنا. في الحالة الأولى أصبحنا أغنى بعشرة آلاف دولار. وفي الحالة الثانية نحن أيضاً أغنى بعشرة آلاف دولار. ولكن في الحالة الأولى شعرنا بالابتهاج وبالنجاح كما لو كنا رابحين، أما في الحالة الثانية انتابنا شعور بالخيبة والإخفاق كما لو كنا خاسرين. إن تصورنا عن الإخفاق يعتمد كلية على السيناريو الذي كتبناه.

في كتابه «التفكير، بسرعة وببطء» (Thinking Fast and Slow)، يناقش دانيال كانيان هذا الاتجاه لدينا، ويبين استعدادنا الأولي للتصرف على نحو محدد. إن الطابع الظرفي لإحساسنا بالخسارة أو الخيبة يعود بالضبط لكونها متعلقة بسياق ما. كما أن كره الخسارة يدفعنا للقيام بأعمال غريبة. فعندما نتصرف بدافع الخوف من الخسارة، فمن المرجح أن نلوذ بالبيت زماماً أطول أو أن نكون في حالة انفعالٍ حتى عندما نربح شيء ما كبيراً، لأننا أردنا أن نربح ما هو أكبر منه.<sup>(12)</sup>

إن تصورنا عن الفشل هو أمرٌ شخصي إلى حدٍ بعيد. فما يبدو فشلاً بالنسبة لشخص ما يمكن أن يكون نجاحاً بالنسبة لشخص آخر. لنتخيل شخصين في ظروف مختلفة جداً: توم الذي تعرض لغيوبة لثمانية أسابيع، ليتمكن بعدها من السير لمسافة ستة أقدام بالغرفة. هذا يعتبر ماثرة ونجاحاً كبيراً. أما سالي، التي أخفقت في الوصول إلى قمة جبل إفرست في مغامرتها الأخيرة إلى نيبال، فهي تشعر كما لو أنها فاشلة. سالي لن تقيم اعتباراً لإنجاز توم، في حين يصعب على توم النظر إلى تسلق سالي لجبل إفرست، دون أن تصل إلى القمة، على أنه فشل.

جانيت بريدجز<sup>(13)</sup> صديقة تم تشخيصها بأنها مصابة بالسرطان مرتين. في المرة الأخيرة التي تم تشخيص المرض فيها كانت بحالة غيبوبة، وقد جاء جميع أصدقائها لوداعها. كانت التقديرات أنها في ساعاتها الأخيرة، وكانت عائلتها - بما في ذلك ولديها المراهقين - إلى جوارها لمرافقتها في آخر لحظات حياتها. حدث هذا قبل خمس سنوات. لقد تعافت بطريقة مذهلة وعادت فعلياً من بين براثن الموت. ومنذ

بضعة أشهر اكتشفت كتلة في ثديها وكان هذا هو التشخيص الثالث. وقد أخبرها اختصاصي الأورام أن المرض محصور وفي المرحلة الأولى، وليس انتقالاً من السرطان السابق. وعندما خضعت للعمل الجراحي قام الجراحون باستئصال الكتلة كلها. ثم بدأت بالتعافي ثانية، وهي مفعمة بالطاقة الإيجابية. قالت إنها أصيبت هذه المرة بسرطان حميد لحسن الحظ. وباعتبار أنها كانت على وشك الموت قبل خمس سنوات، نظرت إلى هذا التشخيص الثالث، ورأت فيه، على نحو لا يصدق، أنه مجرد تحدٍ يمكن التغلب عليه، وليس حكماً بالموت. تخيلوا كيف سيكون رد الفعل مختلفاً تجاه سرطان ثدي من الدرجة الأولى، لدى امرأة عاشت حياتها وهي في تمام الصحة ولم تمر بما مرت به جانيس. وبالتالي الفشل أمرٌ نسبي.

إذا أدركنا أن حالات الفشل ليست أشياء موضوعية تحدث لنا عندما نقوم بالأمر على نحو خاطئ، بل أن أنفسنا والآخرين يقومون بإعدادنا. فنحن نربط ونقارن أنفسنا بالآخرين، وبرغباتنا وتوقعاتنا، ونسبم أنفسنا وفقاً لتلك التوقعات المتغيرة دائماً، معتقدين أن هذه السهات دائمة.

الحقيقة الأولى السامية، بحسب بوذا قبل 2500 عام، هي أن الحياة لن تستجيب لتوقعاتنا منها حتماً، وأن معظم معاناتنا هو بسبب عجزنا عن تحقيق رغباتنا وإنجاز أهدافنا. كما أكد أنه حتى عندما نشبع حاجتنا الآنية، فإن هذا الإشباع لن يدوم وسنستمر في التعبير عن المزيد من الحاجات - ومن الصعب إنكار صحة ذلك أينما نظرنا في عالم اليوم. والعلاج الذي يقدمه هو أن نحاول عزل أنفسنا عن رغباتنا وعن الأشياء التي نملكها. وعلى هذا النحو يرى بوذا أنه يمكن لنا أن نخفف من معاناتنا. وسوف نخرج على هذا أكثر في الفصل الثامن حين نناقش وجهات النظر العالمية الدينية والفلسفية كحلول للتعامل مع الفشل.

ليو غولدبيرغ<sup>(14)</sup> رجل أعمال في كاليفورنيا خسر عمله بعد حوالي ثلاثين عاماً من العمل الجاد. وكان شريكه قد اتخذ بعض القرارات الرهيبة من دون علمه. لقد دفعته التكاليف القانونية في مواجهة ما هو محتوم، على الاعتراف بأن حلمه بالتقاعد أخيراً على أساس العمل الجاد الذي بذله، قد تلاشى تماماً.

فبعد أن كان سيد نفسه لسنوات طويلة، انتقل للبحث عن عمل. لقد أصبح موظفاً يتقاضى راتباً، ليكسب ما يكفيه للعيش، ولكنه أصبح في مواجهة حقيقة أنه، وهو في الستين من العمر، سيتوجب عليه العمل مدى الحياة. لا تقاعد ولا مدخرات. لقد ذهب كل شيء مع العمل.

انتاب القلق كل شخص منّا كان يعرفه. هل سيستوعب ما جرى؟ لقد علمنا أنه كان يعمل بمعدل سبعة عشر ساعة في اليوم طيلة حياته العملية، وفي أغلب الأحيان ستة أيام في الأسبوع، وكل هذا قد انتهى.

ولكن ليو اتخذ موقفاً مثيراً للانتباه. فعندما تحدثنا معه ونحن على الغداء في إحدى الأمسيات، وسألناه كيف كانت تسير أموره وما هي نظرته لما جرى، ابتسم وهز كتفيه وقال: «هذه هي الحياة، أيها الأصدقاء. بالتأكيد كانت تجربة قاسية، انتهزت فرصتي، ولكن في النهاية ما الذي يمكنني فعله؟ لدي الآن عمل، واستمتع بعطلة نهاية الأسبوع. الحياة قصيرة جداً ولا يجوز أن تسمح لهذه الأمور أن تحطمك. عليّ أن أغير خططي، وأحلامي، ولكنني ما أزال هنا، وما زلت أحياء. وهذا هو المهم».

يمكن أن نتخيل أنه يرغب بالثورة ضد الظلم الذي لحق به، وأن ينتقم من الشريك الذي ألحق به الكثير من الأذى، ودمر حياته فعلياً.

ولكنه لم يكن يرى الأمور على هذا النحو.

كانت خسارة عمله بهذه الطريقة نتيجة غير متوقعة ومزعجة جدًا وغير مرغوبة. وقد اعترف ليو بذلك، ولكنه وضع كل طاقته للشروع بحياة جديدة، والتمتع بالأشياء التي يجب، وعدم ربط إحساسه بالذات بما حدث. لم يكن باستطاعته أن يستعيد ما فقد، ولكنه لم يشعر أنه فاشل. كان خياره أن ينظر للأمور على النحو التالي: أدرك أنه وضع لنفسه أهدافًا، ولكن الحياة واجهته بما لا حيلة له إزاءه. لقد قال: عليك أن تتابع المسير. لا يعني هذا أنه لم يكن منكبًا على عمله ومهتمًا بأحلامه. لقد أدرك أنه ليس هناك ما يمكن فعله سوى أن يعيش كل يوم، وأن يستفيد الاستفادة القصوى مما لديه.

الميدان الآخر الذي نقيم فيه أنفسنا ونخضع فيه لتقييم الآخرين، هو ميدان علاقاتنا الشخصية. إذ أن المجتمع يضع المعايير والتوقعات، لننجح فيها أو نفشل. ولكن هذا نظام آخر للتقييم بالدرجات. إنه مجرد بنية.

عندما ندخل في علاقة ونتزوج في نهاية المطاف، فإننا نسلم بمعنى ما بالمعادلة التالية: الالتزام بالزواج يعني النجاح؛ والطلاق يعني الفشل. وهذه معايير ضيقة، وعلى الرغم من أننا نعرف أن هذا فعليًا ليس صحيحًا - إن الحفاظ على العلاقة بالنسبة لكثير من الناس أسوأ من التحرر منها - فإننا نبقي غالبًا ملتزمين بتطلعات هؤلاء الذين يحيطون بنا.

كانت لارا جيمس<sup>(15)</sup> مقدمة الطبخ في برنامج طبخ شهير في لوس أنجلوس، في عامها الثالث والثلاثين، عندما طلب منها الرجل الذي كانت على علاقة به أن تتزوجه. كانت تحضر إلى المنصة حيث جميع أفرادها متزوجون ولديهم أطفال، وكان هناك ضغط كبير عليها للزواج مثلهم. وبالتالي قامت بما كان يلزمها عندما طلب منها الزواج. قالت: «كان شابًا ليس لامعًا. وقد أسرني أن يطلب الزواج مني، وقد اعتقدت أنه يمكنني أن أساعده كي يصبح أكثر حضورًا وأكثر رسوخًا».

بعد شهرين مات جدها وذهبت إلى إيست كوست كي تكون مع عائلتها. رفض زوجها الذهاب معها، وشعرت مرة أخرى أنه غير مبالٍ للظروف ولم يعبأ لفقدانها. وفي تلك الليلة حصل أمر ما.

كانت ليلة غريبة. إذ أنني ذهبت للنوم باكراً. استيقظت في الحادية عشرة والنصف ليلاً، وبدأ لي كما لو أن جدي كان موجودًا هناك في الغرفة. بدا لي كما لو أنه كان يقول إن ذلك الزواج كان خاطئًا. وكان ثمة حضور للفكرة القائلة: عليك أن تستيقظي. هذه الحياة ليست حياتك. لم أتمكن بعدها من النوم. وكان قلبي يخفق. واكتشفت فيما بعد أن زوجي قد خانني في تلك الليلة بينما أنا خارج المدينة. وبعد عدة شهور أخبرني بما فعل وكان مقتنعًا أنني لن أتركه. لقد ظن أنني سأنظر لتركه والطلاق منه كفشل، وبأني مثالية إلى حد لا يمكنني أن أتركه حتى لو ارتكب أفعالاً مشينة. لقد استغرق الأمر عدة شهور كي أستوعب الأمر وأدرك أن هذه المعادلة ليست في صالحني. وبدأ كما لو أن جدي أوصاني ألا أضحي بنفسني إلى هذا الحد. ولكن في ذلك الحين بدأ الأمر كأنه فشلًا... وتساءلت إلى أي حد يمكن أن أكون قصيرة النظر - كنت أرخص لكل هذا الضغط - وكنت في حينها في الرابعة والثلاثين من عمري، وأواجه هذا الضغط من أجل حل المشكلة. إن تخلي النساء عن العلاقة ليست مقبولة في ثقافتنا، كما هو الحال بالنسبة للرجل. أنا لم أر فشل زواجي على هذا النحو... ولكن ما حصل في النهاية هو التالي: لقد أدركت أن خوفي من الفشل أكبر من سعادتي الفعلية. كان هذا

أعظم درس بالنسبة لي. في أعقاب هذا الزواج الفاشل اتخذت بعض القرارات من قبيل: لن أقيم علاقة أخرى حتى الخمسين من عمري، أو لن أرتبط مرة أخرى بأحد. كنت مجرد مذعورة من فهم العلاقة على حقيقتها.

لقد استغل الإطراء لارا؛ إذ دفعتها المثالية الرومانسية بأنها قادرة على مساعدة زوجها إلى وضع لا يمكن الدفاع عنه.

يشبه الأمر تمامًا إعجابك بعرض عمل مذهل، ولكن عندما تفكر باستمرار إذا كان هذا سيعجبك ويجلب لك الفرح والسعادة، ربما لن تجده أمرًا عظيمًا. إن إغراء الأشياء الخارجية يصيبنا بالتشوش. إن أسلوب الحماية هذا والمتمثل في الانغلاق على الذات، وعدم إقامة علاقة حتى الخمسين من العمر، كان من الممكن أن يكون فشلًا.

لأن ما حصل في النهاية هو أن الحب جاء خلسةً، وعلى نحو مدهش ونقي، في الوقت الذي لم أكن أهتم به أو أبحث عنه. أنا الآن سعيدة جدًا. أنا مع شخص رائع، وممتنة لما حصل، لأنني أرى الآن بوضوح شديد كيف أن التخلي عن ذلك الزواج لم يكن فشلًا. ومن المدهش بالنسبة لي ما سنقوم به لتجنب فكرة الفشل حتى لو كنا نعلم أنه ليس طريق سارًا.

لو أن الحياة، بما فيها الزواج، رحلة - وهي كذلك بالتأكيد، باعتبار أننا نختبر أشياء جديدة في كل يوم - لتوجب علينا أن نعرف أن المفاجآت غير المتوقعة محتملة الحدوث جدًا.

### تغيير مواقع الأهداف

الشيء الوحيد المؤكد في هذا العالم هو أن التغيير محتوم، وأنا جزء من ذلك التغيير. تتغير الأهداف، وتبدل النوايا. حتى عندما نحصل على ما نريد، سيكون لدينا أهدافًا ورغبات جديدة.

نقوم نحن، ومجتمعنا، ورؤساؤنا الذين يطالبوننا بتحقيق الأهداف، والمعلمون الذين يطالبون أطفالنا بتحقيق المعايير المطلوبة، بفرض إخفاقات الدرجة الثالثة علينا.

تم مؤخرًا طرح السؤال التالي على اثنين وعشرين طالبًا وكاتبًا زائرًا: متى يمكن أن تعتبر نفسك كاتبًا ناجحًا؟ حدث ذلك في جامعة سن شاين في كوينزلاند، وفي صف الكتابة الإبداعية الذي كان يركز على تقديم الطلاب إلى لصناعة النشر. أجاب الطالب الأول: «عندما أنتهي من كتابة المسودة الموجودة حاليًا بين يدي».

وأجاب الطالب الثاني: «عندما يتم قبول روايتي».

وأجاب الطالب الثالث: «عندما أرى كتابي على أحد الرفوف في مكتبة كبيرة».

أما المعلم فأجاب: «عندما أعتد في العيش على كتابتي من دون الحاجة للتعليم».

وأخيراً قال الكاتب الضيف: “عندما أعقد صفقة لفيلم عن كتابي، وأملك عدة ملايين من الدولارات في البنك، وأجلس على الشاطئ في تايلاند وأنا أشرب الكوكتيل”.

وبالتالي كان الفشل بالنسبة للطالبة الأولى، هو عدم تمكنها من إنهاء مسودتها.

وكان الفشل بالنسبة للطالب الثاني، هو عدم قبول روايته.

أما الفشل بالنسبة للطالب الثالث، فكان عدم مشاهدة كتابه على رف أحد المكتبات الكبيرة.

وكان فشل المعلم، في عدم تمكنه من العيش من كتابته.

فشل الكاتب الزائر، هو في عدم بيع كتابه للسينما، وعدم تمكنه من جمع ملايين الدولارات، وعدم وصوله إلى تايلاند كي يشرب نخب هذه النجاحات.

ومن الواضح أن الفشل في هذا السياق يختلف من شخص إلى آخر - والأكثر أهمية أن أفكار هؤلاء الطلاب عن الفشل ستتطور مع تقدمهم - فالطالب الذي ينهي مخطوطته سيتطلع بعد ذلك لنشرها؛ والطالبة التي تنشر روايتها لن تشعر بالنجاح حقاً حتى تنال جائزة، وهلم جرا. والسبب العميق لهذا، أن الطموح والارتقاء وتحقيق الإنجازات هي من طبيعة الإنسان التطورية، وبالتالي يتوجب علينا أن نتمتع بالوعي الزائد الذي مفاده أن تعريف ما يشكل فشلاً في حياتنا يتغير باستمرار. فإذا كان مكتوباً علينا أن نفشل، فلماذا لا نفشل بتميز؟

من الناحية المثالية، ستقوم المدارس والجامعات في النهاية بشطب كامل مفهوم الفشل من ميادين نشاطها. وسيركز المدير التنفيذي لشركة عقارية على تعزيز إمكانيات العميل ذو الأداء الضعيف، وتقديم خطط للتطوير لا توحى بأن الشخص بذاته فاشل. ولكن من غير المرجح أن تتحقق هذه الحالة المثالية في مستقبل قريب. وبالتالي علينا نحن كأشخاص ذوي تفكير حر وقادرين على تدوين ردود أفعالنا وقصصنا، أن نتولى زمام قضايانا بأنفسنا. لا نستطيع أن نتحكم بما يفعله العالم، ولكن يمكن أن نتحكم بكيفية تعاملنا مع ما يسمى إخفاقات الدرجة الثالثة.

وبالتالي كيف نتصرف كي نحمي أنفسنا من أن نكون ضحايا لفكرة الفشل الشخصي، عندما يعمد العالم بإصرار لتقسيمنا إلى فريقين، فريق الناجحين وفريق الفاشلين؟

نحن نبدأ في النظر إلى الأشياء غير السارة في الحياة كواجب. دعونا نتخيل أسوأ سيناريو:

أنت تعمل كوكيل عقاري، وعملك يتطلب أن تحقق هدفك في الحصول على ثلاثين فرصة بيع محتملة يومياً - ولا يمكنك تغيير ذلك الشرط - تمارس رئيسة العمل الضغط على الجميع وتمتع بشخصية شبيهة بحيوان القنفذ. وهي تفضل دائماً زميلك الناجح الذي ترتفع مبيعاته وتعبس إزاء فشلك النسبي. فأأي خيار لديك؟

يمكن أن تغادر. ولكن قد لا تكون قادراً على إيجاد عمل آخر سريعاً.

ويمكن أن تبقى وتواجه تهمة الفشل، وتوبخ نفسك بسبب عدم كفاءتك، وتقبل بالتصور القائل إنه لا جدوى منك.

أو يمكن أن تشرع بالبحث عن عمل جديد حيث تكون أخلاق الشركة شبيهة بأخلاقك. في غضون ذلك يمكنك عدم تبني التصور بأنك شخصياً إنسان فاشل. إن قدرتك في الحصول على فرص للبيع ليست انعكاساً لما أنت عليه كشخص. فلو ذهبت غداً إلى عمل آخر مختلف كلياً فإن هذه القضية لن تلاحقك مرة أخرى. وبالتالي تتمتع بكامل الحرية في رفض الفكرة القائلة بأنك فاشل. إن الحصول على فرص للبيع لا يمثل جوهرًا للحياة. بل إن معرفة كيفية التعامل مع رئيسك في العمل ذات الشخصية الشبيهة بشخصية القنفذ، والثقة بنفسك عندما تحاول تحطيمك، والبحث عن عمل أفضل، هو ما يمثل جوهر الحياة. إن الاستفادة من هذا الوضع كي تصبح مرناً وقويًا، هو هدفك الجديد الآن، حتى لو ظلت فرص البيع التي تجلبها متواضعة.

عندما نكون قادرين على فعل ذلك، وعلى الانسحاب من الأوضاع من دون الخوف من حكم خارجي بالفشل، فإننا عندئذ نلتصم بالطريق الذي يمكننا من التعامل مع النتائج غير المرضية لوضع ما. وهذا نحرر أنفسنا من تعريفات الفشل التي يفرضها المجتمع علينا. فنحن نعتق أنفسنا كي نعيش حياتنا بعيداً عن معايير النجاح والفشل. وبالرغم من كونها مسيرة قاسية، لأنها مرهقة ولا نعلم النتيجة التي تنتظرنا، ولكنها قادرة على أن تبين لنا من نحن حقاً - حيث لن نكون مضطرين للحصول على ثلاثين فرصة للبيع في اليوم الواحد كي نعرف قيمتنا ككائنات بشرية.

### أفكار مهمة

- نحن نصيغ معايير الفشل من الدرجة الثالثة.
- إخفاقات الدرجة الثالثة اعتبارية من حيث الطبيعة.
- الإحساس بالفشل متعلق بالسياق والتصور.
- نحن ندفع في الغالب ثمنًا عاليًا من مشاعرنا عندما نعتبر فاشلين.
- يتلاشى زخم حالات الإخفاق هذه في اللحظة التي نغير فيها تفكيرنا من حالة «أنا فاشل» إلى حالة «أنا لم أحقق بعض الأهداف المهنية أو الشخصية، ولكنني كشخص لست فاشلاً».

### أفكار مساعدة للتعايش مع إخفاقات الدرجة الثالثة

- ارفض التصور القائل بأنك إنسان فاشل - هذا مشجع ويتفق مع الفكرة القائلة بأن قيمتك الشخصية لا تتعلق بالدرجات أو الأرباح أو النتائج التي يتم سبغها عليك.
- فكر أنك حر من القيم التي توقع الناس في شرك مفهومين وهميين «النجاح والفشل» وحرر نفسك كي تعيش خارج التصنيفات الضيقة.

• امضِ وقتاً مع الناس الذين يقيمون اعتباراً للصفات التي تخصك. وغيّر الطريقة التي تتحدث بها عن نفسك وتجنب التعليقات السلبية بحق نفسك.

• احتفظ بدفتر وسجل فيه كل ما يكيه الناس من مديح لك، والملاحظات الإيجابية التي يقدمونها لك. وقرأ هذا الدفتر في أغلب الأحيان.

## الفصل الخامس

### شخصيات ناجحة ومشهورة وخرافة الفشل

ثمة كثيرٌ من الناس المشهورين على نحو استثنائي والناجحين مادياً، لديهم الكثير مما يمكن أن نخبرونا به عن الفشل. في حلقة من برنامج (TED talk) بعنوان «الفاشل» (The Failurist)، قال الكاتب الشهير ماركوس كوزاك ومؤلف رواية «سارقة الكتاب» (The Book Thief): ككاتب كان الفشل أفضل أصدقائي. إنه يختبرك كي يرى إن كان يتوفر لديك ما يتطلبه الأمر لتفحصه، وهو ينظر إلى الفشل كشيء ما يدفعنا قدمًا إلى الأمام حينما نقر به. "إنه يتغلب على مخاوفنا ودواعي قلقنا، الأمر الذي يجعلنا أفضل وأقوى، وهو الذي يضفي معنى للنجاح".<sup>(1)</sup> وهو يؤكد أنه لا يمكننا أن ننجح دائمًا، وأن الفشل معلم جيد. ولكنه يعبر عن هذه النتيجة من موقع النجاح المالي والمادي والفني.

غالبًا ما نسمع المشاهير وهم يدلون بأحاديث مشجعة عن الفشل، ومن هؤلاء المؤلفة الشهيرة عالمياً لسلسلة هاري بوتر، J. K. Rowling. لقد ألفت خطاباً، ربما، يمكن اعتباره أحد أشهر الخطابات عن الفشل. خاطبت قاعة مليئة بخريجي هارفارد، في خطاب استهلاكي في العام 2008، وتطرق في خطابها إلى حياتها والفشل الكامل الذي تؤكد أنها كانت عليه. كتبت ذات مرة:

"في نهاية المطاف، علينا جميعاً أن نقرر لأنفسنا ما الذي يكون الفشل، ولكن العالم على استعداد تام لتزويدك بجملة من المعايير إذا أفسحت له المجال. وبالتالي أعتقد أنه من الإنصاف أن أقول وفق أي معيار تقليدي، أنني فشلت فشلاً ذريعاً، بعد سبع سنوات من تخرجي. فلقد انهارت تجربة زواج قصيرة على نحو استثنائي، وكنت بلا عمل، وكنت من دون زوج، وفقيرة إلى الحد الذي يمكن أن يكون عليه المرء في بريطانيا الحديثة، دون أن أصل إلى التشرّد. لقد تحققت مخاوفي ومخاوف أهلي تجاهي وأصبحت، وفق أي معيار عادي، بأفدح حالة فشل عرفتها.

والآن أنا لست بصدد أن أقول لكم أن الفشل أمرٌ ممتع. لقد كانت تلك المرحلة من حياتي مرحلة مظلمة، ولم أعتقد أنه ما أعادت الصحافة تقديمه منذ ذلك الحين على أنه قصة خرافية. ولم يكن لدي أي فكرة عن عمق النفق الذي دخلت فيه، ولزمن طويل كان الضوء في نهاية النفق أملاً بحثاً وليس حقيقة<sup>(2)</sup>.

كما يكتب المقاول ريتشارد برانسون، مؤسس «فيرجن غروب»: “بقدر ما أتذكر، كنت أواجه الفشل. وفي الحقيقة كنت فاشلاً أكثر من ذلك - فقد سقطت كثيراً، وأنا طفل، قبل أن أتعلم كيف أمشي. وقد استمر هذا الأمر عند البلوغ، وفي حياتي كمقاول، وقد تعلمت وأحببت كل خطوة من هذا الطريق<sup>(3)</sup>”.

لقد تحدثنا سابقاً عن الملياردير إيلون ماسك الذي كان يملك - عندما كتبنا عنه - ثروة تقدر قيمتها الصافية بحوالي اثني عشر مليار دولار.

لقد أضفى أبداع ما أطلق عليه اسم “الفشل بنجاح”. ولد ماسك في جنوب إفريقيا في العام 1971. كان والده مهندساً وكانت أمه تعمل كعارضة أزياء. كان يحب الكتب عندما كان طفلاً، وكان منكفئاً وخجولاً؛ ونتيجة لذلك كان يتعرض لمعاملة قاسية على نحو رهيب في المدرسة. لا يرغب في تذكر تلك الأيام. ولكن عندما انتقل إلى كندا في سن السابعة عشرة، بدأت الأمور تتغير بالنسبة له. بدأ العمل جدياً بالتكنولوجيا وانتهى به المطاف أخيراً في عالم الأعمال مع أخيه، وأسس شركة Zip2، وهي نسخة إلكترونية عن «دليل الهاتف».

وجد نفسه في أحيان كثيرة، كمقاول في أفكار عدة - إذ كان يستثمر في أكثر من فكرة في الآن ذاته - أنه كان على شفير الهاوية. فلقد تمّ طرده، على الأقل مرتين، من منصبه كمدير تنفيذي للشركات التي أسسها بنفسه. قامت هيئة المديرين بإزاحته من Zip2 لأنهم اعتقدوا أنه لا يملك الخبرة الكافية لقيادة الشركة نحو المستقبل. مع ذلك لقد تمسك بأسهمه وحصل على 22 مليون دولار عندما تم بيع الشركة في نهاية المطاف. وقامت شركة PayPal بعزله من الشركة التي أسسها، وأمضت استثماراته اللاحقة في شركتي تسلا وسبيس إكس بعض الوقت في التراجع على حافة حل الشركتين ماليًا، قبل أن يتم التغلب على الصعوبات. وقد تمّ إنقاذ سبيس إكس في اللحظة الأخيرة بالإطلاق الناجح لأول صاروخ ممول تمويلاً خاصاً، يعمل بالوقود السائل وقابل لإعادة الاستخدام في العام 2008، وعززت من احتمال أن تصبح خياراً مستقبلياً بعد أن أضافت إلى قائمة إنجازاتها، أول رحلة طيران فضائية ممولة تمويلاً خاصاً إلى محطة الفضاء الدولية، في العام 2012. وفي النهاية وظفت ناسا مليارات الدولارات في سبيس إكس، وأنقذت بذلك ماسك والشركة من الدمار، ولتضعه في صدارة النجاح العبقري المبدع. زادت هذه الكوارث والكوارث المحتملة التي تتوجت بهذه النجاحات الباهرة من طموحاته، الأمر الذي أدى بدوره إلى المزيد من الإبداع والنجاح، وهو ما يفسر عدم تخوفه من أي مغامرة جديدة يمكن أن تبدو مستحيلة في عيني المراقب العادي<sup>(4)</sup>.

ونتيجة لذلك تبدو أفكاره عن الفشل مثيرة، وهي المفردات التي يبدو أنه يعيش فيها: “إن كان هناك من أمر مهم، فعليك القيام به، حتى لو كانت فرص النجاح ليست في صالحك”. أو: «الفشل وارد هنا. ولكن إن لم تفشل، فلن تبذل بما يكفي<sup>(5)</sup>”.

## روية الفشل من زاوية النجاح المادي

تمّ إعداد هذه المقتطفات بقصد الإلهام، ولكي تدفعنا كي نتعامل بروحية أفضل حيال ملايين الأشياء التي تحدث في الحياة على غير ما نريد. ومع ذلك أنظر إلى هؤلاء الناس الذين يتحدثون عن الفشل. فهم يجسدون، بحسب معايير الوضع المالي والاجتماعي والمادي، مثلاً للنجاح: فهم متألّقون وأثرياء ويتمتعون بشهرة عالمية. وهم يتعاملون مع مفهوم الفشل من منظور استثنائي. تعتبر نجاحاتهم المادية حصيلة للتألق والثبات والحظ، بحسب البحث المكثف الذي أجراه مالكولم غلادويل في كتابه «الاستثنائيون».<sup>(6)</sup> ولا يمكن أن ننكر أن حالات الفشل بالنسبة لهؤلاء الناس تتمتع بأهمية، كأهمية الوسيلة من أجل الغاية. فإخفاقاتهم المزعومة كانت مجرد خطوات في طريق النجاح، وبالتالي هم يفهمون هذه الإخفاقات حق فهمها في سياق عمل ذو أهمية استثنائية.

لو استسلمت J. K. Rowling بعد أن قام اثني عشر ناشراً برفض «هاري بوتر»، ولو ظل ماركوس زوساك مؤلفاً متوسطاً لديه مخطوطة من خمسمائة صفحة يتكسد عليها الغبار وتلقى الرفض تحت سريره، ولو لم يتغلب السيد ريتشارد برانسون على بعض العقبات التي اعترضته في طريقه، ولو لم يفلح يجرج إيلون ماسك في الخروج من جنوب إفريقيا، هل كان هؤلاء المشاهير أن يقولوا الشيء ذاته عن الفشل؟ لا يمكننا أن نعرف، لأنه إن لم تمر بتجارب مماثلة، فلن يستمع أحد لك. فالثروة والشهرة تمنح الفرصة للناس كي يلفتوا الانتباه ويستمتع لهم الآخرون. نحن نهتم بما يسمى إخفاقات هؤلاء الناس الناجحين جداً بسبب نجاحهم الخارق، ولظننا أن لديهم صيغة ما يمكن لنا أن نطبّقها في حياتنا. كما نعتقد أن تقليد مقاربات وسلوكيات معينة يمكن أن يقودنا للنجاح، ويتشكّلنا من وجودنا العادي، ويعطينا الفرصة كي نصبح أعضاء في تلك النخبة الصغيرة جداً. لو لم يكن هؤلاء الأشخاص ناجحين لما عرفناهم، ولما كان لدينا سبب للتعلم بكلامهم، ولما أثار اهتمامنا ما يمكن أن يقولوه حول الفشل.

هذا ليس نكراناً لمصادقية نضال جي كي رولينغ بأي معنى من المعاني، ولكن وجود أم عازبة فقيرة تعاني من الحاجة، هو أمر ينطبق على مئات الآلاف من النساء في المملكة المتحدة. يبدو أن كلماتها عن الفشل في ذلك الحين تدين كل أولئك النساء، وتديننا جميعاً لاعتقادنا بفشل تلك التجارب الحياتية من النضال ما لم تنتهي لحالة المؤلفة المليارديرة.<sup>(7)</sup> وبالطبع هذا لن يحدث بالنسبة لغالبية هؤلاء الناس - فهي تمثل واحد في المليون<sup>(8)</sup> - وبالتالي عندما يحفزنا خطابها عن الفشل، ينتهي بنا الأمر للإحساس الزائد بالعبء الملقى على عاتقنا عندما لا نستطيع لا ننجح مثلها. نحن نقنع بثنائية النجاح والفشل هذه، ونجعل من العسير على الملايين تقدير الجهود التي نبذلها - ليس لأنها تؤدي في النهاية للنجاح، بل لأنها هي التي تصوغنا. يتم توجيهنا للقناعة بأن الحياة من دون ثروة هي أقل قيمة من الحياة بثروة ضخمة. وبالتالي ترى جي كي رولينغ، على ضوء نجاحها، أن حياتها العادية والمجهولة قبل سلسلة هاري بوتر كانت فشلاً صارخاً. وعندما يتجه بقية الناس للبحث عن أبطال أو نماذج ناجحة، فهم يتمسكون بقصص النجاح هذه كنماذج. على هذا الأساس نفكر قائلين: لقد كانت فقيرة فيما مضى. لقد كانت فاشلة. واليوم هي فاحشة الثراء. هذا يمكن أن يحصل لي. ففرص أن أكون ثرياً موجودة، ومع ذلك هي غير مرجحة. وفي هذه الحالة ما العمل؟ هل من المحكوم على بقية الناس أن ينظروا لحياتهم باعتبارها فاشلة؟

القضية الجوهرية هي أن هؤلاء الناس ما كانوا ليحفظوا بالاهتمام لو أنهم لم يجزوا نجاحات كبيرة. وبالرغم من إصغائنا لهم وهم يتحدثون عن الفشل، واعتبارهم نماذج لنا فيما يمكن أن نفعله أو نكون عليه، علينا معرفة أنهم عندما يتحدثون عن الفشل فهم لا يتحدثون في الحقيقة عن الفشل على الإطلاق؛ بل هم

يتحدثون - كما قال توماس أديسون - عن «العشرة آلاف طريقة» التي لم تنجح فيها الأمور، حتى تم الأمر أخيرًا. (9)

مفاد ذلك أننا طالما على قيد الحياة لا سبيل لنا لمعرفة - حتى إن كنا نظن أننا فشلنا - إن كانت الخطوة التالية ستحمل معها نجاحًا تم بلوغه بالصعوبة التي تجعل كل الإخفاقات السابقة تبدو منطقية. وأنه إذا لم تصل الرحلة إلى الغاية المقصودة - أي إذا أخفقنا كما في بعثة شاكلتون ومهمة أبولو 13 ولكننا حافظنا على أنفسنا - لا يمكن أن نقلل من قيمة حياتنا ونفقد إحساسنا بأهمية الهدف، لأننا لم نصل إلى صورة النجاح المجتمعي.

يختلف الفشل الذي يراه رولينغ وبرانسون وزوساك وماسك عن الفشل لدى غالبية الناس العاديين. بالتأكيد لم يصل هؤلاء الناس للنجاح إلا بعد أن عرفوا النكسات والخيبات والنتائج غير المتوقعة، التي يتحدثون عنها، عند المراجعة، إنها كانت عتبات للوصول إلى نجاحاتهم النهائية. ولكن كفاحهم لم يدم طويلًا، فجميعهم كانوا أغنياء وأقوياء في الثلاثين من أعمارهم. وهم لم يخوضوا معارك عسيرة من أجل البقاء طيلة حياتهم. ولم تنهكهم التجارب، أو يبقوا زمنًا طويلًا بدون مكافآت كي يعانون من إحساس الخاسر. فما يسمونه «إخفاقات» يفضل أن يوضع تحت باب «التحديات» التي تغلبوا عليها سريعًا وعلى نحو مدهش.

## تبديد خرافة النجاح

يقوم الحلم الأمريكي على فلسفة تقول إنه يمكنك أن تفعل أي شيء إذا فكرت فيه جديًا. ولكن يخفق الكثير من الناس في الوصول إلى ما يريدون بالرغم من التفكير الجدي به. هناك الكثير من الناس الذين يغرقون في العشرة آلاف ساعة الموصلة إلى النبوغ، ولكن لا يحالفهم الحظ في الاختراق السار نحو النجاح المادي الجارف. هذا هو السيناريو المرجح بالنسبة لنا نحن الذين نعيش على هذا الكوكب.

يمكن أن نؤكد أن هناك كتاب آخرون بنفس مستوى جي كي رولينغ، ومقاولون بنفس مستوى إبداع ومثابرة إيلون ماسك، ولن نعرف أبدًا بوجودهم. وهؤلاء الناس لم يحققوا الاختراق السار، ولم يلتقوا الشخص المناسب في الوقت المناسب، ولم يحظوا بالفرصة التي تقذف بهم إلى مركز الاهتمام الدولي وتجعلهم أناسًا أغنياء ومشهورين. وربما حصل لهم ذلك ولكن غطى عليهم فيما بعد أناس آخرون، وربما تمت سرقة أفكارهم، وربما أدت مساهماتهم لتغيير العالم دون أن يحصلوا على مقابل. هذه هي حقيقة العالم الذي يتوجب علينا العيش فيه.

من المستحيل منطقيًا بالنسبة لسبعة مليارات إنسان الارتقاء إلى قمة الهرم. نحن نتناول ذات الوجبة من خرافة النجاح والفشل. وقد طلب منا أن نصدق ما يلي:

• يكون الناس ناجحين عندما يكون لديهم المال والشهرة والسلطة.

• نريد جميعًا ونستحق هذا النوع من النجاح.

• سيثمر عملنا الجاد وإخلاصنا في النهاية إذا أخذنا الموضوع فعلياً على محمل الجد.

• النجاح المادي هو الهدف النهائي للبشرية.

مع ذلك، نخبرنا الحياة، أن هذا ليس صحيحاً.

لقد أخبرتنا الحياة أننا نعمل خارج نموذج الفشل - النجاح. نحن نبحت عن معنى وهدف خارج إطار الدخل والسلطة والشهرة. نقيم الاعتبار لصحتنا التي لا نستطيع العيش من دونها. كما نقيم الاعتبار للناس والعلاقات الاجتماعية.

ولكننا نحيا مع قدر ثابت من قصص الفشل والنجاح. هذه هي الخرافات المحددة التي نقتنع بها: وهي أنه علينا جميعاً أن نملك الأكثر والأفضل من الأشياء والشهرة والسلطة، وأن العمل الجاد والتفكير جدياً بهذه الأمور سيقودنا إلى النجاح. يمكن أن يصح هذا في بعض الأحيان، ولكن في أغلب الأحيان لا يصح. وهنا بالضبط يجدر القول إن فكرة الفشل نفسها هي ابتداع أو قصة. يمكننا أن ننسف الخرافة. يمكننا أن نكتب قصة جديدة.

فكر بحقيقة أن وضع أنفسنا على سلم الفشل - النجاح يمكن أن يؤدي لخلق مليارات البشر الساخطين. والآن لنلقي نظرة على أناس كان بإمكانهم أن يكونوا مشاهير، ولكنهم لم يصبحوا.

## البوتوكس

منذ عام 2002، أصبح البوتوكس أشهر مستحضرات التجميل القابلة للحقن، ويتم تطبيقه على أكثر من ستة ملايين شخص سنوياً في الولايات المتحدة للتخلص من التجاعيد وخطوط العبوس أو للتخفيف منها. نعرف جميعاً الاسم ومن أجل ماذا يستخدمه الناس. ولكن قبل أن يجد طريقه إلى الشهرة كمزيل للتجاعيد، استخدم زيفان البوتولينيوم علاجاً لجميع أنواع التشنج العضلي - على الرغم من أنه يمكن أن يسبب، عند استخدام جرعات كبيرة منه، شللاً للعضلات بسبب إعاقته للشارة العصبية - وقد استخدم هذا الزيفان الزوجان الطبيبان الكنديان جين والاسير كاروتيرز لمساعدة المرضى الذين يعانون من اضطرابات تكف معها العينان من الاتساق في حركتهما. وقد لاحظا خلال العلاج غياب التجاعيد عن النصف العلوي من وجوه المرضى، حيث اختفت خطوط العبوس بما يشبه المعجزة. ثم بدأ هذا الفريق بمساعدة المرضى بطريقة جديدة كلية. وما لم يقوموا به هو ترخيص العقار لأغراض التجميل. يقول جين: «لقد خسرت ثروة، ولكن عشنا أغنى تجربة من خلال استخدامه مع المرضى طيلة سنوات».<sup>(10)</sup>

ربما يكون جين واليسير قد فقدوا ثروة محتملة، ولكن تلقيا مكافأتهما من جهة أخرى: لقد ساعدا المرضى كي يشعروا بتحسين أحوالهم. فكان لحياتها وعملها معنى. إذا نظر لهما من منظور حكاية الفشل والنجاح، فقد فشلا في تحقيق إمكانات كان يجب أن تكون لهما. وهناك من يتجه الآن للتفتيش عن الفوائد. اذكر البوتوكس على حفلة غداء، سيعرف الجميع عم تتحدث؛ وإذا ما تحدثت عن جين كاروتيرز، فمن المؤكد أنه سيكون هناك صمت أو نظرات باهتة. الطبيبان كاروتيرز على ما يرام بخصوص ذلك. لقد أضافا قصة جديدة لما يسمى الفشل والنجاح.

هناك أناس مشهورون وأناس ناجحون وأعضاء في الحضارة والحياة المعاصرة، وهو أمر طبيعي بالنسبة لنا ولا يثير لدينا التساؤل. ولكن هناك قصة ما وراء كل شيء أو منتج. هناك أناس وأحلام وتجارب وأحلام. وأحياناً، على الرغم من أهمية فكرة ما ومن كونها مألوفة بالنسبة لنا كشهيقنا وزفيرنا، إلا أننا لا نعرف من هم الذين ابتكروها. ربما لم يجنوا أي مال، ولم ينالوا أية شهرة. فهل نواصل اعتبارنا لهم على أنهم فاشلين؟ أم قدموا شيئاً باهراً أثرى حياتنا؟

## سوبر مان سيجل وشوستر

إن نجاح أيقونة السوبرمان هو أمر معروف. من لم يسمع بالرجل الفولاذي بتجسيدات العديدة منذ الثلاثينات حتى 2017. أيًا يكن الرجل الذي اخترعه يجب أن يعتبر أحد قصص النجاح الكبيرة خلال التسعين سنة الماضية، أليس الأمر كذلك؟ ومع ذلك مات مخترعا السوبرمان، جيري سيغل وجو شوستر، وهما تحت عبء الدين، وأمضيا جل حياتهما وهما يخوضان معارك قانونية دفاعاً عن ملكيتها لماركة السوبرمان. لقد نجحت محاولتهما في جعل سوبرمان كلمة في كل بيت، ولكنها فشلا على المستوى الشخصي في جني منافع ابتكارهما هذا.

منذ البداية كات جهودهما محكومةً بالفشل. لقد ابتكر سيغيل وشوستر «السوبرمان» في العام 1933 ونشرا قصة قصيرة «حُكْمَ السوبرمان» (The Reign of the Superman) في مجلة سيجل الخاصة «خيال علمي». 3 لم يحظى سوبرمان باستقبال حسن، لذا قاموا بتعديله ليصبح الشخصية التي نعرفها اليوم، وقد أمضيا ست سنوات وهما يبحثان عن ناشر يمكن أن يثير اهتمامه. كانت أول فرصة أتتحت لسيغيل وشوستر من شركة «كونسوليتد بوك ببلشينغ»، إلا أن هذه الشركة أفلست قبل توقيع العقد. ومع ذلك استمرا في سعيهما. في العام 1938 قامت شركة «ناشنال اليد بليكيشن» - التي ستصبح لاحقاً «دي سي كوميكس» (DC Comics) - بإبراز «السوبرمان» على غلاف مجلة «أكشن كوميكس».

كيف كان لهما أن يعرفا أن «السوبرمان» سيصبح موضوعاً لصناعة باهرة بقيمة عدة مليارات من الدولارات خلال التسعين عام القادمة؟ لقد باع سيغيل وشوستر حقوق النشر لشركة «ناشنا ألايد بليكيشن» مقابل مئة وثلاثون دولار - أي ما يعادل ألفي دولار اليوم - وتلقيا عقداً لمدة عشر سنوات لكتابة القصص لمجلة «أكشن كوميكس». ولم يستطيعا أن يتحررا من هذا العقد لبقية حياتهما.

بعد ذلك بعشر سنوات، أي في العام 1946، رفعا دعوى على الناشر لاسترداد حقوقهما في سوبرمان، حيث تملكهما الإحساس أنه تمت سرقتها، ولكنها خسرا القضية. فقد قضت المحكمة العليا لولاية نيويورك أن جميع حقوقهما قد تم نقلها إلى مجلة «ديتكف كوميكس» بما في ذلك العنوان والأسماء والشخصيات والمضمون. وقد أزيل اسما شوستر وسيغيل من جميع قصص سوبرمان.<sup>(11)</sup>

وعندما عادت حقوق طبع سوبرمان ثانية في العام 1967، نجح سيغيل في الدعوى من أجل حقوق اختراعه، وبالرغم من أنه كان يكتب لـ «دي سي» حتى ذلك الحين، فقد سمح له بالمضي في الدعوى. في العام 1975 احتج الاثنان صراحة على معاملة «دي سي كوميكس» لهما، وقد نال كل منهما عشرين ألف دولار - ثم أصبح الرقم ثلاثين ألف فيما بعد - سنوياً استمرت طيلة حياتهما، مع التعهد أن تعترف جميع

مواد سوبرمان بهما كمخترعين لسوبرمان. ولكن بقي لديهما الإحساس أنهما لم يحصلوا فعليًا على الأموال الضخمة والتقدير الذي يستحقانه.

لقد عمل سيغيل لصالح شركة "مارفل كوميكس" المنافسة لفترة من الزمن، ولصالح "آرشي كوميكس" و"كارلتون كوميكس" و"بريتيش كوميك ليون" ولصالح "ايتالس موندادوري اديتور"، ولكنه رفض الاستجابة عندما دعي في العام 1986 من قبل "دي سي" لكتابة قصة خيالية عن سوبرمان. مات في العام 1996، مجردًا من أمجاد النجاح الباهر التي نالتها شخصيته الهزلية.

في هذه الأثناء تفاقم ضعف البصر لدى شوستر إلى حد لم يعد معه قادرًا على الرسم كي يكسب عيشه، ليتحول بعدها إلى عامل توصيل، حيث أشيع أنه كان يوصل الطرود إلى مبنى "دي سي" نفسه. وأخيرًا مات شوستر فقيرًا ومديونًا في العام 1992. وبعد وفاته دفعت "دي سي" كوميكس ديونته غير المدفوعة وفق اتفاقية لا تتيح فيه لورثته التأثير بشيء ثانية على ملكية الشركة لسوبرمان. ومع ذلك قامت أرملته وابنته في العام 1999 بالمطالبة ببيان نهائي لحقوق الطبع عبر معركة قانونية أخرى حول الحقوق في «البطل الخارق» ولكن هذه المرة مع "تايم ويرنر". وفي العام 2006 جرت مطالبة قانونية أخرى غير ناجحة، ولكن هذه المرة حول اختراعهم "الولد الخارق".

إن قصة سيغيل وشوستر هي إحدى قصص الفشل، حيث يعتقد الكثير من محبي سوبرمان أن هؤلاء الناس كانوا ضحايا لسلسلة من الشركات الجشعة التي سرقت منهم حقوقهم الإبداعية. فيما يعتقد آخرون أن هذا الفشل كان من صنع أيديهم. فهم لم يقدروا أهمية اختراعهم فباعوا أنفسهم بأثمان بخسة. ولكن الاختراع نفسه يستحق أن يعتبر أفضل قصة نجاح في الصناعة الهزلية. فلأكثر من ثلاثة أجيال أحدث سوبرمان أفلامًا ومجلات هزلية ومسلسلات تلفزيونية وحركة تجارية. لدينا هنا رجلين أخفقا، على نحو مأساوي، صحيح، ولكن بامتياز أيضًا. لقد استمر إرثهما من بعدهما. لقد استمتع الناس وتألقوا وابتهجوا، لزمن طويل، بجهودهما الخلاق، بعد أن فقد هؤلاء كل شيء وغابا عن الوجود. من المهم أن نفكر بطبيعة فشل الـ «سوبرمان» وأن نعي أن هناك، ربما، ملايين الناس المبدعين والمحاولات التي تم اختطافها أو القضاء عليها. وعلى الرغم من النتيجة المدمرة، لا يمكننا القول إن تجربة سوبرمان أقل قيمة، أو أن عمل هذين الرجلين لم يؤدي إلى نتيجة. فهما لم يحصلوا على الاعتراف الذي يستحقانه، ولكن جهودهما الإبداعية غيرت عالمنا.

من المفيد أن نلاحظ السبب الذي دفع لجيري سيغيل لاختراع سوبرمان، لم يكن هذا من أجل الثروة أو الشهرة أو التبجح، بل بسبب التعاطف وحب الغير.

“ما الذي دفعني لاختراع سوبرمان في الثلاثينات؟ سماعي وقراءتي عن القمع والمذابح بحق اليهود العزل والمضطهدين في ألمانيا النازية، ورؤية أفلام تصف الخوف من الحرمان الذي يعاني منه المضطهدون، لقد كان لدي دافع كبير للمساعدة. مساعدة الجماهير المسحوقة، بمعنى ما من المعاني. ولكن كيف يمكن لي أن أساعدهم عندما يعز عليّ مساعدة نفسي؟ فكان سوبرمان هو الجواب على ذلك.”<sup>(12)</sup>

للتخلص من خرافة الفشل التي تعلمناها من بعض المشاهير، علينا أن ننسف خرافة النجاح. إن الدافع غير الواضح لجيري سيغيل لاختراع سوبرمان كان الرد الخلاق على المحرقة والأحداث المروعة في القرن

العشرين.

يريدنا العالم أن نكون أكثر من كيانات اقتصادية نتلقى الإشارات من حفنة من المعلمين، الذين يعتقدون أن لديهم الحق في تعليم بقية الجنس البشري بأن هناك وصفة سحرية للنجاح، وأنهم اكتشفوا هذه الصيغة. هناك الكثير من المشاهير الذين أخفقوا بامتياز قبل تحقيق النجاح؛ السبب الذي جعلنا نتعرف عليهم هو نجاحاتهم. كما أن هناك الكثير من الناس غير المعروفين والذين لم ينالوا الشهرة، ومع ذلك كان لهم أثر عظيم على عالمنا. وهؤلاء الناس أيضًا فشلوا بامتياز.

مع ذلك هناك إمكانية لرؤية هذه القصص بعيدًا عن خرافات الفشل والنجاح. هي قصص بشرية عن التجارب والخطأ، ونحن نعلم مجتمعنا من خلال النظر لهذه التجارب كنجاحات وإخفاقات، وعندما نتحدث فقط عن أولئك الذين يحالفهم الحظ في الوصول إلى القمة. فلدى معظمنا قواسم مشتركة مع سيغيل وشوستر أكثر مما لدينا مع جي كي رولينغ أو إيلون ماسك.

### أفكار مهمة

- عندما يلقي المشاهير محاضرات على الجماهير عن الفشل، فهم يفعلون ذلك من موقع التميز والنجاح الاستثنائي.
- لدى الكثير من الناس اختراعات وأفكار رائعة لم تلقَ الانتباه ولم تنل التكريم، على الرغم من أن جهودهم لم تقل عن جهود نظرائهم المشهورين.
- لا يمكننا أن نكون جميعًا في قمة النجاح المادي، فهذا مستحيل منطقيًا.
- هناك قيمة لا تقدر بثمن للقيام بأفعال من أجل الآخرين، كتسليية الأطفال وإثارتهم بالأفلام الهزلية، أو مساعدة الناس لتعزيز إحساسهم بأنفسهم.
- ومن المفيد أن نتذكر أن أفعال العطاء هذه تمنحنا رضىً وجدانيًا، بغض النظر عما إذا كانت ستؤدي إلى مكافآت مادية.

### أفكار مفيدة لنسف خرافات النجاح والفشل

- لا بأس أن تشجعك قصص النجاح، ولكن عليك أن تبحث عن دوافع أعمق للوجود والعمل في هذا العالم.
- لا تجلد نفسك عندما لا تجد لديك حسابًا بنكيًا ضخمًا ولا تحقق شهرة عالمية، بالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها. إن تعلم العيش من دون هذه الأمور هو أمر مساعد.
- تخيل جلسة غداء مع مخترعي سوبرمان وما الذي يمكن أن تخبرهما به عن قيمة عملهما في العالم.

## الفصل السادس

### معظم الناس فاشلون

تقوم خرافة النجاح والفشل التي بحثناها في الفصل الخامس على فكرة ملتبسة، وهي أننا جميعًا مغرمون بالتقدم المادي وأن الذين لا يحققون ذلك هم من لا يعملون بما فيه الكفاية، أو لا يؤدون ما يترتب عليهم، أو لا يقوموا بهذا الأمر أو ذاك مما قام به الذين نجحوا.

نحن نضع سيناريو ما يفترض أن تتخذ فيه حياتنا اتجاهًا محددًا، وعندما لا يحصل ذلك فهذا يعتبر إخفاق لنا. ومن حسن الحظ، لقد قدمنا، نحن الذين ألفنا السيناريو، ما يكفي من الأسباب الوجيهة للشك في هذا الافتراض. نحن نعلم الآن أننا لا نستطيع أن نصدق دائمًا وكلية ما يقوله لنا الناس المشهورون والناجحون عن النجاح، وليس لزامًا علينا التسليم بخرافة أن مسلسل النجاح – الفشل المادي هو معيار وجودنا.

بالنسبة لغالبية المخلوقات البشرية، الحياة غير عادلة قطعًا. فوفق تقرير الثروة الدولي الصادر عن أوكسفام كريديت سويس، فإن الثروة التي يملكها واحد بالمائة من سكان العالم تعادل ما يملكه بقية الـ 99 بالمائة، ومن ضمنها المناطق الأكثر فقرًا على وجه الأرض<sup>(1)</sup>. وهذا يعني أن الفرص ليست في مصلحة الناس العاديين، بغض النظر عن الصيغ أو السيناريوهات. فمن ناحية النجاح المادي، إن الرواية القائلة بقدرتك على تحقيق أبعاد مما تطمح إليه، إن بذلت بما يكفي من الجهد، هي مجرد خرافة. إن مزيجًا من المثابرة وفرص الحظ الخارجة عن سيطرتنا يؤدي نجاح قلة منا في الوصول إلى قمة كومة غير منصفة. عندما تولد في ملاوي أو بوروندي في إفريقيا – أي أفقر الدول على سطح الأرض – فهذا يعني أن فرصك ضعيفة في تسلق سلم الثروة الشهير. وفي جميع أرجاء العالم تواجهنا الخرافة القائلة إننا جميعًا نملك الفرصة للنجاح لو عملنا كما يجب. ولكن لا تتوفر لدينا فرص متكافئة. بالتأكيد سيحاول البعض الخروج من اليأس المطبق ليتسلقوا تلك السلالم، ولكن الغالبية منا لن تفعل ذلك. الأمر يبدو كمقامرة. فالفرص ليست في صالح سكان العالم، ولن يحقق معظمنا نجاحًا ماديًا يتجاوز أقصى أحلامنا. وسوف نفشل مرارًا وتكرارًا، ولن

تكون هذه الإخفاقات مقدمات للنجاح. لا يهم، في هذه القصة عدد المرات التي ننظر فيها إلى الفشل كصديق جيد، ونسوق الفشل على أنه مسيرة شجاعة من أجل الظفر بالنجاح الباهر، ولا يهم أيضًا ألوف الكتب المكدسة في المكتبات حول «الفشل بطريقة أفضل»، نحن نصدق قصة خرافية، وهي تسويق حلم النخبة لجموع من البشر تنخرط على نحو دائم في سباق كي يصبح الإنسان شخصًا ما، أو يحصل على شيء ما، أو يحرز مجداً. يمكن ملاحظة آثار إخفاقات الدرجة الثالثة المتراكمة في المدارس والجامعات وأماكن العمل والمنازل.

وبالتالي ما الذي نفعله حيال ذلك؟

بالنسبة للكثير منا، عندما تسير الأمور على ما يرام نقول: «شكرًا لله» أو حتى: «هناك الله!» وعندما لا تسير الأمور على ما يرام، يكون هذا خطأنا - لم نعمل بالجد الكافي. وهذه الرؤية تعني أننا غير جديرين ولا نستحق وأن حظنا السيء هو نوع من العقوبة على ما ارتكبناه من أخطاء. وهذه الرؤية بالضبط هي ما نملك القدرة على تغييره، مع قناعتنا أن الأمور المحزنة والسيئة يمكن أن تحصل للناس الطيبين والجيدين.

### قصص فشل واقعية

نحن محكومون بالسعي من أجل النجاح لأنه يمثل، أساسًا، الاستمرارية والبقاء.

لنفرد حيزًا لقصص وتصورات بعضًا ممن لم يتمكن حتى الآن من تحقيق ثروة أو شهرة أو سلطة من بين المليارات التي تعيش في هذا الكوكب. فهؤلاء يمكن أن يعطونا أفكارًا أكثر حكمة وفائدة من الأفكار التي يمكن أن نحصل عليها من الكثير من الناس المشهورين والناجحين.

قبل سنة كانت نيكول فورمان<sup>(2)</sup> طالبة دكتوراه في علم النفس تعيش في سان دييغو. في نهاية برنامجها الدراسي كان عليها أن تخضع لإقامة وتدريب سريري. وكانت النصيحة للطلاب جميعًا أن يخضعوا لخمسة عشر برنامجًا على الأقل كي يضمنوا دعوتهم لعدة مقابلات. لقد كتبت:

«في ذلك الوقت كنت أعيش في سان دييغو. وكان لدي بيت جميل على الشاطئ تمامًا. وكنت يوميًا أراقب غروب الشمس لحوالي سبع سنوات. وكانت عائلتي تعيش بالقرب مني. وعائلة صديقي أيضًا. كما عاش أفراد عائلته معنا لبعض الوقت، ثم كانوا يزوروننا في غالب الأحيان. لذا خضعت لبرامج التدريب هذه، ولكن لتسعة منها فقط. وقد عملت جاهدة للبحث عن برامج للتدريب لأنني أردت أن أبقى في سان دييغو. كان هناك برنامج واحد في سان دييغو، وقد كان البرنامج الوحيد الذي أوليته اهتمامي. وعندما صدرت الدعوات للمقابلات، تلقيت دعوة لكل البرامج باستثناء سان دييغو! وأدركت فورًا أنه لن يكون بمقدوري متابعة العيش في سان دييغو إذا ما استمرت في دراستي لنيل الدكتوراه. وشعرت بالإحراج عندما واجهت الآخرين بالخبر، وخصوصًا من حاول سابقًا أن يقدم لي التطمينات، كالقول مثلًا «بالتأكيد ستتم دعوتك للمقابلة في سان دييغو! بالتأكيد ستنجحون هناك!» وقد شعرت أنني خيبت آمال الآخرين أيضًا، وخصوصًا العائلة التي أرادتني أن أبقى. وقد تأسفت لصديقي الذي لحق بي من سانتا كروز إلى سان دييغو كي يكون إلى جواربي، وتساءلت إن كان سيفعل الأمر ذاته عندما أغادر سان دييغو. وبالتالي سيكون

لدي أوقاتاً طويلة لمراقبة غروب الشمس. وسوف أصرخ غالباً وأنا أجري والتقط صور غروب الشمس. وأخيراً أعتقد أن الصدمة فقدت تأثيرها فتقبلت فكرة مغادرتي. لم أحب هذه الحقيقة، ولكنني لم أسعى لتغييرها. وقررت أنه طالما أنني لم أعد مرتبطة بسان ديبغو، لذا يمكنني المضي مع كل ما هو مرغوب ولطيف في تلك اللحظة. أجريت المقابلة مع البرامج الأخرى تلك، وأعرت انتباهاً مميّزاً لكل ما يتعلق بها، من خصائص البرنامج، إلى الناس، إلى الثقافة، إلى الوضع العام، وحتى إلى جغرافية المنطقة، وإلى الإحساس الذي شعرت به أثناء المقابلة وأثناء زيارة المدينة، إلخ. وأخيراً انتهى بي المطاف في جامعة براون في بروفيدنس. وقد كان هذا خيارى الأول بعد أن أعدت تحديد موقفي.

من الطبيعي أن أشعر أي متوترة ومربكة وحزينة. وهناك الكثير من العار المرافق لهذه المشاعر، وهو ما يجعلها أكثر حدة. ويبدو بعض الناس الآخرين مذعورين أو مستائين من هذه المشاعر، أنا لم أشارك تجربتي مع الآخرين أبداً، ربما لأنني تخيلت أنهم لن يعرفوا كيف يجيبون وسوف أشعر أنني غير محقة بالضعف. مع ذلك ربما تتمتع مشاركة هذه المشاعر مع الآخرين بقيمة ما. فربما تساعد مشاركة هذه المشاعر مع الآخرين - أي مشاعر الحزن والتوتر والارتباك - في تخفيف الوصمة والعار المرافق لها. وربما يصبح الآخرون عند مشاركتهم هذه المشاعر أكثر قدرة على التعامل معها، وسيجأون على نحو مناسب. رغم هذا أنا سعيدة في هذا الوضع لتقبلي أنني سأنتقل وسعيدة لمحاولتي القيام بأفضل ما يمكن. وأفترض أن الخيار البديل يمكن أن يكون التثبيت بالبقاء في سان ديبغو من دون إكمال درجة الدكتوراه، أو اختيار برنامج مقبول يكون أقرب ما يمكن لسان ديبغو. إن إعادة التفكير هذه والاستعداد للمضي قدماً بالرغم من عدم الارتياح لذلك، قد منحاني شعوراً بالحرية لم أشعر به من قبل. لقد كان الأمر تحرراً فعلياً”.

فشلت نيكول في البداية في تحقيق ما كانت تصبو إليه، على الرغم من أنها طالبة ممتازة. في البداية لم تعرف إلى أي حد يمكنها أن تتحمل مغادرة سان ديبغو. وعندما أدركت أنها لن تحصل على التدريب في مدينتها، استطاعت فجأة الاهتمام بأي شيء آخر يتعلق بالخطوة التالية المهمة بالنسبة لها. وهذا هو الدرس: حكمة الفاشلين العاديين والنتائج غير المتوقعة. كان هناك فرصة ذهبية للتقدم ولكنها دفتت بهذه النتيجة غير المرغوبة. لم يكن عليها أن تواجه إحباطها فقط، بل ردود فعل الآخرين التي خشيت أن تؤثر عليها. ومع ذلك أعادت ترتيب حساباتها وحررت نفسها.

لا يمكننا أن نلغي دافعنا التطوري العميق للقيام ببلوغ مكان ما وللنجاح. في الوقت الذي يمكن فيه للدروس المستفادة من المشاهير عن الفشل أن تحفزنا، إلا أنها لا تستطيع حمايتنا من حقيقة أنه يتوجب على معظمنا معاشته. لن يكون بإمكاننا جميعاً أن نمتلك مليار دولار، أو نحقق ما نصبو إليه. ولن نكون محصنين من المرض والخسارة والعواقب الوخيمة. ولكن تكمن قيمة ما يسمى بالفشل في إمكانية تحررنا من فكرة ضيقة تحمل نتيجة محددة، كما هو الحال مع نيكول، والقبول بأمر غير متوقع ولكنه على درجة من الأهمية.

إذا قمنا بإعادة تقييم الفكرة الجامدة عن «الفشل» في عالم اليوم عبر عدسات متغيرة، يمكننا التوصل إلى بعض الأفكار المدهشة.

أضمت بيرتا طفولتها في ميثم في أوهايو في عشرينات القرن العشرين. وكان أبوها، يعقوب، وهو لاجئ من ليتوانيا، يتكلم القليل من الإنكليزية. بدأ حياته بأحلام عازف كمان، ولكن الاضطهاد أجبره على مغادرة وطنه والذهاب إلى أمريكا. وكوافد جديد لا يعرف الإنكليزية كان عليه أن يكافح لتأمين عيشه.

وأخيراً وجد عملاً كبائع متجول، ينتقل من مكان إلى آخر لبيع ما هب ودب. ثم تزوج الفتاة الجميلة إيثيل، ورزقا طفلين، بيرتا ومير. وعندما بلغ الطفلان العاشرة والسابعة من العمر، ماتت إيثيل بسبب ذات الرئة. وبالطبع يمكننا أن نقول على نحو أدق أنها ماتت من الفقر، لأنهم لم يكونوا قادرين على تأمين الرعاية المناسبة لمعالجة حالتها رغم أنها قابلة للعلاج. عندما ماتت زوجته ووجد نفسه وحيداً في هذا العالم مع طفلين، لم يكن لدى يعقوب أي خيار. حيث لم يكن بإمكانه أن يعمل كبائع متجول وأن يكون أباً لطفليه، لذا أرسلها إلى اليتيم.

لم تتحقق أحلامه في بناء حياة جديدة في بلد جديد. لقد أمضى بقية حياته وهو يكافح، دون أن يكون لديه أكثر من غرفة مستأجرة في شقة أحد ما، وليخسر عند موته كل مدخراته لحساب وزارة الخارجية. كبر الطفلان برعاية اليتيم، وعندما بلغت بيرتا الثانية والعشرين رأى صورتها رجل من جنوب إفريقيا فقمر الزواج منها. أرسل لها طلباً للزواج، فوافقت على طلبه بعد الرسالة الثالثة، حيث لم يكن لديها ما تخسره. غادرت نيويورك على متن "س س بيرنغاري" في شباط من العام 1938 حيث أبحرت أولاً إلى لندن ومن ثم إلى جنوب إفريقيا. استمرت رحلتها في البحر لأكثر من شهر، وكان قلبها مفعماً بالأمل. لقد اجتازت الكساد الكبير والبرد القارس للغرب الأوسط وحلمت ببناء حياة جديدة لنفسها في جنوب إفريقيا المشمسة. حلمت أنها ستحيا حياة رائعة وستكون آمنة ومرتاحة وتتلقى العناية.

ولكن ظهرت لها المشاكل ثانية هناك أيضاً: حيث كان الأفارقة السود المحرومون والمجردون من حق التصويت في حالة غليان. وعندما تزوجت بيرتا واستقرت وأنجبت طفلاً، بدأت جنوب إفريقيا تظهر علامات الاضطراب. نشأ أبناء بيرتا في نظام الفصل العنصري المسمى "الأبارتهايد" في جنوب إفريقيا. تعرض المجتمع المدني يومياً بالعنف والاضطراب نتيجة إخضاع حكومة الأقلية البيضاء غالبية السكان السود لسيطرتها. وقد عاشت بيرتا وسط هذا الاضطراب. وفي إحدى المرات تعرضت للهجوم وواجهت الموت عندما ضربها لصوص حتى فقدت الوعي. وقد سرقوا حينها خمسين سنتاً من محفظتها. حاول ابنها بوب أن يهاجر ويأخذها معه، ولكن خطته لم تنجح. وفي نهاية المطاف هرب جميع أحفادها من العنف اليومي في جنوب إفريقيا. وقد عاشت مع أصغر أبنائها وعائلته إلى أن أجبرتهم الجريمة على الفرار إلى إسرائيل. وأخيراً انتهى بها الأمر امرأة معدمة، تعيش مع ابنها الأكبر بوب وفي المرحلة الأخيرة من حياتها في مرفق لرعاية المسنين، حيث فقدت ماضيها وجميع أصدقائها المقربين في أمريكا، وتاريخها، وكل ما كان مألوفاً لها في شبابها. لم تتحقق آمالها وأحلامها بحياة عظيمة وآمنة وناجحة. وقد هاجر جميع أحفادها إلى ما وراء البحار. لقد كانت حياة بيرتا، من نواح عديدة، كحياة والدها. حيث لم تجري كما حلمت بها عندما كانت شابة. ثم ماتت في الثمانينات من عمرها. فكانت حياتها سلسلة من التحديات والأحلام الخائبة.

وبالتالي...

هل ندعو حياة يعقوب وابنته فشلاً؟

إذا كنا نقيس حياتنا بالنجاح المادي، فقد عجزا في الواقع عن تحقيق أي شيء ذي قيمة.

لقد تعرض هذان الجيلان لخسائر كبيرة، مالية وشخصية. لم يتمكن يعقوب من جني المال، وانطبق الأمر ذاته على لابنته بيرتا، وكذلك انطبق الأمر فيما بعد على بوب ابن بيرتا، بالرغم من أنهم جميعاً كانوا أشخاصاً أذكياً ومحبين وطيبين. إن كلاً من يعقوب وبيرتا وبوب لم يتركوا أثراً ملحوظاً في العالم. لم يخلفوا

إلا صدئاً باهتاً عن حياتهم في رسائل ويوميات بيرتا، التي اكتشفناها حفيدتها شيلي - أحد مؤلفي هذا الكتاب - في العام 2012 في صندوق.

في العام 2016، أي بعد مائة عام بالضبط على ميلاد بيرتا، قامت مطبعة جامعة كوينزلاند في أستراليا بنشر المذكرات الشخصية لحياة كل من يعقوب وبيرتا «همسات في الدم»<sup>(3)</sup> - من قبل. لقد كتبت شيلي الكتاب تكريمًا لحياة أسلافها اللاجئيين، ولربط نفسها وقراءها بحياة المهاجرين في كل مكان. هناك اليوم من يشارك رحلات وحيوات هذه العائلة في جميع أنحاء العالم.

لقد احتفظت بيرتا بيومياتها ومذكراتها منذ العام 1938 فصاعدًا، وعندما بدأت شيلي في العام 2014 بالكتابة عن نضال أسلافها، أدركت أن حياتها كانت صدى لحياة بيرتا. لم تعد كتابة الكتاب شفاءً لجليل فقط بل شفاءً شخصيًا، لأنه على مدى خمس قارات ومائة عام من البحث عن وطن، وجد أحفاد يعقوب وبيرتا وبوب ذلك الوطن في أستراليا. ومنذ ذلك الحين حظي الكتاب بمراجعات ممتازة، وسيل من رسائل المعجبين؛ لقد كان القراء يتنقلون ويتغيرون وفقًا لحيوات ونضال يعقوب وبيرتا وبوب. كما اهتم أحد المنتجين بتحويل الكتاب إلى مسلسل تلفزيوني.

كتب أحد القراء يقول: «لقد غيرني هذا الكتاب. إنه جميل. لقد أحببت بيرتا. إن قراءتي عنها تجعلني أقدر جدتي كثيرًا»<sup>(4)</sup>.

فبعيدًا عن أنهم أصبحوا طي النسيان، يعيش الآن كل من يعقوب وبيرتا وبوب كشخصيات تشكل شجاعتهم وحبهم مصدر إلهام للقراء في يومنا الحاضر - وهذه مآثرة مفاجئة. إن حياة بيرتا وعائلتها كمهاجرين تدفع القراء للتعاطف مع تجربة الهجرة. بعد أكثر من قرن على رحلة يعقوب عبر البحر، أصبح هو وأحفاده محط حب غرباء مجهولين في مستقبل لم يكن قادرًا على تخيله. لقد كان وما يزال هناك معنى في تجارب الحياة هذه المليئة بكل أنواع النضال، وهذا المعنى لا علاقة له بالنجاح المادي.

إن الطريقة التي ننظر بها للأشياء ونقيّم بها حياتنا، تترك الكثير مما يستحق الإعجاب. فالتركيز الذي نوليه لما هو مهم، هو ما يوجد التوقعات والقواعد التي نعيش فيها. ويفوتنا أن نتخيل خيوط المعاني العميقة التي تعبر حياتنا وتربطنا بالأشياء الثمينة حقًا.

لقد اعتمدنا مجموعة من المعايير المادية التي نقيس بها، وتعرض للقياس بها، على نحو دائم، على الرغم من معرفة الكثير منا أنه لا يمكن اختزال الحياة بهذه المعايير. نحن نعرفها ولكننا لا نؤمن بها، والقليل منا يعيش وفقًا لها.

فجلُّ ما نفترضه عن الفشل - أي ضرورة العمل للحصول على الثروة والنجاح المادي كما يصفه الكثير من المشاهير والأغنياء - يعتبر كل من يعقوب وبيرتا وبوب فاشلين.

ومع ذلك قدمت حياتها رؤيةً وتعاطفًا ومنحت البهجة والسعادة لآلاف القراء في القرن الحادي والعشرين. علينا أن نتعلم كيف ننظر لمسيرة حياتنا من منظور أكثر اتساعًا وحكمةً.

**المال لا يعادل السعادة**

نحن بحاجة إلى مقدار ما من المال كي نعيش، كي نأكل ونلبس ونتعلم نحن وعائلاتنا، ولمواجهة الحالات الصحية الطارئة. فما لا شك فيه أن امتلاك المال يجعل الحياة أيسر. وبالتالي تكون الحياة تحت مستوى معين من المال - وهذا يتغير من بلد إلى آخر بسبب القدرة الشرائية للعملة - صراعاً مبرراً من أجل البقاء. بالنسبة للولايات المتحدة، لدينا رقم، وهو عدد سحري يشير لحد فاصل: في العام 2010 قام دانييل كانمان وأنغوس ديتون بتحليل أجوبة حوالي 450.000 شخص وفق مؤشر غالوب للصحة والسعادة. وقد سُئل ألف أمريكي يومياً، عن رضاهم العاطفي وعن تقييمهم لحياتهم.

وقد وجد كانمان وديتون رقمًا: ما يصل إلى 75.000 دولار كدخل سنوي، فإن امتلاك المزيد من المال يجعل الحياة أسهل والناس أكثر سعادة. ولكن ماذا بعد ذلك؟ «بعد حد الـ 75.000 دولار في السنة، في الولايات المتحدة المعاصرة، وجد أن الحصول على دخل أعلى لا يمثل طريقاً لسعادة مؤكدة، ولا طريقاً للتخلص من التعاسة والتوتر».<sup>(5)</sup>

يبدو أنه عندما نصل إلى حد 75 ألف دولار فإن تجربتنا في العالم تعتمد إلى حد كبير على موقفنا. وأدنى من هذا الرقم فنحن نعاني من تقييم يبخس الحياة، ومزيد من الألم العاطفي عندما تحدث أخطاء، وعندما يغادر الشركاء، أو تبرز مشاكل صحية. وفوق هذا الحد، يكون لدينا تقييم عالٍ للحياة، من زاوية الاعتقاد أن لحياتنا قيمة كبيرة وأنها أفضل، ولكننا لسنا أكثر سعادة، كما لا نشعر أننا أقل توترًا. وبكلمات أخرى، بعد حد معين لا يمكننا شراء السعادة - وهذا الحد هنا هو 75 ألف دولار -

على هذا الأساس، لنقل أننا نحتفظ بالفكرة القديمة عن الفشل الشخصي في ذهننا. يمكن أن نرسم خطأً ونقول «حسنًا، إذا كنت تكسب أكثر من 75 ألف دولار فأنت جيد. لقد نجحت في ذلك. وأنت ناجح. وبالتالي اترك التذمر وغير موقفك».

ولكن يتوجب عندئذ أخذ ثلاث حقائق بعين الاعتبار:

عندما أجرى كانمان وديتون البحث، كان متوسط دخل البيت الأمريكي هو 71.000 دولار. كان لثلاث البيوت فقط دخلًا يتجاوز 75.000 دولار. هذا يعني أن ثلثي ذوي الدخل في الولايات المتحدة يحصلون على دخل أقل من الرقم السحري لكانمان وديتون في العام 2010، أي أقل من 75.000 دولار. نخضع جميعًا لحقيقة تكيفنا السريع مع ما نملك. وحتى عندما نحصل على زيادة أو ترقية، فإن الارتياح لذلك يكون مؤقتًا قبل أن يصبح الرقم الجديد للدخل "عاديًا". إذا كان ثلثنا الأمريكيين لا يحصلون على مستوى الدخل الأساسي من أجل الإحساس بالارتياح النفسي، فهذا يعني أن ثلثي الأمريكيين - أي أغلبية الأمريكيين - يشعرون بأنهم فاشلون. ولا يقدرّون حياتهم حق قدرها. وعلى هذا الأساس يمكن أن نشعر بالسعادة بتوفر رقم 75 أو رقم 85 ألف دولار، ولن يكون بمقدورنا المحافظة على شعور الارتياح للترقية أو زيادة الراتب بأي شكل من الأشكال، لأننا سنتجه بعيوننا سريعًا نحو الدرجة التالية من السلم. وبالرغم من أن ثلثي الأمريكيين يمكن أن يكون لديهم حياة بائسة، يجب أن نضع في حسابنا ما يلي: يرى كانمان وديتون في بحثهما أن الناس الذين يكسبون المزيد من المال تقل قدرتهم على التمتع بالمسرات البسيطة. وبالتالي عندما تكون غنيًا جدًا فمن الممكن أن تجد صعوبة أكبر في التمتع بالأشياء البسيطة<sup>(6)</sup> في الحياة كما تتمتع بها عندما تعيش على الكفاف! وبكلمات أخرى، هناك ما يمكننا القيام به بغض النظر عن مقدار ما نكسب. يمكننا تحقيق الإحساس بالذات، وأن يكون لنا هدف، وهو ما لا يتوقف على قدرتنا على الكسب

أو عدمها. لن يحل هذا النهج جميع مشاكلنا ولكن من شأنه أن يجعل الحياة أسهل. فعندما نحصل على مبلغ الـ 75 ألف دولار التي يمكن أن تؤمن لنا كل ما نريد، فإن إحساسنا أننا أغنياء، والطريقة التي نقيم بها حياتنا، يكون أمرًا ذاتيًا ويتعلق إلى حد كبير بالظرف. لو كان الجميع يعيشون في أكواخ على شاطئ البحر، عندها سنشعر أننا بنفس حال الشخص المجاور. لو كان لجيراننا بيوت فاخرة مع أحواض سباحة كبيرة، لن نعد عندنا لتقييم بيت صغير من الأجر تقييماً عالياً. وسنشعر عندها أننا فقراء بغض النظر عما نملك فعلياً.

إذا ألقينا نظرة فاحصة على أنفسنا وعلى المعايير والممارسات المقبولة من قبل المجتمع الذي نعيش فيه، ندرك أنه باستطاعتنا أن نحدث تغييراً من شأنه أن يؤثر في سعادتنا، وحتى في المدة الزمنية التي سنعيشها.

من سوء الحظ، فإن جنون الإعلام الذي يوحى على مدار الساعة وطيلة أيام الأسبوع أن المزيد والمزيد يعني الأفضل والأفضل، يفرض علينا معيارنا للحياة الناجحة أو الفاشلة، وأن الفشل في الحصول على المزيد هو فشل جوهري، وأن معيار وجودنا هو ما نكسب. فنحن نقيس حياتنا غالباً بنسبة مشاعر السعادة والنجاح إلى التعاسة والألم، ولكن حياتنا تتكون غالباً من سلسلة من العقبات والانعطافات الخاطئة، ومن الإبداع بمواجهة الظروف، واكتشاف طرق ناجحة حين لا تعمل الطرق الأخرى. ويجدر بنا أن نرى كيف ستجري الأمور: هذه هي العوامل التي تلعب دوراً في تكويننا. وبالتالي إن كلمة «فشل» تلحق الأذى بجهودنا عندما تتيح لها أن تساهم في تكويننا.

لدينا هنا فكرة ذات جذور في السلوكيات القديمة. ماذا لو قسنا حياتنا بما لا يقاس؟ بالمدى الذي نحب به ويجبنا به الآخرون بالمقابل، بالمسافة التي نقطعها للتغلب على عقباتنا اليومية، من أجل أن نستمر، بالطريقة التي نثمن بها أننا أحياء، وبالميزات التي نظهر بها، ملايين الأحداث غير المسجلة وغير الملحوظة والتي تقع في كل ثانية في كل يوم، وتؤثر على حياتنا وحياة أولئك المحيطين بنا؟

هناك مليارات البشر الذين يعيشون حياة صعبة كيعقوب وعائلته. ولكن هؤلاء الناس عاشوا وما زالوا يعيشون حياة هادئة. هم محبوبون. وفي المقابل هم موضع حب. وفي كل يوم وعلى مدى أجيال قدم هؤلاء الناس الاكتشافات حول الآخرين، وعن الحياة والعيش؛ فهم يعيشون عبر المآسي والضحك. هؤلاء الناس هم نحن، ونحن هم. نحن نعيش حياة لا حدود لطاقتها وغير قابلة للقياس، وعندما نفرض معياراً لها نصبح معرضين لمرض النقمة والطمع والتوتر، مثلنا مثل غيرنا، ولمزاج يجعلنا معرضين للأثار الفعلية للبؤس والتوتر.

## تجارب مروعة

ليس من الضروري أن نكون أغنياء مالياً أو مشهورين أو نملك الكثير من الأشياء كي نشعر بالرضى. أسأل فقط أي شخص خضع لتجربة مروعة فيما إذا ظلت الأشياء التي كان يعتبرها مهمة قبل الحادث على نفس الدرجة من الأهمية بعده، أو أن علاقته بالريح المادي قد تغيرت.

بالتأكيد، المال يجعل الحياة أسهل. كما تساعدنا الممتلكات المادية بأشكال شتى. ولكننا على يقين من أن المال قد لا يكون قادراً على إسعادنا، بعد حد معين. فالفتى الذي يموت بعد أن يفوز بمعظم الألعاب لا يعتبر رابحاً.

إذا كانت الحياة مسيرة، ولهذه الحياة هدف، لا يمكننا أن نحكم على أنفسنا وعلى الآخرين بمعيار تفرضه وسائل الإعلام عن النجاح والفشل. أي شخص محظوظ مادياً يقول «لقد كنت فاشلاً، وأنا الآن ناجح جداً» فهو يرمي عباءة محبطة على بقية الناس ليجعلهم يشعرون أنهم فقراء وتنقصهم الكفاءة وأقل شأنًا من الآخرين. وعلى الرغم من أن المشاهير يهدرون حول قيمة الفشل من أجل أن يشجعوا على أمر ما أو لبيعوا أشياء معينة، فإن التصور القائل بضرورة امتلاك الكثير من الأشياء كي تعتبر ناجحًا، يحط من جهودنا الإنسانية، وكفاحنا وقدراتنا البطولية على البقاء والتعامل مع المحن.

يمكننا أن نقول، مما نعرفه الآن، أن الحياة التي تعاش بتامها ليست فشلاً. نعم يمكن أن تكون مليئة بالانكسارات والمفاجآت والنتائج غير المرغوبة، ولكن في النهاية، في نهاية المطاف، فإن حياتنا جميعاً... ستنتهي. ربما نفشل في الاستيقاظ ذات صباح، ولكن العالم سيستمر من دوننا. ونحن لا نذهب إلى المآتم باعتبارها مجرد حلقة ختامية لمسيرة حياة الشخص، ولحظة نحصي فيها إنجازاته ونصنفها من زاوية النجاح والفشل. نحن نذهب احتراماً للشخص ولمن عاشوا وكى نظهر لمن بقي أن الشخص هو المهم، وأن جميع إنجازاتهم ونضالاتهم وميزاتهم الشخصية وكل أفعالهم الطيبة ذات قيمة كبيرة. وأن هذا ما استحق اهتمامنا وما يزال.

ولكن إن لم يكن مقياس حياتنا عند نهايتها الفعلية هو مقدار ما راكمتنا من الأشياء أو عدد الإنجازات التي يمكن إحصاؤها، فما الغاية من وجودنا.

لقد حان الوقت للتوقف عن النظر لحياتنا على هذا النحو، لأن أداة القياس خاطئة.

أحد أكثر التصورات إثارة عن الحياة وقيمتها تأتي ممن خاضوا تجارب مروعة. وتظهر الدراسة - بغض النظر عما إذا كانت نجاتهم بفعل الصدفة، أو كانوا ذوي تجارب روحية رفيعة - أن للتجربة أثراً عميقاً بعيد الأثر على حياة البشر، وعلى الكيفية التي يعيشون بها حياتهم، وعلى تقييمهم للحياة.

يبدو أن الناس الذين يواجهون الموت أو يقتربون منه يغيرون من رؤيتهم لما هو مهم ولما له معنى. ويمكن لهذا التغيير أن يكون هبة كبيرة بالنسبة لمن غرق منا بسهولة في التوتر، وهو يلاحق الأحلام والنجاح المادي، وهو خائف أيضاً من الفشل. يقدم لنا هؤلاء الناس رؤية عميقة. ليس من الضروري أن نواجه الموت بأنفسنا كي نفهم ونقيم الحكمة التي حصلوا عليها.

ريك الياس مسؤول يرأس شركة التسويق ريد فينتشر. وهو أيضاً أحد الناجين من الرحلة 1549 التي تحطمت عند الهبوط في نهر هيدسون في كانون الثاني من العام 2009، وكان سبب نجاته مهارة وذكاء الكابتن شيسلي سولينبيرغر (سوللي). يقول الياس أنه تعلم عددًا من الأشياء مع الصدمة التي أصابت المحرك وانقلاب الطائرة. لقد أعاد تقييم كامل حياته في وقت قصير جدًا، عندما أدرك أن موته كان وشيكًا. كان رجاءه الوحيد أن تنفجر الطائرة. لم يكن يريد لها أن تنشطر إلى أجزاء؛ لقد أراد أن يموت فورًا. وقال إنه أدرك في تلك اللحظات أن هناك حزنًا في الموت، ولكن ليس خوفًا. فالموت، كما يقول، ليس مفزعًا. ولكن الحزن الذي انتابه كان أسى متعلقًا بأولئك الذين أحبهم وسيخلفهم وراؤه.

“جلت بتفكيري، يا إلهي، أشعر فعلاً بأسى حقيقي. لقد عشت حياة جيدة. وقد حاولت بطبيعتي الإنسانية وأخطائي، أن أصبح أفضل في كل شيء حاولت القيام به. ولكن بطبيعتي الإنسانية كنت أسمح

أيضاً لذاتي أن تتدخل. وقد شعرت بالأسف على الوقت الذي أضعته على أشياء لا قيمة لها مع أناس لهم قيمة بالنسبة لي. وفكرت بعلاقتي بزوجتي، وأصدقائي، ومع الناس عموماً. وبعد أن فكرت بذلك قررت أن أتخلص من الطاقة السلبية في حياتي. لم يتم الأمر بشكل كامل، ولكن أصبح الوضع أفضل بكثير. مضى ستان لم أتخاصم فيها مع زوجتي. وهذا شيء عظيم. لم يعد يعنيني أن أكون محقاً؛ ما يهمني هو أن أكون سعيداً.<sup>(7)</sup>

في السنوات التي تلت الحادثة، تغير هدفه من الحياة تماماً. في المقام الأول أصبح يزهو لكونه أباً. والرسالة الوحيدة لهذا المدير الرفيع هو أن يكون أباً عظيماً.

لا يتعلق النجاح والفشل بالنسبة له إلا قليلاً بالأشياء المادية، بل بكونه المخلوق الإنساني الأكثر حباً وعطاءً للناس الأكثر أهمية في حياته.

“لقد مُنحت فرصة خارقة بعدم موتي في ذلك اليوم. ومنحت فرصة أخرى، وهي قدرتي أن أنظر إلى المستقبل والعودة ثانية والعيش على نحو مختلف. أنا أطلب منكم أيها الأصدقاء الذين تقومون برحلات طيران اليوم، أن تتخيلوا حدوث نفس الشيء معكم - وأمل ألا يحدث ذلك - ولكن تخيلوا فقط، وكيف ستغيرون؟ ما الذي يتوجب عليكم القيام به، وتنتظرون القيام به، لأنكم تظنون أنفسكم باقون في أمكنتكم إلى الأبد؟ كيف ستغيرون علاقاتكم والطاقة السلبية بها؟”<sup>(8)</sup> هذه الرؤى تتيح لنا إدراكاً نادراً للأشياء المهمة حقاً. لا حاجة لنا أن نختبر حادث تحطم طائرة. يمكننا أن نستيقظ غداً ونحل جميع التوترات والقلق المتعلقين بـ “محاولة القيام بذلك”.

أحد أهم قصص الرعب الملهمة هي تلك المتعلقة بتجربة أنيتا مورجاني القريبة من الموت. وقد أصبحت قصتها، كما روتها في كتابها «قصة موتي»، إحدى أكثر قصص الرعب توثيقاً وانتشاراً. التجربة ذاتها شيء، ولكن بغض النظر عما نعتقد، فقد غيرت آثارها حياة أنيتا ويمكن أن تكون مصدر وحي لنا جميعاً في اختيارنا للطريقة التي يمكن أن نحيا بها حياتنا.

“الدرس الأهم الذي تعلمته هو أهمية أن أحب نفسي وأن أكون منصفة تجاه نفسي. هذا هو الدرس الأكثر أهمية من تجربتي المروعة. كنت أعتقد سابقاً أنه من الأنانية أن أحب نفسي وأحقق احتياجاتي قبل الآخرين، ولكنني تعلمت فيما بعد أنه ما لم أحب نفسي أولاً لن يبقى لدي من الحب ما يكفي للآخرين، لأنه لا يمكنني أن أعطي الآخرين ما لا أملك. بقدر ما أحب نفسي وألبي احتياجاتي، بقدر ما أكون كريمة مع الآخرين.”<sup>(9)</sup>

في العام 2002 كانت تعيش أنيتا مورجاني في سنغافورة، عندما شخّص لها الأطباء سرطان الغدد اللمفاوية. كانت تخاف من السرطان طيلة حياتها، وقد عملت كل ما بوسعها لتجنبه، لذا كان التشخيص صدمة كبيرة. في العام 2006 وصلت إلى المراحل النهائية، على الرغم من جميع العلاجات الطبيعية والكيميائية المعروفة في العالم، فتم قبولها في المستشفى بعد أن بدأت أعضاؤها بالتوقف عن العمل. ثم فقدت وعيها، وتم استدعاء عائلتها. في ذلك الحين، كما قالت، شعرت بنفسها أنها «بصدد الانتقال إلى العالم الآخر». وفي مقابلة لها في العام 2015 مع محطة مانيفيس-ستيشن تقول إنها قبل أن تفقد الوعي كانت في

حالة «ألم شامل. لا أريد لهذا أن يحدث لأسوأ أعدائي. لم يكن بإمكانني أن أستلقي دون أن أشعر بالاختناق. كان جلدي مليئاً بالقروح... كان ذلك ما سبب لي ألماً مبرحاً»<sup>(10)</sup>

عندما دخل جسدها في غيبوبة لمدة خمس وثلاثون ساعة، وجدت نفسها في فضاء حيث لم يكن الوقت - كما قالت - انسيابياً. فقد التقت بأصدقاء وأقارب متوفين، وخصوصاً أبيها وأفضل صديقة لها كانا قد توفيا بسبب السرطان. كما قالت، «لقد عرفت ما الذي سبب لي السرطان. وعرفت أنه لم يكن وقت موتي وعليّ أن أعود... لقد أدركت في ضوء تلك التجربة المروعة أن طاقتي هي التي ارتدت علي. وكان هذا بمثابة مراجعة لقناعاتي الخاصة حول نفسي»<sup>(11)</sup>

وخلال وجودها بحالة الغيبوبة كانت تسمع وترى ما كان يحدث في غرفة المشفى، وعلى طول الرواق وإلى مدى أبعد.

«أتضح لي بجلاء سبب إصابتي بالسرطان والسبب الذي أوصلني إلى هذه الحالة... كنت قادرة على رؤية حياتي كاملة، وكل قرار أو فكرة كانت لدي طيلة حياتي... وعرفت لماذا كنت هناك. لو كان لي أن أعبر عن ذلك بكلمة واحدة، لقلت إنه الخوف. لقد كنت خائفة ألا أكون جيدة كما يجب، وأن أسبب الاستياء للناس... وألا أكون عند حسن الظن... وألا أكون متدينة بما يكفي... ومن الموت... والأخرة؛ لقد خفت من السرطان ومن العلاج الكيميائي. كما خفت من أشياء أعتقد أنها سبب في السرطان، كأجهزة الموبايل، والميكروويف»<sup>(12)</sup>

إن تجربتها خارج الجسد، خلال تلك اللحظات التي اعتقد فيها من كان حولها أنها ميتة، قد غيرت حياتها. وهي تقول إنها أعطيت رسالة عندما كانت هناك، ومضمون الرسالة هو أنها ستشفى خلال فترة قصيرة إذا اختارت الرجوع.

وعندما استعادت وعيها وفتحت عينيها، صعقت عائلتها من الدهشة. فقد اعتقدوا أن هذه هي آخر ساعاتها. ولكنهم لم يكونوا أكثر دهشة من الأطباء. فعلى الرغم من إعطائها العلاج الكيماوي لعدة أسابيع، فقد كان غياب أي أثر من السرطان أمراً غير مسبوق. بعد خمسة أسابيع اختفت أورامها الواسعة وأفاتها الجلدية وقروحها المؤلمة وأي أثر ممكن للنمو السرطاني. سافر اختصاصي الأورام الدكتور بيتر كو من كاليفورنيا للقاء فريقها الطبي في المشفى الذي كانت تعالج فيه في هونغ كونغ، واطلع على سجلها الطبي. لم يستطع أن يستوعب كيف تحقق لها هذا الشفاء السريع والخارق. وفيما بعد كانت حالتها موضع تحقيق من قبل اختصاصيين آخرين في الأورام من مختلف أرجاء العالم، وواجهوا ذات الحيرة إزاء استمرارها على قيد الحياة. ولكن ربما يكون الأكثر إثارة هو كيف تغيرت حياتها بعد هذه التجربة. فمثلما كان الحال مع ريك الياس، فقد تغير محور حياة أنيتا كلية. لقد اقتنعت أنها قد عثرت الآن على الغاية من حياتها. وهي ترى أنه يجب ألا نتعامل مع أي شيء في حياتنا كما لو كنا في معركة.

«عليك بالعمل عليه. إن كان حياة أو سرطاناً أو فقدان عمل، أو أي تحدٍ. احتضنه. ولتحب المكان الذي أنت فيه الآن. استمع لما يحاول أن يقوله لك؛ وحاول أن تعرف ما العبرة التي يقدمها لك. الحياة والمرض والنضال في أي شكل من الأشكال ليس سباقاً أو معركة... إياك والهوس بالأشياء... أو بالمرض... أو بخسارة العمل... عندها سنخسر أنفسنا. نحن نهجس بالوضع المالي أو الوضع الصحي ونحيل أيامنا إلى

معارك. السرطان هو أفضل هبة حصلت عليها... وهذا السرطان أنقذ حياتي. لم يكن لي أن أتغير لقاء أي شيء... كنت أعتقد بضرورة متابعة الأشياء... كانت حياتي أشبه بالسباق. لقد كنت أعمل في ميادين مشتركة... وكان الأمر تنافسيًا جدًا جدًا. والآن لن أعود لذلك ثانية. ولم أعد أرى الزمن بنفس الطريقة. لا أرى أننا في سباق مع الزمن. فكل ما في العالم يوجد على نحو متزامن” (13)

يجب أن نبحت عما يجلب لنا الفرح. الأكثر أهمية، هو أنها تطلب منا “أن نخرج من حالة الخوف هذه” (14) لتذكرنا بضرورة أن نفعل الأشياء التي تجعل قلوبنا تغني، بدلًا من الأشياء التي نشعر أننا ملزمين بالقيام بها.

## تغيير رؤيتنا

نحن نعيش حياة ملؤها الخوف من الفشل: نخاف أن نفشل نحن، أو شركائنا، أو أحلامنا، أو أولادنا. نخاف من فشل صحتنا، ومن خسارة وظائفنا، ومن فشل أولادنا في المدارس، ومن الفشل في الحياة. هناك مقالون وكتاب ومبدعون وعلماء يطلبون منا أن نتقبل الفشل وأن نفشل مرارًا ولكن على نحو أفضل. ولكن في النهاية تلعب لغة الفشل دورًا في تشكيلنا وتشكيل حياتنا، وهو ما يجعلنا نشعر أننا هامشيون ومحطمون. أغلبنا سيعيش حياة عادية، تتضمن تجارب فريدة. ووفق المعايير المادية، سيفشل معظمنا بين الحين والآخر.

وبالتالي قد يكون من المفيد أن نبدأ بالتخلي بشكل تدريجي عن الاعتقاد بأن حياتنا هي مجرد سلسلة من النشاطات لوضع الأهداف وتحقيق هذه الأهداف. ماذا لو تخيلنا عن الفكرة القائلة إن الحياة عبارة عن سباق وخط نهاية، واستبدلناها بالفكرة القائلة أن الحياة عبارة عن رحلة؟ هناك عقبات ومخاطر على طول الطريق. نتغلب على البعض منها، وبعضها الآخر يعيدنا إلى الوراء، ولكن طالما أننا أحياء، تتمتع حياتنا بهدف.

نحن نضع ذلك الهدف.

لو كان هدفنا تكديس الأشياء ومراكمة الثروة والنفوذ، يمكن لنا أن ننجح في ذلك، ولكن هذا لن يجعلنا أكثر سعادة من أي شخص في الشارع يكسب 75 ألف دولار. إذا كان هدفنا أن نعيش كل يوم بأفضل ما يمكن، يمكننا عندئذ وفقًا لرؤية ريك الياس وأنيثا مورجاني أن نعيش حياة ملؤها الفرح والهدف والمعنى، بغض النظر عما نملك وعما حققناه. إذا كنا نبحت عن العبرة، يجدر بنا أن نجدها في القصص الواقعية للناس الحقيقيين الذين يعيشون حياتهم خارج متواليه النجاح والفشل.

## أفكار مهمة

• إن ثروة واحد في المائة ممن هم الأغنى في العالم تعادل ثروة التسع والتسعين بالمائة المتبقية من سكان العالم. فمن زاوية تحقيق النجاحات الكبيرة، فالتناجح ضد غالبية البشر.

• إن التخلي عن هدف ما واعتماد شيء آخر لم يكن متوقعًا يمكن أن يكون جيدًا. ووفقًا للبحث، إن تحقيق الربح بعد حد معين - 75 ألف دولار في الولايات المتحدة - لا يزيد من السعادة.

• إن أداة القياس التي نعتمدها لمعرفة ما هو مهم في الحياة هي أداة خاطئة. يظهر لنا الناس العاديون الذين يوشكون على الموت أن أفكار النجاح والفشل تفقد كل معنى لها عندما يكون المرء أمام احتمال الموت.

### أفكار مساعدة لتغيير تفكيرنا حول النجاح والفشل

• لتتخلي عن بعض الأهداف المحددة من قبيل «عليّ أن أجمع ما يكفي من المال كي أتقاعد في سن الخمسين». أو «عليّ أن أتزوج في سن الثلاثين». أو «يجب أن يكون لدي رصيد كبير في البنك كي يكون بإمكانني أن أرتاح وأستجم». هناك الكثير مما يمكن أن يمنعك من الوصول إلى تلك الأهداف، وهو خارج نطاق السيطرة.

• عليك ألا تقلق حيال المسائل التافهة. إذا كانت طائرتك على وشك السقوط، فما الذي يستحق الأسف بالدرجة الأولى؟ انهض في اليوم التالي وافعل ما من شأنه أن يحركك من هذا الأسف.

• تذكر أن الأثر المريح للنجاح هو أثر عابر. ستجد نفسك سريعًا مكرهًا للسعي وراء حلم آخر. استمتع باللحظة التي أنت فيها. فالحياة برمتها تتكون من سلسلة من اللحظات. واللحظة الراهنة هي الحقيقة الوحيدة.

• توقف عن النظر لقيمتك الشخصية من زاوية ما تملك من الأشياء. فأنت فريد وثنمين كأى شخص آخر، بغض النظر عما تكسب، وعن شهرتك، أو السيارة التي تقود.

## الفصل السابع

### لغة الفشل

كانت كلمة «فشل» في العام 2013 الكلمة الثانية الأكثر استعمالاً على الإنترنت بعد شفرة الخطأ 404، التي تعني الشيء ذاته:

404 هي الشيفرة العددية شبه العالمية للفشل على شبكة الإنترنت العالمية، معززة من استخدامها الأصلي بمعنى «الصفحة ليست موجودة». والكلمة المفردة «فشل» تستخدم غالباً مع «404» لتدل على الفشل الكامل للجهد أو المشروع أو المحاولة.<sup>(1)</sup>

في الحقيقة يشير الرمز «404» إلى رقم غرفة - ففي الغرفة 404 من الطابق الرابع في مركز أبحاث سيرن في سويسرا، وجدت قاعدة البيانات الأولى، التي ستصبح فيما بعد الشبكة العنكبوتية العالمية، موطنها الأولي. هنا قامت مجموعة من العلماء الشباب المتحمسين وأصحاب المبادرات بابتكار رمز الخطأ الذي يعود إلى المراحل المظلمة في تسعينات القرن العشرين.<sup>(2)</sup> وقد أضاف العالم بهذا معنى آخر لكلمة فشل، التي كان يتغير معناها باستمرار طيلة قرون من الزمن. فإذا كنا بصدد كتابة كتاب كامل مكرس لنسف خرافة الفشل، فمن المهم أن نتفحص لغة الفشل والكلمة ذاتها، التي أصبحت جزءاً يتغلغل في حياتنا.

#### تاريخ مختصر عن الفشل

من بين أكثر من مليون كلمة مستخدمة في الإنكليزية وحوالي 600 مليون إنسان يكتبون باللغة الإنكليزية على الإنترنت، فإن كلمة فشل ومفهوم الفشل يأتیان في المرتبة الأولى.

ظهرت كلمة يفشل في القرن الثاني عشر من الكلمة الفرنسية (falir) التي كانت تعني «يعاني من النقص»، «يصل إلى النهاية» «يواجه الموت» أو «يُسقط». ومن اللاتينية (faller) التي كانت تعني «يتعثر»

أو «يسبب السقوط» بالمعنى الحرفي و «يكيد، يخدع، يغش، أو يكون ناقصًا» بالمعنى المجازي. قبل القرن الثاني عشر كانت الكلمة الإنكليزية القديمة (abreodan) التي كانت تعني «يهلك» أو «يتدمر». ومن حوالي القرن الثالث عشر كانت كلمة «fail» تعني «ينفذ» وكانت تستخدم فقط للإشارة إلى البضائع والأشياء والأطعمة. ما بعد أواسط القرن الثالث عشر اتسع معنى كلمة (fail) نحو فشل الأشياء والمواضيع وأصبحت تعني «ينهار» أو «يتشظى». وبعد القرن الثالث عشر أصبحت الكلمة تشير أحياناً للتجارب البشرية أيضًا فكانت تعني «يواجه نقصًا في القوة» أو «تخونه الشجاعة» أو «يخفق من حيث القوة». وفي أواخر القرن الثاني عشر بدأت النسخة الإنكليزية-الفرنسية من الكلمة (failer) تستخدم باسم الفشل (failure). وفي العام 1837 فقط تم استخدام الكلمة كتعبير واسع يصف الشخص، كما في القول «كان فاشلاً فشلاً ذريعاً»<sup>(3)</sup>.

تكمن أهمية هذا العرض في أنه يمكننا من رؤية الكيفية التي تطورت وفقها كلمة «فشل» (failure) عبر الزمن وكيف تبدل معناها، وملاحظة كيف دخلت إلى القرن الحادي والعشرين، والدور الهام الذي تلعبه في حياتنا جميعاً. قبل أقل من مئتي عام لم يكن من الممكن أن توصف بأنك «فاشل». والآن يبدو أننا خاضعين تقريباً للتصور بأننا «إما ناجحين أو فاشلين».

كما نعلم، لقد كانت جميع الأنواع الحية تتنافس وتربح وتخسر في معركة الوجود طيلة مسيرة التطور. إن نمط المحاولة والخطأ هذا ينطبق على كل شيء. فنحن لسنا صيغ مكتملة. نحن في مسيرة تطور طوال الوقت؛ نحن كائنات متطورة. والكلمات كائنات متطورة أيضاً.

نستخدم كلمة فشل في سياقات عديدة في هذه الأيام. أكتب كلمة «يفشل» على محرك البحث غوغل، مسبوقة بأي اسم، وسوف يتم تزويدك بسلسلة من الكوارث الطريفة - «كلب يفشل»، «قطة تفشل»، «فتى يفشل»، «فتاة تفشل»، «زواج يفشل» - وما يدعو للفكاهة والضحك هو كون نتيجة البحث غير متوقعة. فلا القطة التي كانت تحاول صيد السمك ولا الشخص الذي كان يصور القطة كانا يعرفان أن القطة ستسقط في حوض السمك. النتيجة غير المتوقعة أصبحت الآن خبراً مثيراً عن ال«فشل» على الإنترنت.

هناك مليون طريقة تحفّق فيها الأشياء كل يوم. ولكن اللغة التي نستعملها ونسمعها، والتي تمكّننا من نقل ما نفكر به وكيفية تفكيرنا فيه، تساهم أيضاً في صياغة حقائقنا ومعتقداتنا. لولا ذلك، لما ظل الكتاب يتعرضون للسجن في جميع أرجاء العالم، ولما تعرض الصحفيون للاضطهاد، ولما استقطب المتنافسون من أجل الرئاسة من يشاهدهم، ولما كان للجرائد من يقرأها. ولن يحتج أحد على الفيسبوك، ولا أحد سيرد على الاحتجاج. للكلمات أهميتها. يمكن للكلمات أن تغير عقولنا. نحن نؤسس أصواتنا وقناعتنا وتعليمنا ومعتقداتنا، على الكلمات وقدرتها على تحريكنا. ما زالت الأنظمة عبر العالم تخاف من القلم ولوحة المفاتيح كغزو مسلح من الغرباء. ويتم نفي وسجن المبلغين الذين يسربون الوثائق، ويريد قتل هؤلاء بسبب الكلام الذي نشره. كما تخاف الحكومات في جميع أنحاء العالم من الكلمات ومما يمكن أن تفعله الكلمات.

من الواضح أن الكلمات تتمتع بطاقة كبيرة، والأمر يتعلق بكيفية استخدامها لها. وبالتالي إذا كانت كلمات «يفشل، وفاشل» من بين أكثر الكلمات استعمالاً في العالم، يجب إذاً أن يكون لها تأثيراً. لقد خبرنا جميعاً

كيف تساهم الكلمات في صياغة معتقداتنا وقيمنا. ما الذي يعنيه لحياتنا أن يوصم الكثير مما نفعله بالفشل، وكوننا أَلصقنا إلى حد بعيد معنى العار بهذه الكلمة في مجالات كثيرة؟

بحلول العام 1837 بدأ المجتمع بتسويق مفهوم الفشل الشخصي إلى الجماهير عبر استخدامه في الحديث عن شخص ما فاشل فعليًا. هل يعني هذا أن البشر لم ينظروا لأنفسهم فيما مضى كمقصرين أو غير جديرين؟ لا، بالتأكيد ليس كذلك. ولكن وصف أحد ما بأنه «فاشل» يعني إعطاؤه دمغة نهائية، دمغة لم توجد مطلقًا من قبل، ولكنها نشأت الآن وتسربت إلى أنظمتنا التعليمية والطبية وحياتنا الشخصية.

لا شك أننا كنا نتمتع بمشاعر بأشكال مختلفة، طيلة مسيرة التطور، حول عدم تحقيق أهدافنا وعدم كسب ما يكفي من المال، وعدم الحصول على الوظائف التي كنا نرغب بها، وسوف تبقى جزءًا من حياتنا. ولكن المنظومات الخيالية والمعقدة التي فرضناها على حياتنا والطريقة التي نعيشها بها، هي، من صنع أيدينا، من صنع اللغة التي نستعملها ونؤمن بها.

هناك استخدام مفرط لكلمات «يفشل وفشل»؛ نحن نطبقها في حياتنا في مناح متعددة كل يوم، وننسى غالبًا إلى أي حد يكون تصورنا عن أنفسنا وعن الآخرين متأثرًا بمفهوم الفشل.

## الخوف من الفشل

عندما نقصر أنفسنا بهذه الطريقة من رؤية العالم كما لو أنها الطريقة الوحيدة الموجودة، فإننا نخلق واقعًا يصعب علينا الهروب منه.

ولكن الناس تحاول.

فالجماعة التي تزعم أن «أفضل جيدًا» و «أن تفشل أكثر يعني أن تفشل بشكل أفضل» تحول في حقيقة الأمر.

ولكنهم يعارضون تعريف الفشل ذاته وطبيعته النهائية. يتصف الفشل الشخصي والمالي والأكاديمي بهذه الوصمة المرتبطة به، ويخلق الكثير من العار لدرجة أن الناس يلجؤون إلى أبعاد سخيفة لتجنب النظر إليهم على أنهم فاشلون.

من دون هذه الوصمة والخوف المرافق للفشل لما رأينا هذه النتائج المدمرة. وفي كتاب «تفكير الصندوق الأسود» (Black Box Thinking) يرى «ماتيو سيد» (Matthew Syed) أن الخوف من العار والفشل في الطب ونظام العدالة الجنائية خصوصًا يؤدي إلى تمسك الناس بتصورهم الخاص عن الواقع حتى لو كان هناك براهين قاطعة على غير ذلك، وهو ما ابتكر له مصطلح «التنافر المعرفي»<sup>(4)</sup>.

هذا صحيح! عندما تتم مواجهة الناس بحقائق دامغة، يصر نفر من الناس الأذكياء على التمسك بأفكارهم الخاصة، للمحافظة على ماء وجههم. وهذا يشمل مثلاً قضاة المحكمة العليا الذين لا يسمحون بإطلاق سراح المتهم حتى عندما تكون اختبارات الـ DNA والفاعل الحقيقي موجودة وبما لا يرقى إليه الشك. ويروي سيد قصصًا عن قضاة ومحلفين يضعون قصصًا محكمة لدعم مزاعمهم عن إثم شخص ما،

بغض النظر عن اختبارات الـ DNA أو غيرها من الدلائل. لماذا؟ إنه العار. لا يرغب الناس أن يكونوا مخطئين، بسبب الطريقة التي ينظر بها المجتمع للفاشلين. فعندما تفشل في تحديد المجرم في الحد الأدنى، فهذا يجعلك تبدو سيئاً. لذا عليك الاحتفاظ بالشخص الذي ألقيت القبض عليه أولاً، لأن هذا يجعلك تظهر بمظهر جيد. يمكن لبعض الناس أن يغامروا بالأرواح والأخلاق كي يحافظوا على مصداقتهم. إن رغبتنا في تجنب اللوم والعار أو كليهما هي الأساس لكل كذبة أو تستر في العالم. وفي هذا الصدد يورد سيد حالة طبية يرفض فيها جراح كبير أن ينزع قفازات اللاتيكس حتى عندما يظهر المريض علامات صريحة على تحسسه من اللاتيكس. كان المريض أمام خطر الموت، ولم يتخلى الجراح الرئيسي عن القفازات إلا تحت التهديد من قبل زميله بمكالمة المسؤول الأعلى فوراً وإبلاغه بما كان يجري. ومن حسن الحظ أن ذلك الزميل كان باحثاً في الأخطاء الطبية. فقد توفي والده بسبب خطأ طبي، ووجد أنهم أمام خطر خسارة هذا المريض بسبب التنافر المعرفي لدى الجراح الذي كان يشرف على العملية. لم يعمد الجراح لنزع قفازاته إلا بعد تهديد زميله. لينجو المريض بعد ذلك.<sup>(5)</sup>

إن الكذب والتستر على الحقائق وتجنب العار واللوم هي جميعاً نتائج ثانوية لثقافة تعتبر الفشل بطريقة أو بأخرى أسوأ نتيجة ممكنة. عندما تفشل مناورة عسكرية، أو تبدو الحرب محكومة بالخسارة، تتقدم الدعاية وملفغو القصص لاختراع روايات بديلة لدعم النظام أو الأيديولوجية اللذان يسعيان لدعمه. تستخدم الكلمات على نحو ماكر وملتمس ككلمة «فشل» من الظهور.

عندما نكون قلقين من الامتحان، سنعمد إلى الغش من أجل النجاح بدلاً من المخاطرة بالفشل. في غالب الأحيان لا يتم الكشف عن الوفيات الناتجة عن الأخطاء الطبية. هناك حالات قليلة حيث يتم الاعتراف بالأخطاء الخطيرة وإخفاقات الدرجة الأولى، وتتخذ الإجراءات لتجنب أخطاء لاحقة. إن صناعة الطيران هي أشهر ميدان يحدث فيه هذا، وقد أصبحت بفعل الصندوق الأسود المعيار الذهبي الذي يمكن أن نقارن به طريقة تعاملنا مع الفشل في الميادين الأخرى.

لقد أوجدنا نفوراً من الفشل من خلال ردود فعلنا عليه في جميع مناحي الحياة. وقبل الانتقال لما يمكن أن نقوم به فعلياً لمعالجة هذه الحالة الضارة، لننظر إلى أحد الميادين التي تبدأ فيها لغة الفشل بالنسبة للكثير منا، وحيث يوجد فعلياً جذر الكثير من المشاكل المرتبطة بالفشل.

### الفشل في المدرسة وما بعدها

يخضع الملايين والملايين من الأطفال في العالم للامتحانات. والامتحانات في نهاية المدرسة هي المثال الأوضح عن الكيفية التي ابتكرنا بها ثقافة الخوف من كلمة «الفشل». والأبعاد التي سيذهب إليها الناس لتفادي العار والقلق المرافق للفشل في امتحانات المدرسة النهائية متطرفة جداً. شهدت جميع أرجاء العالم، وخصوصاً الهند وبلدان آسيوية أخرى، ازدياداً هائلاً في صور المنتحرين بين الشباب بسبب العار والخوف من عدم النجاح في المدرسة. إن لغة الفشل موجودة في كل شرح يتعلق بمقرر دراسي في المدارس، وهي تؤثر على الملايين والملايين من الأطفال كل يوم. هل فشلت أنا؟ هل حصلت أنت على الدرجة A. والجواب

أحياناً يكون حياة أو موت. هناك الآلاف من الطلاب الذين يتتخرون كل عام خوفاً من الفشل، أو خوفاً من علامة منخفضة على ورقة الامتحان النهائي.<sup>(6)</sup>

كيف يمكن لأي كان أن يقاوم التأثير البالغ للغة الفشل في البيت والمدرسة؟ فالأولاد يُقيّمون وفق سلم الدرجات A to F من اللحظة التي يستطيعون أن يفهموا فيها العالم. أولاً وقبل كل شيء يتعلمون الخوف من الفشل، أو الفاشلين. ولا يمكننا أن نقول لهم فيما بعد بأن الفشل جيد حقاً وأنه يعلمك شيئاً ما، لأنهم يعلمون أن الفشل شيء سيء. فهو يجلب لك استهزاء واستعلاء الأولاد الآخرين، ويجلب لك السخرية من المعلمين وخيبة الأمل من الأهل الذين دمجوا على نحو ما بين النتيجة المدرسية لأطفالهم مع غريزة البقاء الرئيسية. في الولايات المتحدة يشكل الانتحار ثاني سبب للموت ضمن الفئة العمرية ما بين العشرة والأربع والعشرين عام. وتعتبر الأوساط المدرسية السبب الرئيسي لإحساس الأطفال بعدم الجدارة والوهن والعجز. ومن هنا يبدأ الخوف من الفشل بالنسبة لكثير من البشر.

“يمكن أن يشعر الشباب بارتفاع التوتر من البيئة التنافسية الزائدة في المدرسة. إن التفاوت الكبير في الدخل يستلزم بذل المزيد من أجل التقدم في المدرسة: أي كي نكون ناجحين في العملية بدلاً من أن نكون خاسرين. ويكون أداء الطلاب المحبطين أقل نظراً لتزايد الضغوط مع مرور الزمن.”<sup>(7)</sup>

في المرحلة الأولى من التحقيق في عمليات الانتحار التي ارتكبتها 145 شخصاً دون الخامسة والعشرين من العمر في بريطانيا، وجد باحثون في جامعة مانشستر أن هناك «أحدًا ذات صلة» قبيل عملية انتحار الشباب. بين عامي 2014 و 2015 كان تقريباً ثلث الشباب الذين كانوا في المدرسة وقاموا بعملية الانتحار، يواجهون امتحاناً أو يواجهون نتائج الامتحان عندما ماتوا.<sup>(8)</sup>

كم هو مقلق أن يقوم شاب، مفعم بالحياة والطاقة والموهبة بالموت بدلاً من مواجهة الامتحان أو نتائج الامتحان! ولكن علينا أن نتذكر أننا نحن من اخترع إخفاقات الدرجة الثالثة هذه من لا شيء. فالمعلمون والمشرعون يقررون أن علامة ما تمثل النجاح وأخرى تمثل الفشل. إحداها علامة قبول، والثانية تخبرك أنك غير جدير.

هناك خطأ ما يحيط بمجمل طموحاتنا والطريقة التي نستخدمها بها. إن نظام التدرج A to F هو مشكلة اجتماعية لا تعكس العالم الحقيقي للجهد والتطور الإنسانيين. تقوم المدارس بنقل الطموحات التي اخترعناها إلى الطلاب، حيث يوجد سلم للنجاح يؤدي لتصنيف بعض الأطفال كناجحين والبعض الآخر كخاسرين. ولكننا نعرف من خلال النظر إلى إخفاقات الدرجة الثانية والى كل مسعى مغامر وإنساني وخلاق أدى لنتائج غير متوقعة، أن هناك مقارنة مختلفة كلياً يمكن اعتمادها لنموذج الراجح/الخاسر هذا.

لا يعمل العالم الواقعي وفق معيار A to F. والعالم الواقعي يقدم لكل منا سلسلة من النتائج غير المتوقعة. ونحن في الغالب لا نحصل على ما نريد أو على ما نصبو إليه، ولكن ثمة أشياء أخرى تحدث أثناء الطريق. فطالما أننا أحياء سنجد صعوبة في القول إن الفشل أمر جيد. لأن كلمة «فشل» تعتبر حكماً نهائياً؛ فهي تمنعنا من التطور.

نحن بحاجة لمقاربة جذرية للكيفية التي ننظر بها للفشل. يجب أن نزيل كلمة «فشل» من المدارس والمعاهد الأكاديمية؛ وسيذهب معها في النهاية مفهوم الفشل الشخصي. وعندما نزيل كلمة «الفشل» من

السجل المدرسي لن يتم بعدها إخبار أي طالب بأنه فاشل، وبأنه أقل جدارة من الآخرين. وسيكون همّ الطالب عندها هو التعلم، وليس تجنب الفشل.

السبب الذي يجعل الحصول على الدرجة F في الامتحان أسوأ من الموت بالنسبة للبعض، هو أن فكرة الفشل الشخصي لم تعد قابلة للانفصال عن نتائج الامتحان. فالدرجة F تعني أنك فاشل. أي لا تملك ما يكفي من الذكاء. فأنت أسوأ من أي شخص آخر، وأقل قيمة، ولست جديرًا.

الإخفاقات الأكاديمية هذه هي إخفاقات من الدرجة الثالثة. فهي نتائج اعتبارية مبنية على معايير مبتكرة تتغير من بلد إلى آخر، ومن دولة إلى أخرى، وتفيد بأن حزمة ضيقة من النتائج تناسب مجموعة ضيقة من الأطفال. لقد أوجدنا ثقافة، تقيدنا، حول فكرة الفشل، وعلينا أن نكون قادرين على وأدها وحلها.

حديثنا الشائع هو حديث عن الفشل والنجاح، وعن العار واللوم والسمعة، وهذا لا يجعل حياتنا أفضل أو أكثر سعادة ولا يجعلنا أكثر فعالية فيما نعمل.

### إعادة تسمية الفشل

لا يمكننا أن نحيل كلمة «فاشل» إلى شخص جيد طالما أنها جزء من خطاب عقابي نعلم من خلاله أطفالنا ونقيم حياتنا. فنحن نخاف من الفشل. فالمسألة مسألة بقاء. علينا أن نستبدلها بمفهوم آخر، مفهوم يكون قادرًا على أن يؤمن لنا لغة عن النمو والتغلب على الصعاب وإعادة المحاولة.

الأشياء التي ندعوها فاشلة هي في الغالب ليست شيئًا من ذلك القبيل، وعلى لغتنا أن تتطور كي تعكس ذلك.

اللغة التي نستخدمها تؤثر في الطريقة التي نفكر بها، كما تعكس لغتنا أيضًا الطريقة التي نفكر فيها. أظهرت ليرا بوروديتسكي البروفيسورة في السيكولوجيا في جامعة ستانفورد في بحث لها، إلى أي حد تساهم اللغة التي نستخدمها في صياغة أفكارنا. كما أظهرت كيف يفكر الناس الذين يتكلمون لغات مختلفة حيال مواضيع محددة على نحو مختلف، تبعًا للجنس النحوي لكل موضوع.

“إن قواعد اللغة التي نتعلمها من أهلنا تؤثر على تجربتنا الحسية في العالم، بغض النظر عما إذا كنا نفهمها أم لا. يمكن للإسبانيين والألمان أن يشاهدوا ذات الأشياء وأن يرتدوا ذات الملابس ويأكلوا ذات الأطعمة، ويستخدموا ذات الآلات. ولكنهم يشعرون في أعماقهم بمشاعر مختلفة حيال العالم الذي يحيط بهم.”<sup>(9)</sup>

مثلًا إن اسم «الجرس» اسم مؤنث في اللغة الألمانية. في حين أنه مذكر في الإسبانية. فعندما طلبت بوروديتسكي من مواطنين ألمان أن يصفوا الجرس، أتوا بكلمات من قبيل - جميل، أنيق، دقيق - في حين أجاب الناطقون بالإسبانية بكلمات من قبيل - قوي، متين، شامخ -<sup>(10)</sup>

ومن هذا المنظور يمكن أن نقدر إلى أي حد تبدو فيه كلمة «فشل» في الإنكليزية مصحوبة بنتائج سلبية لا يمكن تجنبها. أضف لذلك حقيقة أن أدمغتنا تحتفظ بالمعلومات السلبية بسهولة أكبر بكثير من المعلومات الإيجابية، وأن ضرورة معالجة الفشل على المستوى اللغوي أصبحت واضحة.

إن انحيازنا السلبي تطوري. نحن موجودون هنا لأننا تعلمنا كيف نتجنب ونحتال ونهرب من الخطر، وبالتالي كنا معنيين دائماً بالمعلومات السلبية المتعلقة بالبقاء. لقد نشأت أدمغتنا على نحو نستشعر به باكرًا ما يمثل خطرًا أو تهديدًا لحياتنا كي نتمكن من تجنبه. ولم يطرأ أي تغيير على هذا المستوى.

في دراساته في جامعة ولاية أوهايو، بين بروفيسور علم النفس جون كاسيوبو، كيف استجابت أدمغة المشاركين بالدراسة للصور المفزعة والمروعة بنشاط كهربى في القشرة الدماغية، أكبر بكثير مما يحدث عندما عرض على المشاركين صورًا إيجابية أو محايدة.<sup>(11)</sup> وهذا يعني أننا بحاجة لنسبة أكبر بكثير من الصور الإيجابية لمواجهة أثر الصور السلبية. فمقابل كل كلمة أو فكرة مرتبطة بالفشل، نحن نحتاج لكثير من الكلام من أجل إعادة صياغة التجربة والتعبير عنها بشكل مختلف. وبالتالي لدينا عمل هائل للبدء بتغيير الطريقة التي نتحدث بها ونفكر بها بالفشل. ولكنه عمل يستحق القيام به، ونحن قادرون على ذلك.

### تغيير تصورنا عن الفشل

مرادفات الفشل هي دائماً مرادفات سلبية. يتخلل الفشل ومرادفاته إلى لغتنا والطريقة التي نصيغ بها عالمنا في كل ساعة من كل يوم. وعندما نسمي أنفسنا وأفعالنا والآخرين بهذه الكلمات، فهذا يشكل نوعاً من الإساءة، وتتمسك أدمغتنا بهذه التعبيرات السلبية كنوع من الجنون. ولكن إذا أردنا أن نعيش على نحو أكثر إيجابية علينا أن نغير الطريقة التي نستخدم بها لغتنا. وباعتبار أننا أحياء وحياتنا تتغير على مدار الوقت، لا يمكننا أن نسلم بهذه الصيغ النهائية كتقييمات طويلة الأمد. الحياة مسيرة، وبالتالي يمكن للكلمات السلبية التي ترافق نزوعنا البشري نحو التفسيرات السلبية، أن تقيدنا على نحو لا نستطيع معه أن نتبين طريقنا.

ها هي قصة تمثل كيف يمكن أن نبدأ، والى أين يمكن أن نتجه، إذا أردنا تغيير الطريقة التي نتكلم بها مع أنفسنا ومع الآخرين عن الفشل.

بدأت حياة بيتر كروفت<sup>(12)</sup> مكونة من سلسلة من المصائب. وهو ينظر إلى نفسه كفاشل. بلغ الخمسين من العمر، وهذا العام. كان لديه أهداف في حياته، ولكنه لم يحققها. كان يقول لنفسه دائماً: كانت الحركة الأخيرة كارثة؛ وتلك العلاقة كانت تبيدًا للوقت؛ هذه هي المرة الثالثة التي نتخذ فيها قرارًا سيئًا حول السكن؛ ينتهي الأمر بي دائماً للاستسلام لمسؤولي.

يترسخ هذا النمط من الفشل أكثر فأكثر. فأية فرصة أمام هذا الرجل لاتخاذ قرارات تتيح له الارتقاء بإحساسه كي يغدو أكثر ثقة وتفائلاً، إذا كان الآن يصنف نفسه كفاشل متسبب بمسارات عصبية تغذي وتعزز قناعاته بكونه فاشلاً؟ فهو يعطي تأثيراً هداماً لاستجاباته تجاه العالم، ويقدر ما يزيد ذلك في كلامه وأفكاره، بقدر ما يبدو صائباً بالنسبة له. لذا عليه أن يغير لغة الفشل في حياته. فكيف؟

في أغلب الأحيان نحن نجهل تمامًا الكيفية التي تؤثر فيها اللغة في تكويننا، وكيف يؤثر حديثنا مع أنفسنا، والطريقة التي نحمل بها قصصنا وتاريخنا، بمن نكون، وكيف تصيغ رؤيتنا للعالم. لنحاول إعادة كتابة قصة بيتر، ونختار المرادفات التي لا تكف عن كونها صحيحة ولكنها تعطي مساحة إيجابية لقصة بيتر دون أن تصوره كفاشل.

بيتر كروفيت إنسان كانت حياته مليئة بالتحديات. وهو يرى نفسه كمستكشف. عمره خمسون عامًا. كان لديه أهداف في حياته، وهو ما يزال متفائلًا أن مسيرة حياته ستقدم له بعض المفاجآت السارة. وهو لا ينفك أن يقول لنفسه، "الحركة الأخيرة كانت حيوية؛ وتلك العلاقة علمتني الكثير حول نفسي؛ هذه هي المرة الثالثة التي أواجه فيها الصعوبات بسبب البيت الذي اشتريته؛ لقد أدركت أخيرًا أنني قادر على مواجهة رئيسي".

اللغة هي ذاتها ولكن الموقف مختلف. إذ ليس هناك أي تلميح في اللغة بأن بيتر خاسر. فهو الشخص ذاته؛ نحن بدلنا فقط لغة الفشل بلغة النشاط الإنساني. فعندما يعتمد بيتر الرواية الثانية مع نفسه ومع الآخرين كل يوم، فمن الممكن أن تتغير تجربته في العالم.

نحتاج جميعًا القيام بذلك في حياتنا اليومية. علينا أن نغير الطريقة التي نفكر بها حيال أنفسنا وحيال الآخرين، وأن نركز على ما هو إيجابي بدلًا من السلبي، وأن ندرك أننا باستخدام لغة الفشل فإننا نعزز الميل لرؤية العالم بطريقة سلبية تجاهنا وتجاه الآخرين على نحو من الصعب التخلص منه. ومن خلال تغيير لغتنا، يمكننا أن نغير أفكارنا وأفعالنا أيضًا.

## أفكار مهمة

- كلمة الفشل هي الكلمة الثانية الأكثر استخدامًا في اللغة الإنكليزية على شبكة الإنترنت.
- في جميع أرجاء العالم هناك أطفال يقدمون على الانتحار، قبل أو أثناء أو بعد الامتحانات، بسبب خوفهم من أن يُنظر إليهم كفاشلين إن لم يحصلوا على العلامات التي يتوقعونها أو يتوقعها لهم أهلهم أو أساتذتهم.
- خطابنا الشائع هو لغة مفعمة بالفشل والنجاح، والعار واللوم والشهرة. وهذا لا يساعد على أن تكون حياتنا أفضل أو أكثر سعادة.
- تؤثر اللغة على الطريقة التي نفكر بها؛ يمكن لنا أن نغير تصوراتنا بتغيير الكلمات التي نستخدمها.
- الدماغ البشري مفطور على التعلق بالتصورات السلبية أكثر من تعلقه بالتصورات الإيجابية.

## أفكار مساعدة للتعامل مع لغة الفشل

سجل ثلاث حوادث فشل حديثة حصلت لك. أعد صياغة كل حالة فشل بحيث لا يكون هناك أي مضمون سلبي. أجب على هذا السؤال بالنسبة لكل تحدٍ: إن كان هناك وجه إيجابي مخبأ في هذا الوضع، فما هو؟

- تجنب استخدام لغة الفشل في الحديث لزوجك أو أطفالك أو الموظفين لديك أو المسؤولين عنك.
- فكر في إرسال أولادك إلى مدرسة لا تعطي درجات ولا تعتمد لغة الفشل في بطاقات الطلاب.

• فكر باستخدام لغة ليست مخزية لك أو لأي شخص آخر.

• فيما يلي مجموعة من المرادفات من قاموس كولينز الإنكليزي. استخدم أيًا منها في الآونة الأخيرة لوصف نفسك أو وصف شخص آخر، أو وصف أفعالك؟ كيف يمكنك تغيير اللغة التي تستخدمها عندما تتحدث عن فاشلين كهؤلاء؟ ابحث عن الكلمات ذات المضمون الإيجابي التي يمكنها أن تستبدل الكلمات التالية:

• هزيمة. كارثة.

• خيبة أمل.

• اضطراب.

• مأساة. سوء حظ.

• تدمير.

• حظ سيء.

• خاسر.

• خيبة.

• غير جدير.

• إخفاق.

• شطب.

• غير كفء.

• انهيار.

• عاجز.

## الفصل الثامن

### تغيير خطاب الفشل

يستكشف لويس ميل مادرونا في الكتاب الرائد «شفاء العقل من خلال قوة القصة: وعد السرد النفسي» (Healing the Mind through the Power of Story: The Promise of Narrative Psychiatry)، العلاقة القوية التي تربط بين القصص التي نرويها لأنفسنا وبين من نحن. ومن خلال عمله المكثف مع مرضى متنوعين جداً من الشيزوفرينيا حتى التوحد، فإنه يرى في سرد القصة طريقة لتحويل الحقيقة والتأسيس لصحة عقلية أفضل. فهو يقول إن كل شيء، كل شيء، ليس إلا قصة، ويقترح «إعادة بعث الطب النفسي كفن وعلم للقصة... إنه قصة بقضه وقضيضه. ليس ثمة إلا قصة».<sup>(1)</sup>

حتى العلم، كما يقول، هو مجرد قصة. فالحقائق التي كانت صحيحة البارحة لم تعد كذلك اليوم لأن هناك اكتشافات جديدة قد تحققت. وتخرنا الكتب المدرسية قصصاً مختلفة عن الطب والفيزياء عبر الزمن. وما هو مدهش بالنسبة لنا - وهو جزء من هذا الفصل - هو ما يقوله مادرونا حول مرض عقلي - كالشيزوفرينيا أو الفصام - مثلاً. حيث يكتب:

«نحن جميعاً نعاني من تجارب فصامية، ولكن أغلبنا يدعو هذه التجارب أحلاماً أو أحلام يقظة، أو أوهايم، وما إلى ذلك. والشخص الذي يصنف على أنه فصامي، هو الحالة المتطرفة من هذه الفئة، حيث يفقد القدرة على التمييز بين الحلم وحياة اليقظة العادية. وبإمكانه بالطبع أن يستعيد تلك القدرة».<sup>(2)</sup>

وهذا ما فعله مادرونا بالضبط مع مرضاه. فهو يعطيهم روايات معاكسة. فعندما يتم إخبار مريضة أنها مجنونة لأنها تسمع أصواتاً وتحتاج بناءً لذلك إلى علاج، يقول لها إننا جميعاً نسمع أصواتاً، وما تحتاجه هي فقط قصة جديدة حول الأصوات التي تسمعها كي تكون مقبولة على نحو أفضل في العالم. وقد استطاع عبر اختراع هذه الروايات المعاكسة من تقديم المساعدة الفعالة لكثير من الناس ممن يعانون من حالات حادة على الطرف الأقصى من السلسلة الإنسانية المتصلة.

وعلى هذا الأساس ما هي الروايات الفردية والمجتمعية عن الفشل التي نرويها والتي نسمعها من الآخرين؟ وهل من الممكن أن نتمكن، نحن الذين نعيش وفق رواية تجعل منا عاجزين ومتعثرين أو محبطين، أن نقوم بتأليف روايات جديدة لنا؟

نحن نعيش في الحقيقة، من خلال قصة. إن كان مصدر الروايات التي توجهنا، الكتاب المقدس، أو أفلام هوليوود، أو أخلاق مكان العمل المشترك، فهذا يمكن أن يساعدنا على تحديد الرواية التي أوجدناها عن أنفسنا، ومن ثم النظر فيما إذا كانت تحتاج لإعادة كتابة.

لنلقي نظرة على بعض الروايات التي يمكن أن نعيش معها والتي تتحدث عن الفشل والنجاح.

إن «الولد المبذر» هو مثل محير. أحياناً يعرف باسم «الولد الضائع» أو «الأب المحب»، وهي عبارة عن قصة شهيرة حول الفشل - حول فشل مميز في الحقيقة - يحدث على نحو معاكس لروايتنا الثقافية المسيطرة التي لا يستحق فيها الشبان الطاشون والمبذرون أي اعتبار.

وفيما يلي تفسير حديث لهذا المثل: قام أب غني بتقسيم تركته بين ولديه. كان الأول اقتصادياً وذكياً وقام باستثمار المال والأصول بحكمة. أما الولد الثاني فكان سئاً من حياته في البيت وكان يحب التجوال. وربما كان هناك أيضاً ألم خفيف بسبب الخروج المتعرج من بيت والده إضافة لضيق التفكير. لذا باع جميع ممتلكاته وقام بالترحال في أرجاء العالم. وكما هو متوقع، يبذر المال بإهماله وحياته الطائشة، فيصرف كل بنس لديه من دون التفكير في المستقبل. ثم يضرب الجفاف والمجاعة في البلد الذي يتواجد فيه، لينتهي به المطاف محطماً وجائعاً ومشرداً.

وكان من حظه أن يجد عملاً، أي عمل، ولكنه لم يكن العمل الذي حلم أن يقوم به. كان يطعم الخنازير. وكان من شدة جوعه يريد أن يأكل من طعام الخنازير والفضلات التي يقدمها للحيوانات، بالرغم من نتانتها. لم يطل به الوقت حتى وصل إلى الحقيقة قائلاً لنفسه: لدى الخدم عند والدي فائضاً من الطعام، وأنا أموت من الجوع هنا! ما الذي أفعله هنا؟ لقد انحدرت إلى الحضيض. ليتني لو كنت أحد الخدم عند والدي، الآن. سيكون لي على الأقل ما يكفي من الطعام واللباس.

لذا تخلى عن كبريائه وأقفل عائداً إلى بيت أبيه، وهو يفكر فيما سيقوله له. أنا آسف جداً يا بابا. كم كنت أحمقاً. لقد بددت كل ما ورثته منك. لقد أخفقت أيماً إخفاق. وأنا لا أتوقع أن تسامحني، ولكن هل يمكن أن تقبلني كأحد خدمك؟ وسأعمل سعيداً طيلة النهار مقابل الطعام والمأوى.

ولكن قبل أن يتمكن من الكلام، وقبل أن يصل إلى والده، جرى والده إليه وهو يعانقه ويرحب به في البيت. أمر خدمه قائلاً: «هيا، أعطوه ثياباً محترمة». «دعوه يستحم، فلديه رائحة كرائحة علف الخنازير. ثم أطعموه، فهذا الولد الفقير جائع».

وفي تلك الليلة أقام الوالد حفلة، فقدم أفضل ما لديه من الشراب والطعام، واحتفل بعودة ابنه الذي طال غيابه. «كنت أظن أنك ميت» قال له.

تبدو النهاية مربكة ومقلقة لأنها تخالف قناعات معظمنا حول من يستحق التكريم ومن يستحق أن يعامل كخاسر. ولكن انتبهوا، ألم يفشل هذا الشاب؟ فعلى ماذا يتم تكريمه؟ على تبديد المال، والوقت

والموهبة؟ أليس هو فاشل؟

وهذا هو بالضبط ما يفكر به أخوه، الشخص الأول الملتزم. يعود إلى البيت بعد يوم عمل شاق، ويسمع موسيقى وضحكًا مغمورًا، ويرى المشاوي ويشم الروائح الشهية، فتنتابه الغيرة.

يأخذ بيد أبيه جانبًا ويسأله: «ما هذا؟». يرد عليه أبوه قائلاً: «لقد عاد أخوك. تعال لنحتفل معاً».

يقول الشاب: «أنت تمزح أليس كذلك؟ لقد كنت خير حارس على أملاكك طيلة هذه السنين التي كان يبذر فيها أموالك. ولم أبدد أي شيء. وكنت ولدًا بارًا. ولم تقم أي مأذبة لي. فما الذي يحدث هنا؟».

أجاب الأب قائلاً: «يا بني، أنت دائماً معي، وكل ما أملك هو لك. ولكن أخاك كان مفقودًا، وقد وجدناه اليوم. ألسنت سعيدًا بعودته؟».

العبرة من القصة هي أن الولد الثاني - الفاشل، والمتسكع، والعاق - هو شخص قام برحلة ما، واختبر أمورًا لم توصل إلى ما توقع - أي كان فاشلاً - واستخلص الحكمة من ذلك. لقد تعلم أمرًا ما. أما الأول فقد ظل ساكنًا، لم يتعلم دروس الخسارة والألم، وبالتالي لم يتعلم تقدير قيمة الأشياء.

ما هو مغزى القصة؟ المغزى هو أن ما يسمى فشلاً يمكن أن يؤدي لتعلم العبر. فالرحلة وتجربة الفشل كانت ثمينة من ناحية أنها أدت إلى إدراك ما هو ثمين في الحياة، وقد أدرك الأب هذا التحول لدى ابنه.

فما نسميه فشلاً، كما ورد في الفصول السابقة، هو جزء من الحياة. هو جزء من روايتنا. إنه خطوة ضرورية وحيوية في مسيرة وعي الذات، بغض النظر عن الغاية. فعندما نخطئ ونواجه نتائج غير متوقعة ونعترف بإخفاقاتنا وعثراتنا، فهذه جميعاً مفاتيح للتقدم.

ففي مرحلة ما من حياتنا كان معظمنا أبناء مبذرين. وقد اتخذنا جميعاً منح خاطئة، وارتكبنا أخطاء، وكنا غير جديرين، ولم نحقق ما اعتقدنا أننا قادرون على تحقيقه، ولم نحقق مطامحنا، ولم نحقق أحلامنا. وتمتلكنا الرغبة لو نستطيع التراجع عن بعض القرارات الخطيرة التي اتخذناها، وحتى بعض القرارات الخرقاء التي أوصلتنا إلى لما يشابه العيش مع الخنازير. والتي لا نشعر أننا على ما يرام بسببها أيضاً. ويمكن أن نرغب الآن بالعودة إلى البيت وأن ننال الصفح وأن نلقى الترحيب من قبل أبينا ويتم غفران أخطائنا وإخفاقاتنا. ولكن هذا لا يحدث دائماً في الحياة الحقيقية. حيث يكون لزاماً على بعض الناس العيش مع تحديات كبيرة إلى حد ما. يمكن أن تتزوج شخصاً يحول حياتك إلى تعاسة. يمكن أن يكون لك طفل غير شرعي، وأن تعيش مع أهلك دون أن يكون لديك المال. يمكن أن تفقد عملك ولا تتمكن من إيجاد عمل آخر. هذه الحالات هي حالات حقيقية وهي تؤثر علينا جميعاً من وقت إلى آخر.

ولكن الأمر الحاسم هو: ما هو موقفنا من قصصنا؟ كيف ننظر لها عندما لا تتضمن النتائج السعيدة التي كنا ننتظرها؟

تروي جي كي رولينغ قصتها من الفقر إلى الثروة، وتصور فشلها المبكر كمنطلق لنجاحها الباهر.

يمكن أن ننظر إلى قصصنا ونضع روايات معاكسة تستعمل ذات الحقائق المذكورة في الفصل السابق. في الفصل السابع ألقينا نظرة على لغة الفشل وعلى الطريقة التي تؤثر بها الكلمات في صياغة واقعنا. وفي هذا

الفصل ننظر في خطاب الفشل ودوره في حياتنا. تخبرنا قصة "الولد المبذر" أن الفشل لا يعلمنا كيف ننجح، بل يعلمنا كيف نقيم ما نعتبره بديهيًا أو مسلمًا به.

يمكننا أن نتبنى هذه الرؤية ونطبقها في حياتنا إذا أردنا.

لقد تأثر أغلبنا، بدرجة ما على الأقل، بقصص هوليوود - فهي ليست صناعة تقدر قيمتها بعدة مليارات من الدولارات من أجل لا شيء. فنحن مدمنون على القصص، ومستعدون للدفع من أجلها. وعندما نقول «نهاية هوليوود» فهذا يعني أننا نعرف بالضبط ما تعني. نحن نلتمس السعادة الدائمة ونذهب لمشاهدة أفلام متكررة مرارًا وتكرارًا لأنها تزودنا ببنية روائية تجعلنا نشعر بالأمل في حياتنا. فأفلام هوليوود هي غالبًا عن النجاح، حيث يكون الفشل مجرد نكسة مؤقتة لا غير.

### الفشل الناجح

يصر الخطاب الهوليوودي الكلاسيكي عن الفشل، على الخاتمة الناجحة لقصة خيالية. "العودة إلى المستقبل"<sup>(3)</sup> هي بالضبط ما نريده: أن تتوفر الفرصة أمام مارتي ماكفلاي لإزالة الفشل من حياته وحياته أهله وتحويل ذلك الفشل إلى نجاح. لقد أخفقت عائلة ماكفلاي الحالية: العم جوي في السجن، ومارتي لم ينل الاعتراف به كموسيقي وهو كسول في المدرسة، وأهله خاسرين، ولييف المتوحش اليد العليا، ومارتي يخاف أن يكون فشله وراثيًا. فالفكرة التي لا تبرح ذهنه هي: «لم يحصل لأحد من أسرة ماكفلاي أن حقق شيئًا في تاريخ هيل فالي». فهو فاشل ومحكوم عليه بالفشل إلى الأبد. هكذا هي الحياة. ونحن ننساق معها لأن هذه هي الصورة الواقعية لغالبية سكان العالم.

ولكن «الأمر يجب أن تتغير». فمن خلال العودة إلى الماضي يمكن لمارتي أن يلغي فشل والديه وأن يهزم بييف ويصنع مستقبلًا ناجحًا.

ما الذي يعنينا بنهاية هذه القصة الخيالية التي نحبها كثيرًا؟ نحن نؤمن بنتائج هكذا قصص خيالية. نحن نريد أن نصدق الحلم الأمريكي، الذي يعبر عنه ماكفلاي: «يمكنك أن تحقق أي شيء إذا عازمت على ذلك»<sup>(4)</sup>.

لم تنشأ أسطورة القصة الخيالية في هوليوود. فقد تشربناها على مدى آلاف السنين من الخرافات والقصص وأساطير الأبطال. وقد قام جوزيف كامبل بتوثيقها وصياغتها ليخرج بصيغة خرافة البطل الفردي المعروفة في جميع الحضارات: في رواية «البطل ذو الألف وجه»<sup>(5)</sup> التي نشعر أنها موجودة في المورثات البشرية، ينطلق البطل في رحلة. حيث يكون هناك خطأ ما: أن يكون مجتمعه قد أخفق، أو هو من أخفق، الأمر الذي اقتضى منه التصويب. يحصل على المساعدة، ويخفق ثانية، ويتجاوز عتبات، يفوز في معركة بسيطة ثم يخسر بصورة كارثية، وفي النهاية، عندما يكاد يخسر كل شيء، ينجح في هزيمة العدو الشرير، أو يعود بالذهب، أو يصون نفسه أو مجتمعه<sup>(6)</sup>.

هذه قصة تحول من الفشل إلى النجاح ونحن نصدقها كما لو أنها حقيقة. ونحن نشاهدها على التلفاز والأفلام ونقرأها في الكتب ونحلم بها ونحاول أن نطبقها في حياتنا، ونهمل عندما نرى أمثلة عنها في الحياة الواقعية. وهي قصة تطويرية تدور حول تطورنا إلى كائنات بشرية أفضل وهزيمة ظلام الكارما السيئة.

لقد وظفت هوليوود هذه الصيغة مرارًا وتكرارًا لأنها ناجحة. فنحن نفتدي بالبطل ونحيل حياتنا إلى سعي للنجاح والتغلب على الفشل. ولهذا السبب نحن نحب زوساك ورولينغ، فهم بطلان ونحن نؤمن بقدرتنا على أن نكون مثلهم.

ولكن هذه رواية واحدة. فماذا عن القصص الأخرى، ماذا عن ملايين القصص التي لا يتمكن فيها الولد الضال من العودة إلى البيت؟

تقدم لنا قصيدة إليزابيث بيشوب المثيرة، رواية ساخرة ولكن حية عن الخسارة. ففي قصيدتها «فن واحد» تكتب بأنه «ليس صعبًا إتقان فن الخسارة». لسان حال بيشوب يقول إنه من السهولة تعلم المهارة في خسارة الأشياء، وأن الخسارة لا تعني الكارثة. مع ذلك، للمعنى العميق للقصيدة كلام آخر: هي ليست جازمة أن الخسارة ليست كارثة. فهي تفقد أشياء وتفقد بيوت وقارات وأخيرًا تفقد أعلى شخص لديها في العالم. وتلك الخسارة الأخيرة التي تقاوم الاعتراف بها تبدو لها بمثابة «الكارثة». ما تريد قوله هو أن الفشل والخسارة والأحداث غير المتوقعة، جميعها روايات عن حياتنا مثل حكاية بطل هوليوود تمامًا: نحن نخسر أشياء ونتحس على أشياء، ونفشل، ولكن لا خيار لنا في نهاية المطاف إلا بالسير مع التيار، وتقبل الحقائق التي لا يمكننا تغييرها.<sup>(7)</sup>

في العام 2008 هاجر جيرى ومارتا هوتشينسون<sup>(8)</sup> إلى أستراليا من العالم الثالث. لم يكن معها إلا القليل من المال ولم يتمكنوا من شراء بيت - كانت أسعار البيوت في أستراليا من بين الأعلى في العالم. ولكنها عثرا على فيلا رائعة للإيجار - مسكن تقليدي من طابقين، محاط بالشرفات والثريات وبركة سباحة كبيرة وتماثيل مرمر إيطالية موزعة حول هكتارين من الحدائق الخضراء. وكان الأجر منخفضًا على نحو مذهل. ومع تزايد دخلها وصلها إلى مرحلة يمكن أن يشتريا بها بيتًا، ولكنها لم يكونا قادرين على شراء البيت الذي كانا يستأجرانه، لأن ثمنه كان يزيد عن 700.000 دولار. مع ذلك قال مالكوا البيت أنهما يمكن أن يشتريا البيت مقابل 600.000 دولار. لم تتمكن عائلة هوتشينسون من تأمين المبلغ المطلوب، فعرضت مبلغ 550.000 دولار. ولكن المالكون رفضوا العرض، وطالب الوسيط العقاري بالبيت كي يتمكن من بيعه لمشتريين فعليين.

وعلى هذا الأساس غادرا ووجدوا منزلًا صغيرًا كي يشترياه، ولكن من دون بركة سباحة أو غرف كبيرة وسقوف عالية، في منطقة ليست على ما يرام. كانا حزينين لمغادرتهم ولكنها أدركا إمكانيتهما المحدودة. لم يكن بمقدورهما أن يتحملا عبء بيت بمثل تلك الفخامة. فهو لم يكن يناسبهم. ولكن عاشا مدة سنتين وشعرا أنهما كأصحاب الملايين.

بعد بضعة أشهر رأوا أن فيلا كوينسلاندر قد بيعت لأحد ما مقابل 550.000 دولار فاتصلا بالسمسار وقد أصابتهما الدهشة. «حسنًا، كان لدى المالك الكثير والكثير من العروض المنخفضة فقرر أن يبيعها مقابل هذا المبلغ، وبالتالي كان بإمكانكم شراء البيت لو بقيتما قريبين».

كان هذا ظلماً. كان بإمكانها شراء ذلك البيت. كان هذا إخفاقاً، إخفاقاً أثار لديهما الأسف ولم يكن بإمكانهما نسيان ذلك، لأن أسعار المنازل ارتفعت في الحال بدرجة كبيرة، بحيث أصبح سعر البيت من ذات الحجم 800.000 دولار.

الدرس الذي أرادوا تعلمه هو أنها لم يقدرًا جيداً ما كان بحوزتهما، وقد فوتوا فرصة لن تتكرر ثانية. لقد كانا كالأبناء المبذرين الذين تركوا ما كان بحوزتهم، ولكن لم يعد بإمكانهم العودة. وبخلاف المثل ذو النهاية السعيدة، لم يكن هناك السمسار المرحب الذي يقول: «عفا الله عما مضى، يمكننا استعادة بيتكما. أهلاً بكما في بيتكما». تلك كانت نهاية قصة بيتهم، وقد توجب عليها أن يعيشوا مع ذلك.

يواجه الكثير منا هكذا فرص ضائعة أو أخطاء في التقدير، ولا يمكننا العودة إلى الوراء وإصلاح ما فات. كما نتحسر لقرارات اتخذناها وأخرى لم نتخذها. في الحياة الواقعية ليس بمقدور الأبناء أن يعودوا دائماً إلى حضن الأب كي يجدوا نهاية سعيدة. فنحن نفقد أشياء. وهناك علاقات تفشل، ولا يمكننا أن نستعيد ثانية ما فاتنا أن نقدر قيمته.

الأمر المهم الذي كنا نحاول التعبير عنه هو كيفية تعاملنا مع هذه النتائج التي ندعوها فشلاً. هل هناك رواية نقيضة يمكن أن تعيد صياغة قصصنا على نحو لا نكون محكومين فيه بعالم مكون من ناجحين وفاشلين فقط؟

ومن الأمثلة على الابن الذي يعجز عن العودة إلى البيت، هناك مسلسل تلفزيوني هوليوودي من الستينيات يدعى «ضائعون في الفضاء»<sup>(9)</sup>. و«ضائعون في الفضاء» هذا هو قصة عائلة روبنسون التي انطلقت لتستكشف الحدود الجديدة للفضاء الخارجي. ولكن حالما تبدأ رحلتهم يقوم جاسوس روسي يدعى الدكتور سميث بتعطيل مهمتهم وتركهم ضائعين يجوبون الفضاء إلى ما لا نهاية، غير قادرين على العودة إلى الأرض، ولا على إكمال مهمتهم. وهذه القصة هي مثال على الفشل الذريع، المائل في كل حادث من مغامرة خطيرة إلى أخرى. وهذا المسلسل يحتفل بالفشل، أو على الأقل يعترف بقيمته في إيجاد نتائج مفاجئة ومتناقضة، ليست تقليدية، وليست رحلة بطل. كان عليهم أن يقيموا مخيماً على كواكب غير ملائمة للعيش، وأن يعاشوا فشلهم - بما في ذلك عيشهم في مناطق قريبة من الدكتور سميث الشرير، الذي يستمر في التعرض لخططهم وتخريبها - فبدلاً من هزيمة العدو وقتله واستعادة النظام والوصول إلى النهاية السعيدة لهوليوود، اعتمدوا خيار المصالحة مع العدو. وتتجدد هذه الصورة الأكثر واقعية لما يحصل فعلياً في حياة البشر. فالحياة بالنسبة لمعظمنا لا تمضي وفقاً لما هو مخطط: نحن نفشل، ويتوجب علينا أن نعيش مع نتائج أفعالنا، أو مع نتائج أفعال الناس الآخرين تجاهنا. والحياة ليست رحلة بطل بالنسبة للغالبية منا، «ضائعون في الفضاء» هو قصة عن كيفية العيش مع الفشل، ومع أشياء لا تتفق مع ما هو مخطط.

### العيش مع فشل

كان على عائلة هوتشينسون في قصة كوينسلاندر التي روينها أن يتعايشوا مع خسارة بيتهم. لقد تأسفوا عليه وشعروا بخسارته ولاموا أنفسهم بسببه، ولكن كان عليهم أن يتصالحوا مع الفشل. كيف؟ كان لديهم عدة خيارات:

1. يمكن أن يندموا ويتألموا ويقدمون روايتهم كفاشلين متعثرين.
  2. يمكن أن يعيشوا مع الفشل كجزء عادي من الحياة، كعامل مثير ومذكر بكل ما خسروه، ولكنه يحفزهم للمضي قدمًا.
  3. يمكنهم استعمال فشلهم كعبرة لاكتساب التبصر والحكمة.
  4. يمكن إعادة صياغة الرواية. هل هو فشل فعلاً؟ إذا كان الفشل جزءاً عادياً من الحياة البشرية، فلماذا السعي للإغائه؟ علينا القبول بأن هذه تحديات تضعها الحياة في طريقنا.
- وفي النهاية أعطوا وقتاً لكل رواية من هذه الروايات. وقد أدركوا أن هذا الفشل ليس فشلاً من الدرجة الأولى، بالرغم من أن ألم الخسارة تغلب في البداية على أي إحساس أو تفكير آخر. وفي المرحلة الأخيرة اتجهوا للقول إن الرواية الأخيرة هي الأكثر جدوى. وهم يقومون برواية هذه القصة لأنفسهم:
- “هذا النوع من الأشياء هو ما يمثل الحياة فعلياً. فهو يحدث، وليس لدينا القدرة على العودة إلى الوراء وإعادة كتابة الأحداث الفعلية. لن نقوم بلعن أنفسنا ولعن ما حدث. ونحن قادرين على جعل الحاضر مليئاً بالفرح والقيمة قدر الإمكان. فدعونا نفعل هذا»<sup>(10)</sup>.

يبدأ ميلان كونديرا روايته «كائن لا تحمل خفته»<sup>(11)</sup> بنقاش حول التقمص. إن فكرة العودة الأبديّة، كما يقول، هي فكرة جذابة، لأنها تمنحنا الفرصة لإزالة الأخطاء التي ارتكبتها في حياتنا الأولى، والحصول على فرصة ثانية أو ثالثة ورابعة لتصحيحها. ولكن عندما نعيش مرة واحدة، يجب ألا نقسو على أنفسنا كثيراً إذا أخطأنا، لأننا لم نسلك هذا الطريق سابقاً.

وهناك روايات أخرى عايشناها أيضاً: ففي حين قدم الإغريق القدماء - وجوزيف كامبل - أسطورة البطل كرواية للحياة، فقد قدموا لنا أيضاً أسطورة ذات وجهين مأساوي وساخر. في الأسطورة الكوميديّة، كل ما ينتهي بخير فهو خير، وعلى نحو مشابه لأسطورة البطل، فإن البطل يصلح عيوب مجتمعه ليعيش الجميع بعد ذلك بسعادة، إلا الأندال. انظر إلى أية مسرحية كوميديّة لشكسبير أو كوميديا رومانية معاصرة لترى هذه الرواية حيّة. في هذه القصة جميع العيوب هي ببساطة حالات سوء فهم، يمكن إصلاحها في النهاية. ومن الأمثلة على ذلك «المرأة اللطيفة»<sup>(12)</sup>. فالفيلم الذي أبرز جوليا روبرتس في 1990 كمومس تتحول إلى أميرة، ألهب قلوب الملايين بسبب حبكة الخيالية ونهايته السعيدة. فهو يمثل رواية على الانتقال من الوضع الرث إلى الغنى، ما يغذي ويعزز إيماننا «بالنهايات السعيدة». إنه فيلم جميل، ولكنه لا يعبر عن واقع حال جميع الناس.

فالرواية الإغريقية الأخرى، المأساة، تتعامل مع الفشل بطريقة أكثر واقعيةً.

## الفشل المأساوي

لقد درس الكثير منا وكره رواية "موت بائع"<sup>(13)</sup> لأرثر ميلر، في المدرسة أو الجامعة. لماذا؟ لأنها حول الفشل، والهزيمة والمأساة والانتحار. فالأمور لا تسير على نحو مناسب بالنسبة لويلي لومان، أو بييف، أو هايي، أو زوجة ويلي. والنهاية هنا ليست شبيهة بنهايات هوليوود، بل هي حول الفشل كمصائب نهائي.

ماذا لو أن الولد المبذر يرتكب كل أخطائه، ثم يرفض والده استقباله في البيت؟

وقد رسم الإغريق رواية معاكسة للكوميديا، ينتصر فيها الفشل ولا يتقهقر أبداً: أي المأساة. فأوديب يقتل أباه عن خطأ ويتزوج أمه، فيعم الخراب مملكته إلى أن يقتل نفسه. وجميع المسرحيات التراجيدية لشكسبير تتبع نفس المسار: يكون هناك خلل ما لدى البطل العظيم، فيسقط عن مجده نتيجة قرارات غبية، ويخسر كل شيء.

ما الذي يدفعنا لتأييد رواية كهذه؟

ربما لأننا يمكن أن نحصل على شيء ما منها. الإغريق يسمونه التنفيس: التطهير أو التنظيف، أي التخلص من الانفعالات السلبية داخلنا. فمن خلال معايشة رواية المأساة على المسرح، بطريقة غير مباشرة، يمكن أن نتخلص من الأسى الموجود في أعماقنا. يجب أن تتم التضحية بإنسان عظيم من أجل الصالح العام. ولكن لا أحد يريد أن يكون ذلك الشخص الفاشل. نحن نريد أن نستفيد من الفشل، لا أن نكون فاشلين.

قصة «العقد»<sup>(14)</sup> هي قصة قصيرة لغبي دو موباسان، عن امرأة فرنسية شابة، متكبرة وتافهة، تستعير عقداً من الألباس بمليون دولار كي تذهب إلى حفلة راقصة، ثم تفقده هناك، فتمضي بقية حياتها وهي تدفع تعويضاً عنه. وما عرفته في النهاية هو أن عقد الألباس كان مزيفاً ولا قيمة له، ما يعني أن معاناتها كانت بسبب أمر تافه، وأن حياتها بمجملها لم تكن فاشلة فقط، بل كانت بلا معنى.

ولكن هناك مغزى من القصة. لو لم تكن تافهة إلى هذا الحد، لكانت قد تخلت عن كبريائها وأبلغت الشخص الذي أعارها العقد بالحقيقة، وكانت وفرت على نفسها هذه المعاناة المأساوية. وبالتالي كان يمكن بسهولة أن تختلف قصتها، ولكنها كانت على يقين قاطع بأنه عقد أصلي وليس مزيفاً.

عندما نحقق بالروايات التي نأخذها على أنها حقيقية فعلياً، يمكن عندها أن نجد الرواية المعاكسة، التي يمكن أن تجنّبنا المأساة.

وأحد مؤلفي هذا الكتاب، بول، هو خير صديق للفشل. لقد أمضى عدة سنوات وهو يحاول النجاح في عدة مجالات، وفشلت جميع محاولاته. فأدرك أنه ناجح بشيء واحد هو - الفشل - فقرر أن يحيل هذه التجربة إلى عرض عمل ظريف، فأرسله إلى مجلة أدبية كقصة قصيرة.

**طلب لوظيفة فاشل**

**السيدة/ السيد المحترم...**

أود التقدم للموقع الذي أعلنتم عنه في ديلى صن. على الرغم من أن خبرتي هي في مجال إنكار الذات والثقة بالنفس - أو غيابها - وعملي أساسًا هو في الإحباط، فلدي خبرة كبيرة في الفشل، وهو ما ستحاول هذه الرسالة توضيحه.

فيما يلي، من فضلكم، خلاصة موجزة عن خبرتي في العمل.

لقد كنت فاشلاً مذ كنت في الرابعة من عمري. فمنذ البداية كنت طموحًا وكانت لي آمال رفيعة. لقد أردت الكثير من الحياة وفي النتيجة لم يتحقق شيء. أردت أن أكون شخصية مرموقة ولكنني بقيت مغمورًا.

أحلامي الوظيفية المبكرة كانت رفيعة: أن أكون كاتبًا، أو مخرجًا سينمائيًا، أو نجمًا سينمائيًا، أو موسيقياً. وقد كنت فاشلاً حقيقياً فيها جميعاً. إعجابي الأول كان بفيلم. وطيلة فترة الطفولة كنت أخوض، في ذهني، معارك الكاوبوي ضد الهنود؛ وقد رسمت حبات معقدة لقصص قتل غامضة حيث يختبئ فيها القاتل وراء شخصيات أخرى؛ وقد مثلت في ذهني، وأعدت تمثيل - مع الموسيقى المرافقة - مغامرات متهورة في إفريقيا المظلمة؛ كما مثلت مشاهد لناجين وهم يتسلقون كنباناً رملية لا نهاية لها للوصول إلى واحات متخيلة. كنت زاحراً بالأفكار. لقد قضيت أسابيعاً وأشهرًا وسنوات وأنا أجرب أفلاماً لمخلوقات دقيقة على سطح المريخ. وقد أرسلت اقتراحات إلى هوليوود، واقتراحات عظيمة لديزني، وناذج لمدرسة تيش للفنون في نيويورك. لقد كان لي طموحات وأحلام. وكان مقدراً لي أن أكون لوكاس آخر أو سيلبيرغ أو غودام. وقد اعتقدت أن هذا سيحدث، لأنني آمنت بذلك بدرجة كبيرة.

ولكنني لم أتمكن.

من عوامل الفشل القوية هو الاستعداد لإعادة المحاولة مرة بعد أخرى. والإيمان بالنجاح هو ما شجعني في هذا الصدد.

في الثانية عشرة تعلمت العزف على الغيتار، والأورغ، والطلب. وكنت عازماً أن أكون مثل هندريكس وسانتانا وبون جوفي. ووراء الأبواب المغلقة لغرفة النوم رسمت طريقي عبر المراهقة إلى النيرفانا، وعيني مغمضتان، وساعات الهيد فون على رأسي، أمام حشود متخيلة وهي تهتف، وفتيات يبللن ثيابهن وهن يصرخن. وقد نقلت الأمر إلى حلقة المدرسة، ولكن في أول وآخر معركة من منافسة الحلقات التي اشتركت فيها، كانت نهايتنا.

وأهم ما رغبت به هو أن أكون مؤلفاً شهيراً، أو كاتباً في الصفحة الأخيرة لجريدة ما، أو حائزاً على جائزة نوبل. لقد أمضيت أيامي الجامعية وأنا أضغ موجز حبات أو عناوين لكتب سأكتبها، وأنا أناقش مواضيع الأدب مع كتاب مستقبليين في ضباب أدخنة السجائر. وخلال العشرينيات من عمري كتبت روايات لم أتمكن من إكمال أي منها ولم يتم نشر أيها أيضاً. وقد سلمتها لما يزيد عن مائة ناشر. وقد كتبت لكل مسابقة متخيلة؛ وكنت أنتزع بعضاً من روعي لدى كل محاولة. وكل عملية رفض قوبلت بها كانت بمثابة ضربة لروح مسحوقة أصلاً.

في إحدى المرات كنت على وشك النجاح. فقد طلب مني ناشروا بلاك بيرد أن يروا روايتي المسماة «فشل» - حول كاتب فاشل - واقترحوا عليّ أن أعيد كتابتها. وقد أعدت كتابتها. ثم طلبوا: هل يمكنك تغيير العنوان والشخصية الرئيسية؟ أن تجعله أكثر إيجابية؟ بالتأكيد. وأن تكون النهاية أكثر تفاؤلاً؟ بالطبع.

وعدد أقل من الخاسرين؟ بالتأكيد، بالتأكيد. ومع ذلك عمدوا في النهاية لرفضها بحجة أنها تمثل فشلاً ذريعاً. - وأنا أحتفظ بالرسالة لتطلعوا عليها بدلاً من رسالة التزكية التي لم يمنحوها لي -

ليس لدي أية رسائل تزكية أخرى. ومع الأسف لم يراجعني أي شخص ممن حاولت معهم، ومن فعل ذلك منهم لم يتذكرني ولم يتذكر ما أنجزت.

تجربتي عميقة وواسعة ومؤلمة. وهؤلاء الذين يقولون «الفشل ليس خياراً وارداً» ثم يفشلون بعد ذلك، تكون الكهوف التي يحفرونها في أجسادهم كبيرة جداً. لا أسمح لأحد أن يقول لي أنني عشت حياة سطحية. فجراحي عميقة جداً.

وبالنسبة لحياتي الشخصية، فقد كانت علاقتي مضطربة دوماً. لقد وقعت في الحب مرات عديدة، ولكن لم يحدث أن كان الحب متبادلاً، إلا في حالات نادرة عندما كانت تحاول شريكتي أن تستغلني لأي سبب كان، أو تريد أن تستخدمني لتعزيز حضورها. تجربة الحب الأولى لي كانت مع فتاة تدعى دينيس - ثلاثة عشر عاماً - ولكن باعتباري كنت صامتاً ومرتبكاً في الرابعة عشرة من عمري، لاحظت كيف تراجع عواطفها لتنتهي فيما بعد بذهابها مع أعز أصدقائي للقاء خاص بينهما. الحالة الأقرب إلى النجاح بالنسبة لي كانت - كما تخمنت - عندما التقيت بفتاة عارضة كنت قد غازلتها على الشبكة. وقد دعيتني إلى لوس أنجلوس. سافرت على متن شركة طيران فيرجن وينغس، ووصلت مع زجاجات من الخمر الفاخر، وخططت متوترة عن الإغراء والرومانسية مدى الحياة، ولكنها أحست بالفشل من اللقاء الأول، فأخبرتني أنه قد ظهر صديق جديد لديها وبأنه يمكن لي أن أنتظر بقدر ما أريد بأقرب ما أتيح لي أن أكون منها.

أما أكاديمياً فقد اتخذت الطريق الأقل اتباعاً. لقد وصلت إلى مرحلة مساعد متخرج، وبدلاً من نيل شهادة الدكتوراه ارتديت معطف الفاشل أكاديمياً. وكنت دائماً موضع تهكم من قبل نقاد شديدين، وشعرت بالبطء والبلادة بحضورهم.

كما أن التقدم لفرص عمل جلب لي عددًا هائلاً من حالات الرفض تبرز الإخفاقات في الكتابة. أخيراً أتيح لي موقع مؤقت في شركة أعمال من الدرجة الثانية - كان تصنيفها 2421 من 2423 في مجلة فوربس - لأن الشخص الذي أرادوا استتجاره لم يكن موجوداً فكنت أنا البديل الجاهز. وقد كنت كالشبح، لم يلاحظني أحد ولم يعطوني مكتباً - لا أحد يتذكر اسمي، وما الذي كنت أفعله هناك - في ذلك الوقت توفرت الوظيفة الدائمة: وعندما تقدمت لها أعطيت لخريج شاب ذو أسنان أمامية كبيرة - دون أن يعني هذا موقفاً مني تجاه الأسنان الأمامية الكبيرة -

شفيعي هو القديس يهوذا لبّاس.

بالطبع يقاس الفشل بالنسبة للطموحات فقط: فقد أردت أن أكون نجماً رياضياً، أو مفكراً لامعاً، أو شخصية ذو كتابات إبداعية، أو نجماً سينمائياً، أو شخصاً يهمس باسمه الناس ويقولون «ها هو»، أو موسيقار ذو موهبة استثنائية حقق إنجازاً جديداً. وفيما يخص الطموح أن أكون منتج أفلام، كان من الممكن أن أحقق معجزات فنية، ولكن.. ولكن، عاودني الفشل ثانية، مع الأسف.

لقد تعرضت روحي للسحق، ولو كان الأمر ممكناً لرأيتم الندوب وعلامات التاريخ. وهي تتمص كما الإسفنج سم المجتمع، وهي الآن عاجزة فعلياً. ويكبلها شك حذر؛ حيث تلاشى تفاؤلي؛ وظل الفشل

يلاحقني في كل مكان: لدي إعاقة نفسية دائمة.

هل يمكن أن تهتموا بشخص كهذا؟ مازال لدي القدرة أن أتابع بفخر من دون أمل، وما زلت مثاليًا بما يكفي لتحمل المزيد من الألم.

لدي القدرة والدافع والاستعداد للتجريب مرة بعد أخرى. بعيدًا عن اليأس. أنا أرفض أن أكون في التاريخ كشخص نكرة لم يفعل شيئًا. أنا أترقب أن أسمع منكم إن كان طلبي قد أثار اهتمامكم - وهو ما أعرف أنه لن يحصل، ولكنني سأبقى متفائلًا... -

شكرًا لعنايتكم.

صديقكم المخلص. (15)

المفارقة: لقد سلم بول هذه القصة لكل مجلة اعتقد أنها ستهتم بها. وقد رُفضت من الجميع. وبالتالي كان واضحًا أن الفشل ليس موضوعًا جيدًا.

ولكن كتابة هذه القصة-الرسالة، وتحويل الفشل إلى موضوع، كان بالنسبة لبول بمثابة السلوى. ففعل الإبداع قد ساعده على تبني رؤية ساخرة لإخفاقاته المتصورة ولنظراته للفشل. وقد كف عن تناول نفسه بصرامة كبيرة.

بعد حالة الرفض الأخيرة لقصة فشله، وجد عملاً كمدرس للإنكليزية في إحدى الجامعات. وقد بدأت قصصه القصيرة بالنشر، وتمكن من توظيف قصة الفشل هذه كقصة نحو النجاح.

ربما تكون الحرية الوحيدة الحقيقية التي نمتلكها هي الحرية الموجودة في القصة التي نرويها، وفي الرواية التي نؤلفها حول الأحداث التي تقع في حياتنا. وإذا كانت القصص تصيغ حياتنا، فنحن نملك القدرة على تغيير الروايات وإعادة كتابة قصة الفشل والنجاح لدينا. فنحن نستطيع أن نغير الطريقة التي نعي بها ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا.

## أفكار مهمة

- لكل شيء قصة: حياتنا تتأثر عميقًا بالرواية التي نختارها.
- القصص تصوغنا: إن قصة «الولد المبذر» تبين أن تعلم الحنان والتعاطف والتقدير هو أمر مهم بحد ذاته، على الرغم من الفشل في الحياة.
- نحن نتوقع من حياتنا أن تسير وفقًا لمسيرة حياة البطل، وعندما لا يحدث ذلك نشعر بالانهيار.
- يفوتنا في الغالب أن ندرك تأثرنا بالرواية المجتمعية التي تكون فيها قصة الانتقال من الفشل إلى النجاح هي الوحيدة المقبولة.

• إن كتابة روايات معاكسة، من شأنه أن يحررنا كي نصبح صادقين ومؤهلين في كيفية التعامل مع الحاضر.

### أفكار مساعدة لإيجاد روايات معاكسة عن الفشل

- نحن أحرار أن ننظر إلى نكساتنا في الحياة بالطريقة التي نراها. ولكن فيما يلي بعض الاقتراحات:
- استراتيجية مسيرة البطل: انظر إلى النكسة كجزء من مسيرة الحياة، وكشيء يجب التغلب عليه.
- استراتيجية البطل السلبي: الاعتراف بالنمط: تحديد الخلل، وفهم السبب الذي أدى لذلك بالمقام الأول. ربما يكون هناك دروس يجب الاستفادة منها؛ وربما لا يكون.
- استراتيجية الخسارة: تقبل ما لا يمكن إزالته؛ ولا تلم نفسك على النتيجة. ليس لدينا آلة للزمن كي نقوم بإصلاح الماضي، وبالتالي عليك ألا تجلد نفسك بسببه.
- قم بأفضل ما يمكن في الوقت الحاضر، وأعد صياغة رواية الفشل.
- إن عبارة «أنا أفضل دائمًا» تعني أنك تضع برنامجاً لنفسك. وهل هو حقاً فشل؟ فيما يلي مكرس لتقديم قصة جديدة، بناء على الأفكار الواردة في الفصل السابع.

## الفصل التاسع

### فلسفات الفشل

سنستطلع في هذا الفصل، وجهات نظر فلسفية مختلفة، وكيفية معالجتها للفشل. ليس هناك من رؤية «صائبة»، وليس هناك رؤية يمكن أن «تصلح للجميع». يمكن لبعض هذه الرؤى أن تكون مناسبة لك؛ في حين يمكن أن يثير بعضها الآخر السخرية لديك. لا يهدف هذا الفصل لتزويدك بجواب عن كيفية تعاملك مع الفشل؛ إذ ليس هناك من فلسفة يمكن لها أن تفعل ذلك لأي كان. بدلاً من ذلك سنقدم لك وجهات نظر مختلفة، وأدوات مختلفة يمكنك اختبارها وتجريبها، بالإضافة لرؤية عامة بحيث تستطيع أن تعرف أين تتفق رؤيتك الخاصة مع وجهات النظر الأخرى.

لكل قصة نرويها عن الفشل، ولكل رؤية نملكها عنه جذورًا عميقة في الزمن. فاستجاباتنا وخطابنا عما يسمى فشلاً، تتحدد إلى حد كبير وفقاً لوجهات نظرنا وفلسفتنا في الحياة. وقد كان الفشل موضوع نقاش بين الفلاسفة منذ بدايات الفلسفة الباكرة لدى اليونان والصين والهند حوالي القرن الرابع قبل الميلاد.

#### وجهات نظر دينية

##### البوذية

نشأت البوذية في الهند ما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد. تؤكد البوذية أن الرغبة في النجاح وتفادي الفشل هي المشكلة، وعندما نتوقف عن الرغبة سنكون راضين عن أنفسنا. وكما ذكرنا في الفصل الرابع، فإن البوذية تقوم على الحقائق الأربع النبيلة، وأولى هذه الحقائق هي أن الحياة معاناة. فمن المستحيل أن تعيش دون أن تختبر الفشل والتعاسة والمرض الجسدي والأذى والتقدم في السن وأخيراً الموت بالإضافة للمعاناة النفسية. ومن المؤكد ألا تستجيب الحياة لما ننتظره منها. ولكن الحقيقة النبيلة الثانية تقول إن سبب

هذه المعاناة هي الرغبة: فتوقعنا بأن تكون الحياة ناجحة هو ما يسبب تعاستنا. فالحاجة للمزيد والرضى والإنجاز، ليست أمراً سيئاً - فهذا هو الدافع الفطري وغريزة البقاء - ولكنه هو ما يجعلنا تعساء ويجعلنا ننظر لأنفسنا كفاشلين.

أما الحقيقتين الثالثة والرابعة فهما تقدمان الحل: أن نتحرر من علاقتنا بالأشياء، والكف عن الرغبة، هو الطريق الوحيد لتخفيف معاناتنا.

الفشل هو افتقاد مختلق للنجاح، والنجاح هو مجرد وهم. وعلى ضوء هذه الرؤية يجب أن نعي أن رغبتنا في الفوز والنجاح، ربما تكون هي الشيء الذي يسبب لنا التعاسة.

**إن الرغبة بما لا نستطيع، أو بما لا يمكننا الحصول عليه، هو ما يسبب لنا القلق. وهذا المثل يبين لنا رؤية البوذيين حول الكيفية التي نسبب فيها الأذى لأنفسنا:**

تزوج هاري وجون ويست<sup>(1)</sup> منذ عشرين عاماً. وقد كان لديهما رؤية مثالية لحياتها معاً. فقد خططا للعمل بجد كي يصبحا ثريين، وأن يكون لهما بيت جميل، وأن يربيا ثلاثة أطفال، وأن يعيشا حياة سعيدة. بدأت حياتهما الزوجية على ما يرام، وقد ولد طفلهما الأول بصحة جيدة، واشترى البيت الذي حلما به. ولكن كما هو شأن الحياة، فقد خسر هاري عمله ذو الدخل الجيد، ما اضطرهما للتواضع والسكن في شقة صغيرة. لم يتمكن جون من الحصول على المزيد من الأبناء بسبب الحالة الطيبة، فبدأ في التذمر من حظها العاثر، والأسى على ما افتقدها. كان معظم كلامها يبدأ بعبارات مثل «لو فقط...»، أو «كان من الضروري». لقد عاشا بتعاسة بالغة، وهما يقارنان الحياة المثالية التي حلما بها، بما آلت إليه حياتهما الآن. وبدلاً من الرضى عن الحياة التي عاشها - مع طفل سليم وجميل: وشقة بالقرب من الشاطئ؛ وعملين كانا كافيين، وإن لم يكونا مميزين، لتأمين ما يكفي حياتهما من المال - فقد شعرا أن حياتهما فاشلة لأن واقعها المعاش لم يكن يوازي الصورة المثالية التي أوجدها. فالرغبة في حياة متخيلة أفسدت عليها متعة الحياة التي عاشها في الواقع.

نحن في الغالب نضلل أنفسنا ونستهين بحاضرنا عندما نعتبره فاشلاً، لأنه لا يتوافق مع رغباتنا أو مع الصورة المثالية في ذهننا. فهذه الطريقة تخص أولئك الذين يعجزون عن رؤية النجاحات التي يحققونها، بسبب النجاحات المتخيلة التي يرغبون بها. فالرغبة في هذه الحالة هي التي تولد الإحساس بالفشل.

ولم يدرك هاري وجون ما كان لديهما، ويتعلما احترام نجاحاتها، والتوقف عن اعتبارها فشلاً، إلا بعد انعطاف كارثي في حياتها. ثمة مرض خطير جعلها يعترفان كم كانت حياتها سعيدة، وكم كان وضعها محظوظاً، وكم عملاً بجد لتحقيق النجاح.

### اليونان القديمة: قصة الكهف الرمزية لأفلاطون

في قصة الكهف الرمزية يبين الفيلسوف اليوناني أفلاطون - القرن الرابع قبل الميلاد - كيف أن العالم المادي هو مجرد وهم، أو واقع أعد لنا من قبل نخبة من المتأمرين، يجعلنا مسحورين بالصور، ويخدعنا للظن أن هذا هو العالم الحقيقي. لقد كتبت هذه القصة قبل أكثر من ألفي عام من ظهور السينما والتلفاز - 380 -

360 ق. م - ومع ذلك فهي تحمل معنى بالغاً، إذ يبدو كما لو أن أفلاطون قد تنبأ بالأثر الذي تخلفه الصور التي يفبركها الإعلام على إدراكنا للواقع.

وفيما يلي ملخص للقصة:

هناك في أقاصي الأرض كان يوجد كهف. وداخل الكهف كان هناك أناس يعيشون، ولكنهم مقيدون إلى بعضهم البعض وموثقين بصخرة. كانوا يقفون في آخر الكهف في صف واحد ويراقبون مشهد الظلال على جدار الكهف. وكان هناك من يتلاعب بالصور، مستخدماً النار لإسقاط الظلال. وبالتالي كانوا يتحكمون بما يشاهده الناس الأسرى. وبالنسبة لهؤلاء الناس الذين لم يطلعوا على أي شيء آخر، فإن هذه الظلال كانت هي الحقيقة. فهم يؤمنون بهذه الظلال لأنهم لا يرون غيرها. وفي أحد الأيام يتحرر أحد الأشخاص من قيوده. يزحف نحو الخارج ويتجه إلى الأعلى، مدفوعاً بقوة لا قدرة له على معرفتها. وبعد بعض الوقت، يخرج من الكهف تماماً ويخطو إلى العالم. عندها يشعر بضوء الشمس التام والبراق في عينيه. في البداية يصيبه العمى. ولكن بعد أن تتكيف عيناه، يبدأ برؤية عالم الضوء والألوان والجمال البهي. وقد راعه أن يدرك أن ما اعتقده حقيقياً طيلة حياته لم يكن إلا ظلاً لما هو حقيقي. وحتى تلك اللحظة لم يكن قد رأى إلا نسخاً لمواضيع محددة، ولكن بعد أن تحرر من الكهف إلى عالم الضوء وبعد أن رأى العالم، بدأ يلاحظ أن هذه الأشجار وهذه السماء وهؤلاء البشر والحيوانات، هي الأشياء الحقيقية. ثم يعود إلى الكهف وهو مفعم بالحماس والبهجة. كان يتوق لإخبار الجميع أن عالمهم ليس إلا وهم، وأن العالم الحقيقي يقع هناك، وسيكتشفون ذلك إذا ما ساروا معه. في البداية أخذوا يضحكون عليه فقط. وعندما أصر على رأيه كثيراً قاموا بإعدامه بحجة أنه يهدد النظام القائم.

إنها قصة غريبة ولكن يمكن لنا جميعاً أن نستوعبها. فالواقع الافتراضي ووسائل الإعلام الجبارة، في هذه الأيام - أي كهوفنا المعاصرة - هي التي تشكل الواقع الحقيقي بالنسبة لكثير من الناس. حيث نركض وراء تلك الظلال كما لو أنها الحقيقة، ونفتقد الصلة بالطبيعة والبشر الآخرين الحقيقيين، والهواء الطلق وضوء الشمس.

تعتبر نظرية أفلاطون أساساً لرؤية هي الأقدم، وهي في أساس معظم منظومات الإيمان الدينية: العالم ليس حقيقياً. إنه مشوه. إنه نسخة سيئة عما هو حقيقي، عما يقع في مكان آخر، خارج هذا العالم، هناك في العالم الروحي.

وبالتالي ما علاقة هذا بالفشل؟ من منظور أفلاطون، إن توقنا للنجاح والكمال، محكوم عليه بالفشل، لأننا نعيش في كهف مرتين لأشياء وصور من صنعنا نحن. علينا أن نتوقف عن ملاحقة الظلال والاعتقاد بأنها حقيقية، لأنها في الحقيقة ليست حقيقية.

يعتقد الأفلاطونيون بيننا، الذين يشملون المؤمنين في جميع الأديان الكبرى، أن العالم المادي هو عالم ناقص بطبيعته، وبالتالي لن يصل الناس إلى الكمال أيًا يكن الهدف الذي يسعون لتحقيقه في هذه الحياة. يمكننا أن نكافح ونتقدم، ولكن العزاء في النهاية هو أن الفشل أمر محتوم. سوف نفشل، ولن نحقق ما نريد، وسوف نموت. وأملنا المتبقي هو بوجود عالم آخر غير هذا العالم الناقص.

وفي مقابلة نادرة للروائي كورماك مكارثي - مؤلف كتب "الطريق"، و"جميع البيوت الجميلة"، و"لا بلد للقدماء" - مع أوبرا وينفري، يعمد لوصف نفسه كأفلاطوني فيما يتعلق بكتابة الروايات:

“يكون لديك دائماً تلك الصورة المكتملة التي لا يمكنك تحقيقها أبداً، عن شيء ما، ولكنك لا تتوقف عن المحاولة لتحقيقها... هذا هو المعلم والدليل بالنسبة لك. لا يمكنك أن تتبين الأشياء. عليك أن تثق بها فقط، كما تعلم، من حيث تتجلى لك.”<sup>(2)</sup>

عندما ننظر إلى العالم المادي بكل ما فيه من صراعات وفشل على أنه مجرد ظلال على حائط الكهف، فهذا يمكننا من تمييز أنفسنا عنه ورؤيته كظهور عابر أقل أهمية من العالم الحقيقي، وهو العالم الروحي. إن كهف أفلاطون يمنحنا تصوراً للوجود.

## الرؤية المادية للعالم

### الفلسفات الرومانية وفن الفشل العقلاني

على النقيض من الفلسفات المثالية والأفلاطونية للحياة ووجهات النظر الدينية الماثلة، تقدم الفلسفات الرواقية والأبيقورية الهيلينية موقفاً مغايراً من الفشل. لقد امتدت هاتان الفلسفتان إلى التفكير الحديث: لقد بحث الرومان عن طرق عملية من أجل الحياة، وقد اعتبرت وجهات النظر الفلسفية هذه فناً في الحياة.

### الأبيقورية

كان أبيقور - حوالي 341-270 قبل الميلاد - فيلسوفاً مادياً، لم يوافق على عالم المثل لأفلاطون، ولم يؤمن بالآلهة، والإرادة الإلهية، أو الكون المزدوج حيث يتمتع العالم المثالي بأفضلية على العالم المادي. إن الحصول على المتعة بالنسبة لأبيقور هو أسمى فضيلة في هذه الحياة. وأن الحصول على المتعة يتحقق من خلال التحرر من الخوف - ما يسميه هو الطمأنينة - والتحرر من الألم الجسدي، أو ما يسميه غياب الألم. وترى الأبيقورية أن من حقنا السعي من أجل حياة خالية من الخوف والألم. وهذا كافٍ لمنحنا السعادة.

يدعو أبيقور لرباطة الجأش، أو لتقدير عقلاني لما نملك، من أجل الوصول إلى حالة نفسية بعيدة عن القلق. وعلى نحو مشابه للبوذيين، رأى أن تعاستنا تعود لرغبتنا أو سعينا لما لا نملك ولا نستطيع امتلاكه. وبالتالي إذا كان بإمكاننا أن نكون راضين بما هي عليه الأمور، أي بالحالة الطبيعية لها، بدلاً من أن نرى أنفسنا كفاشلين على هذا النحو أو ذاك، يمكن عندها أن ننعيم «بالبهجة الصافية للكينونة» ونستمتع بوجودنا.<sup>(3)</sup> وبالتالي لا تقوم النظرة الأبيقورية للحياة على إهمال الواقع الحقيقي أو النقص والفشل، باعتبارها جزءاً من مملكة الظلال، أو الإيمان بالعالم المثالي الكامل خارج هذا العالم المادي، بل للعيش بتواضع وبساطة، وتجنب الخوف والألم أو التقليل منهما إلى أبعد حد. ويكون الفشل عندها جلياً فقط عندما نعجز عن تذليل مخاوفنا وآلامنا.

## الرواقية

توصف الرواقية في الفكر الحديث، وهي فلسفة أخرى للرومان عن الحياة، بأنها فلسفة «ابتسم وتحمل» أي التسليم بمصاعب الحياة. عندما نسمي أحد ما أنه رواقى، فهذا يعني الإعجاب - أو ربما عدم الإعجاب - بقدرته على تحمل المشاق والمحن والفشل. وعلى النقيض من الأبيقوريين، يعتقد الرواقيون أن الكثير من الأشياء لا تخضع لسيطرتنا، وأن الفشل هو القاعدة: فاعتلال الصحة والموت وخسارة الأحبة، والممتلكات، أو الثروة، هي جميعاً حقائق يتوجب علينا مواجهتها. فنحن جميعاً خاضعون لهذا النوع من الفشل. وكل ما في وسعنا هو التسليم بحتمية مصائب القدر. وفي الفلسفة الرواقية لا يوجد إله، ولكن هناك حياة، وهي غير عادلة. الخيار الأفضل بالنسبة لنا، هو أن نعترف أن الحياة في الغالب لا تخضع لسيطرتنا. ونحن نحتاج إلى الشجاعة كي نتحمل ونقبل ونفهم ماهية الحياة.

لقد نصحننا سينيكا، أحد الرواقيين الرومان، أن نتعلم فن الفشل بعقلانية، عبر التسليم بعجزنا عن النجاح، باعتبار ذلك أمرًا طبيعيًا. «لا يحصل للإنسان العاقل ما يناقض توقعاته».<sup>(4)</sup>

لقد قدم الرواقيون «التصور السلبي»، أي توقع ما قد يطرأ من تطورات سلبية، أي السيناريو الأسوأ، الذي كان يقع خارج سيطرتهم. أحيانًا تعتبر هذه استراتيجية جيدة إذا كنا نرغب في تجنب الخيبة. ولكن التسليم لا يعني أن تكون سلبيًا. التسليم يعني القبول بأن هذا العالم يقوم على الفشل، وأن هذه هي الحقيقة التي يعمل وفقها العالم. فهو ليس عالمًا مثاليًا. نحن في نهاية المطاف نفشل من خلال الموت؛ حيث نتراجع ثم نمرض، وأيًا تكن قناعتنا علينا أن نعترف أن طلب الكمال سينتهي دائمًا بالفشل.

## التصورات التوراتية للعالم والفشل

### فلسفات العهد القديم

تؤخذ قصة أيوب غالبًا كمثال عن شخص لا يفقد الإيمان أبدًا، على الرغم من المحن القاهرة. ولهذا القصة بعدًا فلسفيًا بالنسبة للمؤمنين اليهود والمسيحيين، وهو وجود معنى وراء المعاناة - حتى لو لم نفهمه - كان أيوب رجلًا صالحًا، وأصبح موضع رهان بين الله والشيطان. وتروي التوراة والعهد القديم قصة هذا الرجل الغني، المكرم من الله، والذي تم امتحانه حتى النهاية. لقد أذن الله بابتلاء أيوب بكل شيء: حيث فقد بيته وثروته وزوجته وصحته وجاهه. وبكلمات أخرى أصبحت حياته فشلًا أسطوريًا. ولكنه لم يشتم الله أبدًا، ورضي بدلًا من ذلك بقدره. كان هذا اختبارًا: هل سيتخلى أيوب عن إيمانه ويستسلم لليأس ويتذمر من الله ويلعن مصيره ثم يرغب في الموت؟

لقد أوشك. ولكن أيوب حافظ على قناعته بهذا العالم، دون أن تتزعزع. إذا أراد له الله أن يعاني ويخسر كل شيء، فلمن عليه أن يشككي؟ وعلى هذا الأساس اجتاز امتحانه، وربح الله الرهان ضد الشيطان. وفي النهاية، أعاد له الله كل شيء وزيادة على ذلك، ولكن المغزى من القصة هو أن إخفاقاته لم تدفعه للاستسلام.

وما الدرس من ذلك؟ القبول بمشيئة الله. هذا هو الدرس. عليك ألا تتمنى حياة أفضل أو تندم لما تخسر. وعلى هذا الأساس، لدى الله العلة كي يبتليك بهذه الأشياء ولسوف يكافئك في نهاية المطاف.

وبكلمات أخرى، عليك أن تفشل بنبل! إذا انهارت الأرض تحت قدميك، لا تقاوم ذلك أو تحاول التمسك بالعشب؛ بل دع نفسك تسقط في الهاوية. هناك الكثير من القصص عن أطفال ينجون من السقوط من الشرفات، ليس لمرونة أجسادهم أو لكونهم مهياًين جسدياً، بل لأنهم كانوا في حالة استرخاء وغير واعين للخطر، على العكس من الكبار الذين يصيهم التوتر والخشية ويتشنجون بانتظار النتيجة الأسوأ.<sup>(5)</sup>

(6)

جميعنا نعرف أناساً يصبحون ذوي مزاج حاد عندما تحدث لهم بعض الأمور، فيلومون أنفسهم والآخريين والله أو القدر، رافضين لما ابتلتهم به الحياة. كما نعرف أناساً يثيرون الإعجاب بسبب طريقة الاستيعاب التي يواجهون بها الشدائد بدلاً من التذمر منها. ومثال على ذلك كان والد بول، قد شخص له سرطان في مراحلها النهائية قبل عدة سنوات. وبدلاً من اليأس والاستياء ممن هم أصحابه، أو شتم الإله، قرر أن يقدم أفضل ما لديه في السنوات المتبقية من حياته، فبدأ بتحسين علاقته بالناس، فعمد لكتابة الرسائل طالباً الاعتذار ممن أساء لهم. لم يكن هناك من خلاص بالنسبة له، ولكنه مات بسلام وهو على توافق مع أصدقائه وأقاربه.

كانت النهاية حسنة بالنسبة لأيوب، ولكن حتى لو لم تكن كذلك، فإن موقفه سيظل موضع تقدير حتى بالنسبة لمن هم خارج الإطار الديني أو الروحي. لم يكن أيوب يعرف أنه سيلقي جزاء صبره. كان يقول «هذه هي الحياة». وما جرى لأيوب يحدث للكثير منا. فنحن نخسر وظائفنا، وبيوتنا وعلاقاتنا وصحتنا. ونحن لا نعرف إن كنا سنرى ضوءاً في نهاية النفق أم لا. وبدلاً من الثورة ضد الله أو القدر أو أنفسنا، ولوم الناس جميعاً - لماذا حصل هذا لي؟ - أو لوم أنفسنا - لقد كنت غيباً جداً؛ أنا لا أستطيع أن أصدق أنني قمت بهذا - فإن القصة تعطينا فرصة لمتابعة المسير، وتقبل أي شيء، وأن نكون ممتنين لما نملك، وأن نقدر قيمة ما كان لدينا، على أمل أن نستعيد ما فقدناه إذا وقفنا موقفاً شبيهاً بموقف أيوب.

## فلسفات العهد الجديد

نخبرنا الكتاب المقدس والنصوص الدينية الأخرى، أن الله خلق الكون كي يسير على نحو محدد، ولكن جاء الشيطان وخرب كل شيء، وبالتالي إن كل ما نفعه سينتهي إلى المزيد والمزيد من الفشل. لدينا فكرة عن الكيفية التي يجب أن تسير عليها الأمور، ولكنها ليست كذلك في الواقع. لماذا مثلاً، يجب أن نتقدم في السن، ونموت؟ ولماذا يجب علينا أن نتألم؟ ولماذا تحدث الكوارث؟ - إخفاقات الدرجة الأولى - الكتاب المقدس يشرح لماذا تتعثر الأمور، ولماذا هناك موت، وألم ومعاناة، وما إلى ذلك. لقد سقط العالم المادي في الخطيئة، وبالتالي حكم عليه بالفشل. وعلينا ببساطة أن نقر بحقيقة أن العالم في حالة فشل. وهو ما سيساعدنا على فهم سبب تعثر الأشياء. ولكن إذا كنا مؤمنين فإن النصوص الدينية تخبرنا أن هناك في الواقع نهاية سعيدة: لدى الله النية في إنهاء الفشل وتحرير خلقه في نهاية المطاف، وبالتالي إذا اتبعنا الطريق القويم وشرائعه يمكننا

الفوز بتلك النهاية السعيدة أيضًا. ووفقًا لهذا النموذج، هناك قانون أخلاقي أساسي في الكون، يمكن أن يساعدنا في فهم المغزى من الأشياء. وبالطبع لن تحصل النهاية السعيدة في هذا العالم، بل في العالم الآخر.

هناك مقطع من العهد الجديد، يتم الاستشهاد به غالبًا، يضع الأساس الفلسفي لكيفية تجاوزنا للفشل: **وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُونَ حَسَبَ قَصْدِهِ**. وبكلمات أخرى، إن كل ما يحدث لك هو جزء من نظام كبير، وخطة لمساعدتك للفوز، حتى لو كان ذلك في العالم الآخر. هناك معنى للفشل، إنه جزء من الطريق الوعر للنجاح في المسير الطويل. عندما نؤمن ونثق بالله ونتبع تعاليمه، يمكننا أن نحول جميع النكبات والإخفاقات إلى تجارب للتعليم تجعل منا أناسًا أفضل. هناك مخطط، وليس هناك من شيء يحدث في حياتنا أو في العالم على نحو اعتباطي أو بدون معنى.

وهذه فلسفة مريحة، لأنها تقدم تفسيرًا لأي خلل يطرأ في حياتنا. مثلًا، إذا كنا نؤمن بهذه الرؤية الفلسفية وتعطلت سيارتنا ونحن في الطريق لرؤية صديق ما، فعلينا أن نفهم أن الله أراد ذلك كي نرى غريبًا يمد لنا يد المساعدة، أو أراد تعليمنا الصبر والشجاعة.

فعندما نخسر وظائفنا، وعندما نفشل أو نرتكب أخطاء ونتخذ خيارات خاطئة، علينا أن نرى في كل ذلك أنها تجارب أخلاقية واختبارات وتجارب للتعليم؛ وهذا يدعم الكثير من وجهات النظر الإيجابية التي ترى في الفشل كعلم. ما الذي يمكن أن نتعلمه من هذا كي نصبح أناسًا أفضل؟ في حالة إخفاقات الدرجة الأولى، على الرغم من عجزنا عن فهمها، يمكن أن نقبل أنها - على نحو ما - جزء من المخطط الإلهي، وبالتالي علينا ألا نياس أو نفقد الأيمان.

ولكن ماذا لو لم يكن لدينا هذه المعتقدات؟ تظل هذه الرؤية الفلسفية للعالم إطارًا مفيدًا حتى لو لم تكن مقتنعا بوجهة النظر الدينية الخاصة هذه، لأنها تصنف إخفاقات الدرجة الثانية والثالثة باعتبارها أمرًا إيجابيًا. وهذه هي الفلسفة التي يمكن أن تكون وراء القصص التي تسعى للبحث عن وجه إيجابي للإخفاقات التي نتسبب بها نحن. وحتى إخفاقات الدرجة الأولى يمكن أن تكون جزءًا من صورة أكبر لا نفهمها؛ فهي تدفعنا كي نظل إيجابيين في حياتنا، وأن نثق بقدرتنا على إيجاد شيء ما إيجابي في هذا، واستخدام هذه النكسة كتمرين لبناء الذات، وزيادة المرونة الروحية بمواجهة الشدائد.

## فلسفات الوجودية والعبثية الحديثة

نشأت الفلسفة الوجودية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وهي ترى أنه يتوجب علينا أن نعطي معنى لحياتنا في هذا العالم غير العقلاني والفارغ من المعنى. وهي تحثنا على العيش بإيجابية ودرجة أعلى من المصادقية في عالم الموت والفشل والعدمية الموحشة.

إن نقطة البدء بالنسبة للوجودي من أجل حياة أكثر مصداقية، هي إدراك أن الحياة خالية من المعنى تمامًا ومنافية للعقل وعبثية. وليس هناك من إله أو تصميم ذكي لهذا العالم. وليس هناك من جهة منظمة كي تساعدنا في إعطاء معنى للحياة. فكل شيء يتجه نحو التلاشي والانحلال. ليس هناك من مخطط. علينا أن نتخلى عن «إيماننا الرديء» - وجهات النظر المثالية وغير الصادقة وغير المختبرة - وأن نعيش الحياة بحب وإخلاص. يجب أن نكون واقعيين.

تصادفنا هذه الرؤية في كل مكان اليوم. كوستيكا براداتان، في مقالته «في مديح الفشل» التي نشرها في نيويورك تايمز، يرى أن الفشل خطوة ضرورية لتحقيق الذات في عالم لا عقلائي:

“الفشل هو اقتحام الخواء المفاجئ لقلب الوجود. واختبار الفشل هو الشروع برؤية التصدعات في نسيج الوجود، وهذه بالضبط هي اللحظة التي يتحول فيها الفشل، عندما يتم استيعابه تمامًا، إلى نعمة مقنعة. لأن هذا الخطر الكامن والدائم هو ما سيجعلنا واعين بما هو رائع واستثنائي في وجودنا: وهي معجزة وجودنا أصلًا في الوقت الذي لا يوجد فيه سبب لذلك.

إن معرفة ذلك تمنحنا شيء من الشرف.

وفي هذا الدور يكون للفشل وظيفة علاجية مميزة أيضًا. إن معظمنا - الأكثر وعيًا أو تنويرًا - يعاني من سوء تكيف مزمن مع الوجود؛ نحن نتخيل أنفسنا أكثر أهمية مما نحن، ونتصور كما لو أن العالم موجود من أجلنا فقط؛ وفي أوقاتنا الأسوأ نعتبر أنفسنا أطفالًا في مركز الاهتمام، ونتوقع من بقية العالم أن يكونوا دائمًا في خدمتنا. نحن نقوم بالإجهاز على الأنواع الأخرى بضرارة، ونعري الكوكب من الحياة، ونملأه بالنفايات. يمكن للفشل أن يكون دواءً لهذه الغطرسة والكبرياء، باعتبار أنه يجلب لنا التواضع غالبًا”<sup>(7)</sup>

سيوافق الفيلسوف الوجودي جان بول سارتر على ذلك. فهو يقول: “جميع الأفعال الإنسانية متكافئة وهي محكومة، من حيث المبدأ، بالفشل”<sup>(8)</sup> كما يقول: «يتجلى العبث في فشل العالم عن تحقيق التوقعات البشرية منه»<sup>(9)</sup>. ولكن عندما نأخذ بوجهة النظر هذه، فنحن نختار أن نعيش على نحو واعي، ونتخلى عن إيماننا السيء، ونوجد معنى لحياتنا.

يستخدم ألبير كامو، النصير الكبير لفلسفة العبث، أسطورة سيزيف الإغريقية القديمة لشرح فلسفته. ففي الأسطورة يتوجب على سيزيف - عقابًا له على عصيانه للآلهة - أن يدفع صخرة كبيرة على سفح جبل. وما أن يصل القمة حتى تندرج الصخرة مرة جديدة إلى القاع، ليعود هو لرفعها مرة ثانية.

وتستمر هذه العملية إلى الأبد.

يتساءل كامو عما يدور في ذهن الإنسان البائس وهو يقوم بهذه المهمة التي لا معنى لها إلى الأبد. هل يفكر في عبثية الحياة، وفي حقيقة أن كل ما يقوم به لا هدف له؟ كيف يكافح؟ كيف يستيقظ كل يوم من أجل حياة عبثية؟ فهذه ليست رحلة يصارع فيها الشيطان وينجح، أو اختبارًا يتم امتحانه به من قبل الله.

فهذا الإنسان لا يحقق شيء. وحياته كلها فشل. وبالتالي كيف يجد معنى من هذا العبث؟ وقياسًا على ذلك، يرى كامو أن حياتنا تسير على هذا النحو. نحن نكافح من أجل تحقيق هدف ما، ولكن لا قيمة لهذه الأهداف طالما أننا سنموت في نهاية المطاف. نحن فاشلون. وبالتالي ما الذي نفعله، هل علينا أن نستسلم؟

يرى كامو، أن المقاربة الوجودية هي الطريقة المناسبة لإيجاد معنى في هذه الحالة العدمية. لقد كان على سيزيف أن يجد معنى لعمل عبثي. فهو يبذل أقصى ما يستطيع، كما لو أن للحياة معنى.

وبكلمات أخرى، إنه يفشل بامتياز.

ووفق وجهة النظر هذه، فإن كل ما يمكن أن نفعله بالنسبة لإخفاقات الدرجة الأولى هو استيعاب الفشل المأساوي والتحمل. نحن نبحث عن المعنى في واقع محكوم بالعبث. فإذا فشلنا، إذا سقطت منا الصخرة نحو الأسفل، سنحاول ألا تسحق أقدامنا، وأن لا نصرخ أو نستسلم؛ بل سنعود بإصرار إلى قاع الوادي لندرجها ثانية نحو الأعلى. ونحن نعلم أننا سنفشل، ولكننا نعلم أن هذه هي الحياة، وعلينا أن نتقبل الفشل كقاعدة. نحن نقر به. ونجعله جزءاً من حياتنا، في كل يوم وعلى مدار الساعة.

“قدره هو جزء منه. وصخرته هي وجوده. يقول الإنسان العدمي نعم، ثم تكف جهوده بعدها عن التوقف. ربما يكون هناك مصير شخصي، ولكن ليس هناك قدر أعلى من قدر آخر، فالكفاح بذاته من أجل الأرقى يكفي كي يملأ قلب الإنسان. وعلينا أن نتخيل سيزيف سعيداً”<sup>(10)</sup>

ويرى كامو أنه من خلال سيطرتنا على أفعالنا، ومعرفتنا أننا نعيش حياة عبثية، يصبح للفشل في حياتنا معنى: فهذه الإخفاقات تصبح ملكنا. وهي التي تصوغنا على ما نحن عليه.

والرسالة هي: عليك أن تستوعب الفشل، لأنه لا يوجد ما يمكنك فعله. ومن هذا المنظور، فإن الفشل هو حبة الدواء المرّة التي تبتلعها كل يوم.

وأهمية ذلك بالنسبة لأي كان، هي ببساطة أن يكون خيارنا بترك الأمور التي لا نستطيع تغييرها، هو أفضل ما يمكن القيام به، بدلاً من أن نضرب رؤوسنا بالجدار ومواجهة ما من شأنه إجهادنا وتخطيمنا فيما لو حاولنا تغييره.

القانون الثاني من التيرموديناميك يقول، إن هناك ميلاً لدى أي نظام مغلق للتحلل إلى حالة أكثر فوضوية على أية حال. وبكلمات أخرى هناك ميل طبيعي لدى العالم للتحلل والوصول إلى الإنتروبي – أو بمصطلحاتنا، للفشل – وليس باستطاعتنا مواجهة هذه الحقيقة أكثر من قدرتنا على مجابهة قانون الجاذبية.

لنفكر بقانون مورفي: عندما يكون هناك إمكانية لخراب شيء ما فلا بد أن يخرب. ليس هناك من غاية كلية، ونحن نسعى لنشق طريقنا ونقوم بأفضل ما يمكن. الحياة قاسية، ولكن علينا أن نوجد لها معنى، باعتبار ذلك أفضل ما يمكننا القيام به.

## فلسفات العصر الحديث والتفكير الإيجابي

تبنى الكثير من الفلسفات الحديثة، رؤية أكثر إيجابية حول الفشل، أي رؤية تفاعلية للعالم. ترى أنه يمكننا أن نغير أية ظروف، ويمكننا عبر الإرادة والوعي، تجنب الفشل أو تحويله إلى نجاح. العدد الكبير من فلسفات العصر الحديث يعتنق الروحانية طريقاً أو نهجاً عاماً. وهم يثون الثقة في الكون، بالقول إن هناك مخططاً، وإن كل ما في العالم مترابط مع بعضه البعض. يرى الكثير من هذه الفلسفات أن التوقف عند أي شيء سلبي، كالفشل، هو أمر سيء، لأننا بهذا نقوم باستدعاء الفشل، ما يستوجب التفكير بطريق الخروج من الفشل والتفكير السلبي.

عندما كان في التاسعة من العمر، كان ابننا جيمس مولعًا بجز العشب. وعندما زار جديه وجد أن لدهما جزازة كهربائية - نوع يشتمل كابلًا عليك أن توصله إلى مقبس الكهرباء، وتجربه معك في المساحة التي يراد جز العشب فيها - فقرر أن يجربها. ولكن جديه كانا قلقين جدًا فبدأ يصرخان بتلقينه التعليمات عندما بدأ بجز العشب. «إياك أن تمرر الجزازة فوق كابل الكهرباء بينما أنت تقوم بعملية الجز». ولأنه كان منكبًا لسماع ما كانا يقولان له، فقد فعل ما كانا يحذران منه بالضبط. حدث صوت كبير وأزيز وارتفع دخان، لأن الجزازة أحدثت قصر دائرة كهربائية، وبالتالي ارتكب هو ما كانوا يخشونه تمامًا. والعبارة من هذه القصة هي: بقدر ما تخاف من الفشل، وبقدر ما تفكر به، بقدر ما يكون الفشل وشيك الحدوث.

يشاع أن فرويد روى القصة التالية، عن طفلتين كانتا على وشك الحصول على زيارة من قبل قس الكنيسة الجديد. لقد نبهتهما والدتهما بأن القس كان حساسًا جدًا من حقيقة أنفه الكبير، وبالتالي عليها ألا يشيرا لذلك تحت أي ظرف، أو القهقهة أو حتى النظر إليه. وعدت الفتيات المطيعات بالامتثال، وسارت الأمور كما يجب إلى أن قدمت إحدى البنات الشاي للقس. حيث قالت له: "هل تريد بعض السكر في منخارك؟". "عفوًا أنا أقصد في الشاي".

استخدم فرويد هذه القصة كي يبين كيف تظهر الرغبات المكبوتة إلى السطح، فيما يدعى اليوم «الزلات الفرويدية». ولكن القصة تبين أيضًا كيفية خضوعنا لجاذبية الفشل.

نحن في الغالب نختبر ما يلي: يتوجب علينا أحيانًا أن ننام الليل قبل يوم عمل مهم في المكتب، ولكننا نستيقظ طيلة الليل. يتوجب علينا أن نتذكر أمرًا حيويًا من أجل خطاب مهم سنقوم بإلقائه، ولكننا ننسى. كيف يمكننا أن نتفادى هذا السقوط في الفشل بسبب خوفنا من الفشل؟ عن طريق الاسترخاء، والتقبل والاعتراف بضعفنا، وعدم الإلحاح على النفس لتجنبها.

وبالعكس، إن التركيز على النجاح - وفق هذه الفلسفات - يمكن أن يؤدي لنتائج إيجابية أكثر. يذكرنا والد مارتى ماكفلاي بالحلم الأمريكي: «يمكنك القيام بأي شيء، إذا عازمت على القيام به».

إن اليقظة والتفكير الإيجابي والعيش الواعي، تقدم تصورًا للعصر الحديث يبدو فيه الفشل تعبيرًا عن حالة ذهنية، وأنا نستطيع توظيف طاقات الكون للتغلب عليه، ومن ثم النجاح كي نكون ما أردنا أن نكون.

يأخذ التفكير الإيجابي الكثير من الناس إلى آفاق بعيدة.<sup>(11)</sup> لقد أثار كتاب المساعدة الذاتية لنورمان فانسانت بيل بعنوان «طاقة التفكير الإيجابي»، في أجيال من البشر ممن استخدم هذه الطاقة للتخلص من المواقف السلبية التي تسبب الفشل. ليخيم الظلام بعد ذلك على الملايين من البشر الذين يواجهون حنوطًا سيئة أو نتائج غير متوقعة، بالرغم من تفكيرهم الإيجابي: "هذا يجب أن يكون خطأي. أنا مفكر إيجابي ضعيف وعديم النفع. ومن الواضح أنني لم أفكر إيجابيًا بما يكفي. لقد جلبت لنفسي كل هذه الأمور السيئة، وبالتالي أنا أستحقها على هذا النحو أو ذاك". وهذه ليست قصة مسلية ولا مفيدة.

وفي مقالة له عن «التفاوت الساذج»، يرى أندري مارتن أننا نعاني من «التحول إلى ما يشبه هاواي في كل مكان»، أي «التفاوت الساذج» الذي يستوجب التفكيك إذا أردنا أن نعالج الفشل.

“إن وعينا بأسباب بؤسنا يجب أن يحصننا من أن نكون بؤساء جدًا. يمكن أن نرتقي بوعينا لواقعنا السيء. وبكلمات أخرى، نحن نحتاج لفلسفة لاثقة عن الفشل لإنقاذ الجميع من الاعتقاد بأنهم فاشلون.”  
(12)

## زن وفن الفشل

تقدم لنا رواية روبرت بيرسيغ الرائدة في العام 1974 «زن وفن صيانة الدراجة النارية: التحقيق في القيم»، فلسفة مميزة حديثة ونقاش قيم للفشل. يستخدم بيرسيغ، في هذه الرواية الفلسفية الممتعة وغير العادية، مهنة إصلاح وصيانة الدراجة النارية كي يقدم رؤية فلسفية عن الحياة عمومًا. تحاول الرواية الإجابة عن السؤال الكبير: كيف نتعامل مع الفشل؟ والجواب؟ نحن نحتاج ما يدعوه بيرسيغ «روح المبادرة».

“إذا كنت تعتزم إصلاح الدراجة النارية، فإن أول وأهم ما يلزم من الأدوات هو رصيد كافٍ من روح المبادرة. وإن لم يتوفر لك ذلك، يمكن أن تجمع جميع الأدوات الأخرى وترميها جانبًا، لأنها لن تفيدك. روح المبادرة هي الوقود النفسي الذي يضمن عمل كل شيء. وإذا لم تملكها لن يكون لديك طريقة لإصلاح الدراجة. ولكن عندما تمتلك هذا الرصيد وتعرف كيفية المحافظة عليه، فلن يكون هناك قوة في هذا العالم يمكنها أن تحول دون إصلاح الدراجة. سيحصل ذلك لا محالة. لذا إن ما يجب مراقبته في جميع الأوقات وتأمينه قبل أي شيء آخر... هو روح المبادرة.

وخلال عملية إصلاح الآلة تحدث أشياء دائمًا، أشياء رديئة، من دواصة صدئة إلى حاضنة كسرت صدفة ولا يمكن استبدالها. وبالتالي إن نقص روح المبادرة هذا يفقدك الحماس، ويتركك محبطًا، بحيث تريد أن تنسى مجمل العمل. وأنا أسمى هذه الأشياء (أفخخ روح المبادرة)”.<sup>(13)</sup>

يبين بيرسيغ كيف علينا أن نثابر في مواجهة الشدائد، واستخدام الحس العفوي لدينا وحذاقتنا وحس المبادرة، لتجنب «حلقة الانعكاس السلبي» التي تدفعنا للاستسلام للفشل والتشاؤم والهزيمة. وحالما نتعرف على هذا الفخ يمكن لنا أن نتغلب عليه. يسمي عالم النفس مارتن سيليجمان فخ روح المبادرة هذا بـ «العجز المكتسب»، حيث يكف الإنسان عن المحاولة.<sup>(14)</sup> وكما نعرف من الفصول الأولى، فإن الإحساس بالفشل يمكن أن يؤدي لحلقة نفسية مفرغة. حيث يزداد إحساسنا بالفشل، ما سيزيد فرص فشلنا أكثر فأكثر. ولكن باللجوء إلى روح المبادرة يمكننا الخروج من هذه الحلقة.

ومن الواضح اليوم، على نحو يدعو للتفاؤل، أن قصص الفشل التي نرويها تعود لنظام معتقداتنا وفلسفتنا في الحياة. لا يدرك معظم الناس أنهم يعيشون وفق فلسفة معينة، ولكننا في الحقيقة كذلك. وبناء على ذلك، يمكننا أن نرى الفشل كخطأ، أو تحدي، أو أمر لا يمكن تجنبه من نسيج الكون. ولكن الفشل، مع ذلك، ليس أمرًا موضوعيًا ونهائيًا. ولكن الفشل، في نهاية المطاف، مفهوم نستطيع أن نعيد تشكيل تصوراتنا له. ونحن لسنا مقيدين بأي وجهة نظر أو رؤية فلسفية. فبالاطلاع على المزيد والمزيد من وجهات النظر المختلفة، والتعامل معها كأطر عامة وليست كحقائق، نستطيع أن نخفف من تأثيرها علينا، وتحرير أنفسنا بما يمكننا من التفكير خارج سجون الحتمية التاريخية أو الاجتماعية.

«سنتهي جميعًا إلى الفشل، ولكن لا يعتبر هذا الأكثر أهمية». هذا ما يقوله كوستيكا برداتان «ما يهم حقًا هو كيف نفشل، وما الذي نكسبه من عملية الفشل».<sup>(15)</sup>

### أفكار مهمة ونظريات مساعدة من فلسفات الفشل المختلفة

• البوذية: عليك أن تتخلى عن الرغبات ووجهات النظر المثالية التي تحول بينك وبين الاستمتاع بما لديك.

• الأفلاطونية: لا يمكن الوصول للكمال في هذا العالم. جميع حالات الفشل والنجاح المادية ليست إلا ظلالًا لك في كهفك الواقعي.

• الفلسفات الإغريقية: هناك فن في متابعة حياتك مع العقبات وحالات الفشل التي تواجهها. يمكن أن تجعل حياتك سعيدة على الرغم من الفشل.

• وجهات نظر دينية: هناك غاية سامية وراء كل حالات الفشل؛ تقبل فشل الحياة كجزء من مخطط كلي للوجود.

• الوجودية: استفد للحد الأقصى مما تملك ومما يعطى لك في هذه الحياة. وابتح عن المعنى فيما يسمى الفشل في ظروفك.

• زن: تجنب أفخخ المبادرة التي تجعلك تشعر بالفشل. قم بخطوات عملية لتجنب مطبات السلوك الفاشل:

1. فكر بالخطأ الذي حدث.

2. ضع خطة لتفادي الخطأ في المستقبل.

3. أنظر لكل خطأ باعتباره عابرًا ومعزولاً.

## الفصل العاشر

### التفكير التحولي: محو الفشل

بغض النظر عن وجهات النظر الفلسفية إزاء العالم التي نحملها، وبغض النظر عن وجهات نظرنا حول الحياة والفشل، فكّر بما يلي: طالما أننا نعيش ونتطور ككائنات بشرية في هذا الكوكب، سنكون جزءاً من مسيرة التجربة والخطأ في جميع مجالات الحياة. فعلى كل حال هذا ما كان يحصل على الكوكب على مدى الأربع مليارات سنة الماضية. ومن المرجح أن يستمر هذا الأمر لبعض الوقت.

وكنوع، فإننا سوف نحقق أحياناً الأهداف التي وضعناها بأنفسنا، ثم نقوم بعدها بوضع أهداف أخرى وننجح في تحقيقها أيضاً. وسنعجز عن تحقيق أهداف أخرى، وسنكتشف في بعض الأحيان أشياء جديدة كليةً في سياق بحثنا عن شيء آخر.

لقد حولنا ببطء كلمة ومفهوم «الفشل» خلال المائتي عام الماضية، إلى شيء مخيف يجعل أطفالنا وحتى أطباءنا وجراحينا والكثير منا محكومين بالخوف، مما يدفعنا للقيام بكل ما هو ممكن لتفادي وصمنا بالفشل. من الواضح من خلال إلقاء نظرة على الكتب والمقالات التي تدافع عن ميزات الفشل في مجال العلم والإبداع، أن هناك اتجاهاً لرؤية أهمية الفشل، ونحن نعتقد أن هذه هي البداية. ولكن طالما أننا محكومين بكلمة «فشل» والمضامين المعاصرة للمصطلح، فمن غير المرجح أن نتفادي آثار الفشل عندما يصيبنا، أو عندما نوصف بها، أو نصف الآخرين بأنهم فاشلين. وقد أدى هذا إلى الكثير من حالات التوتر المعاصرة التي تؤثر سلباً على حياتنا: حيث يفضل أبناؤنا أحياناً الموت على الفشل؛ ويفضل جراحونا إخفاء الحقيقة بدلاً من الظهور بمظهر الفاشلين؛ وكموظفين سنعمد لإخفاء أخطائنا بدلاً من الظهور بمظهر مرتكب الأخطاء.

لا تخلو أحاديثنا اليومية من الحديث عن الفشل. فنحن نسمع عنه في التلفاز والعمل والمدرسة وفي علاقاتنا الشخصية. والنتيجة التي يؤدي إليها غالباً هي الإحساس بعدم الجدارة، وبأننا أقل نجاحاً من الشخص الآخر. ولكن عندما نشرع بالتخلص من لغة ومفهوم الفشل، يتم إعادة توجيه الاهتمام. حيث لا

يبقى هناك من يفشل. ولكل شخص مكان في طيف الوجود. الكليات التي نجحت في التخلص من فكرة الفشل هي "ريد كوليديج" في أوريغون و"نيو كوليديج" في فلوريدا و"إيفرغرين كوليديج" في واشنطن. وهذه الأماكن تمنحنا الأمل. حيث يمكننا اعتماد هذه المقاربة في جميع مراحل التعليم وفي مجالات أخرى من الحياة. ففي هذه الكليات، التي لا تستخدم مفهوم «الفشل» كتهديد مثير للإحباط، يتفوق الطلاب ويصبحون محامين وأطباء وصحافيين ونشطاء اجتماعيين وما إلى ذلك. يتوفر لدينا الدليل على أنه لم تعد لدينا أي حاجة لنموذج الجزرة والعصا الصناعي، والذي ينظر إلى الطلاب على أنهم وحدات اقتصادية محتملة تحتاج للتحفيز لسد الثغرات الحاصلة في قوة العمل. لقد انتهى هذا منذ زمن. لقد آن الأوان لنا - بغض النظر عن خطابنا وفلسفاتنا - لأن نشطب مفهوم الفشل من ميادين التعليم والنشاط الإنساني. وعندما نتحدث عن نتائج غير متوقعة بدلاً من الفشل، فإننا نعبر على نحو أدق وأكثر فائدة عما يجري في المجتمع، عندما يتعلم الشباب وينطلق المستكشفون ويخترع المخترعون. فهؤلاء البشر لا يفشلون. لا ينبغي عليهم أبدًا التفكير في أنفسهم من منطلق الفشل. يعمل طلابنا وعلمائنا ورجال الأعمال بجهد في جميع أنحاء العالم، ويكتشفون مئات الطرق التي لا تنجح، واحتمالات التقدم غير المتوقع من خلال التجربة واللعب. فهم يتعلمون من تجريب الأشياء. يعبر البعض منهم التجارب بسرعة، في حين يتطور البعض الآخر ببطء أكبر، مع كشوفات مثيرة للاهتمام وغير مخطط لها تنمو على طول الطريق. وبالتالي يجب على لغتنا وفلسفاتنا أن يعكسا هذا الأمر.

يبدو أننا إذا استطعنا تغيير الطريقة التي نتصور بها الفشل في حياتنا، فإنه يمكننا نحو الأمل العاطفي والنفسي المرافق للوصمة التي تبرز عندما نقول عن شيء ما أو شخص ما أنه فاشل.

فإذا أمنا بالحياة على أنها سلسلة من الدرجات على سلم يقود إلى القمة، سيكون معظمنا فاشلاً، ولكن إذا أزلنا السلم جانباً، فلن يكون هناك فاشل! نحن موجودون فقط في نقاط مختلفة على طول سلسلة متصلة. فالحياة قصة وليست سباقاً.

لقد آن الأوان لاستبدال الخوف بالحب والأمل، وبالتطلعات نحو المعاني والإنجازات الشخصية التي لا تتوقف على المكاسب المالية أو المادية القابلة للقياس.

تخيّلوا أننا توقفنا عن تدمير أنفسنا وتدمير زملائنا، والموظفين وأرباب العمل وشركاؤنا وعائلاتنا، عبر مفاهيم تدفع الجميع للخوف من التقصير. فعندما نعيش مع مفهوم الفشل فإننا نقوم بقتل الفضول الطبيعي الذي أتاح لجنسنا أن يتطور على هذا النحو المذهل. لكي يكون مستقبلنا أجمل حقاً وأكثر تألقاً وأملًا، علينا أن نتوقف عن خنق فضول الملايين من الأطفال وجميع البشر المبدعين والخلاقين الذين يحاولون تعلم كيفية التكيف مع عالم لا قدرة لنا على تخيل مستقبله بعد.

إخفاقات الدرجة الأولى بالنسبة لنا هي الأصعب، لأنها إخفاقات كارثية. ومع ذلك، يمكننا بفضل هذه المقاربة الجديدة لإخفاقات الدرجة الثانية والثالثة، البدء في رؤية أنه كلما انفتحنا أكثر على فهم أن النتائج غير المتوقعة، هي بمثابة تجربة مضمونة إذا كنا على قيد الحياة على هذا الكوكب، كلما تمكنا من محاولة التعلم من هذه الإخفاقات والاستمرار في العيش حياة ذات مغزى، حتى مع هذه الإخفاقات. وسواءً أكنّا متدينين أو ملحدين أو لا أدرين، فإننا نواجه حقيقة أن الأشياء تصبح مختلفة عما توقعناه. فنحن بشر، وعمرنا على

هذا الكوكب هو عمر محدود، ولكن يرغب أغلبنا في الاستفادة القصوى من الزمن المتوفر لنا على هذا الكوكب، وربما تكون هذه إحدى الطرق للقيام به.

إن سعينا وراء النجاح، وتصميمنا على تحديد الأهداف وتحقيق المزيد والمزيد مما نسعى لتحقيقه، قد قادنا إلى الخوف من الفشل أو إخفاءه، في الوقت الذي تكون فيه النتيجة غير المتوقعة مفعمة بالمعاني الجوهرية التي لا يمكن رؤيتها عندما نسميها فشلاً. هذا هو السبب الذي يجعل الأدبيات المتعلقة بـ «إفشل على نحو أفضل / أسرع / فوري» لا تحرز تقدماً كافياً. إن وجهة النظر للعالم تلك تعتبر خطوة في الاتجاه الصحيح. فهي تسعى لإيجاد قيمة إيجابية في التجارب التي تعتبر فاشلة... ولكن يواصل مجتمعنا بأكملها دائماً الحكم على نفسه ووسمها على أساس النجاح/الفشل، والتي يحمل فيها الفشل على الدوام النتيجة المصاحبة له، ألا وهي اللوم والعار.

علينا أن نتخذ موقفاً جذرياً من فهمنا واستخدامنا السابق لكلمة «فشل»، وربما يكون هذا الانتقال إلى رؤية جديدة عسيراً على بعض الناس. حيث يمكن أن يززع القناعات الموجودة سابقاً. ولكن هذا يتمتع بدرجة كبيرة من الأهمية، لأننا إذا تمكنا من رؤية مصفوفة الفشل/النجاح على أنها من صنع أيدينا، فمن شأن ذلك أن يجعلنا أحراراً. ربما لم يكن بمقدورنا أبداً أن ننظر للثقافة أو مجمل النشاط الإنساني بذات العين. ويمكن لهذا أن يحررنا كي نقوم بأشياء، ونكون أشياء، ونحدث قفزات في الثقافة والأعمال والطب وفي حياتنا على نحو يخدمنا جيداً. كما يمكن لهذا أن يغير في كيفية نظرنا لأهدافنا وبطريقة تفكيرنا في النجاح الشخصي.

وحالما نتبنى طريقة جديدة في النظر إلى النتائج غير المتوقعة في حياتنا، يمكن أن تتغير الكثير من الأشياء. مثلاً، يمكن لمن كان لديه قناعات سابقة وتبنى مواقف من قبيل «الفشل أمر رهيب، وهديني هو النجاح في كل ما أقوم به»، أن يغير مقاربتة الشخصية لتصبح على النحو التالي «الحياة تستوجب مواجهة النتائج غير المتوقعة، ومن الحكمة أن أكون مستعداً للتعامل مع التحديات التي تعترض طريقي».

ويمكن أن ينتج عن تغيير الموقف طريقة متطورة للتعامل حتى مع أبسط النتائج غير المتوقعة، كتعاملك مع الحالة التي يسكب بها طفلك العصير على الكتاب الذي تقرأه. فبدلاً من القول «أنت أخرج جداً يا ديLAN» - وبكلمات أخرى «لقد فشلت أيها الولد» - يمكن أن تقول «أوه، هيا يا ديLAN، دعنا نذهب كي نغير الثوب، وننظف هذا». - أي أننا سنتعامل مع هذا التطور غير المنتظر من الأحداث بأفضل ما يمكن -

فيما يلي أفكار بعض الناس الذين وجدوا طرقاً لمواجهة تحديات الحياة، من إخفاقات الدرجة الأولى حتى الثالثة.

لقد أخبرتنا ميشيل جيرارد<sup>(1)</sup> أن حدثاً طارئاً قد غير الطريقة التي تستجيب بها لتجارب عادية غير مرغوبة. لقد انتقل أولادها وقررت أن تشتري سيارة صغيرة وجميلة لنفسها، بعد أن عبثت بناتها بسيارتها القديمة طيلة سنوات، عبر تعلم القيادة والذهاب إلى المدرسة والأنشطة الرياضية وحفلات الموسيقى. والآن هي بصدد مرحلة جديدة، وقد مثلت لها سيارتها الجديدة حرية جديدة. وقد كانت أنانية جداً بالنسبة لهذه السيارة، حيث لم ترغب حتى لزوجها أن يقودها، وأحببتها أكثر من أي شيء مادي امتلكته منذ زمن.

وفي أحد الأيام اكتشفت أن هناك من عبث بالسيارة بينما كانت مصفوفة، وربما كان هذا في مركز التسوق. لقد خدشت وتعرضت للضرب وتأذت بشكل رهيب. عندئذ ثارت ثائرتها. حيث قالت: «لم يكن بإمكانني أن أصدق ما قاموا به! لم يكن لديهم أخلاق حتى لترك رقمهم». وقالت إنها أمضت وقتًا طويلًا وهي تتحدث عن فظاعة هؤلاء الناس، وجورهم، لتتوقف بعد ذلك.

«لقد أدركت أن السيارة كانت مجرد شيء. وأدركت أنني في طريق الانفعال لأجل شيء وحدث لا قدرة لي على أن أؤثر به. بعد ذلك حدث أمر ما: لقد فقدت النظرة المادية تأثيرها عليّ. لقد صرفت النظر عن الأمر كليًا. فهو لا يستحق التوتر. فهي مجرد سيارة. وأنا الآن أنظر بفكاهة لما حدث. أنا أحب سيارتي، ولكن يسرني أن يقودها أيًا يكن، ولم أعد مستعدة لاستنزاف نفسي في سبيل أشياء مادية».

عاش جولز بيرشتاين<sup>(2)</sup> في كاليفورنيا. عندما سجل لأول مرة في الجامعة لنيل شهادة في الهندسة المعمارية، كان متوترًا، باعتباره أخفق سابقًا في إكمال شهادة الهندسة وخسر سنتين.

«كنت أتعرض لنوبات هياج حادة. لقد بدأت المدرسة، وخلال حوالي ثلاثة أشهر، واجهت حالة الهوس الأولى - لقد انتابني نوبة. وأصابني مس. وتولد لدي أوهام العظمة. كان ذلك بمثابة تجربة خارج الجسد مع حالة فصام حادة - في هذه الحالة تظن أن كل ما يجري يتعلق بك؛ حتى أنك تعتقد أنك تحرك الناس المحيطين بك بواسطة عينيك، وأن لديك هذه القدرة. وكنت أتكلم كثيرًا. وفي الغالب كان كلامًا بلا معنى.

لقد كان لدي جميع أعراض ازدواج الشخصية دون أن يتم تشخيص ذلك لي. ومن الخطورة البالغة بالنسبة لي كان تركي للمدرسة، حيث كانت هذه علامة سوداء كبيرة في حياتي. وقد رافقتني طيلة حياتي».

لم تتيسر حياة جولز أبدًا. لقد التقى بفتاة جميلة، وقد شُخص له مؤخرًا اضطراب ازدواج الشخصية وخضع للعلاج، ولكنه خسر عمله وأراد أن ينتحر بجز حنجرته. وعندما تعافى تزوج من صديقته أخيرًا وأنجبا طفلين، وعندما بلغ طفليه العاشرة والثالثة عشر ماتت زوجته بسبب سرطان الثدي.

الأمر المذهل، أن لم يعاني من أي نوبة بعد أن أصبح وحيدًا مع ولديه. على حد زعمه كان مرد ذلك غريزة البقاء. وقد تعلم عددًا من الأشياء.

«أولاً، على الرغم من أنني واجهت الكثير من التوتر، ومن كون التوتر عاملاً مثيرًا عادةً، فقد تمكنت من تجنب أية نوبة، فقد كنت مركزًا بالكامل على الأطفال، وأصبحت القضية قضية حياة. لا أعتقد أنه كان لدي الوقت حتى للحزن، فقد كنت عازمًا تمامًا على البقاء».

كما يقول إنه يعتقد أن طفليه كانا ملائكة رحمة. وقد كان عليه أن يبقى هناك من أجلهما؛ لم يكن بمقدوره فقدان السيطرة.

ثانيًا، لقد تعلم شيئًا آخر. لقد عرف أن العالم كان يبدو مختلفًا كليًا عندما كان يعاني من الاضطراب وعندما كان مكتئبًا، وبالتالي عندما غرق في كآبة عميقة مؤخرًا، كان قادرًا على أن يكون ورائي المعرفة، والقول بأنه عرف هذا الدرس جيدًا: «لقد علمتني الحياة أن الأشياء يمكن أن تنقلب في نهاية المطاف. فإذا

كان الأمر مرتبطاً بالمزاج، فإن الحالة المزاجية تلون عالمك. كان بوسعي القضاء على عاصفة - الكآبة الأخيرة - ففي أشد حالات الكآبة ثمة بصيص من الأمل، مهما كان ضئيلاً<sup>(3)</sup>.

وأضاف أن فهمه لكيفية تأثير حالات الذهن المختلفة على عالمه منحه القدرة على «عدم العودة إلى تلك الحالة ثانية».

ربما كان البوذيون مصيبيين بخصوص هذا الأمر: يكمن حزننا على معظم حالات الفشل المزعومة في الحياة، في الفجوة بين ما نريد أن تكون الأشياء وما هي عليه في واقع الأمر.

ماذا لو كنا مرنين بتفكيرنا، واعترفنا بضرورة العمل للاستفادة القصوى من كل وضع، لأننا نعي أن هناك الكثير من الأوضاع التي لا نملك إلا القليل من التأثير عليها في هذا العالم؟

### محو الفشل

لتنخيل غياب كلمة ومفهوم الفشل من خطابنا. سيبقى لدينا خيبات وأحزان وسنصادف مفاجآت غير سارة، ولكن سنتمكن من إعادة صياغة روايتنا، وبالتالي إعادة صياغة استجاباتنا.

ولد بيتر بتروويوس في جنوب إفريقيا. شرع بالمشي في شهره الثامن، وكان طفلاً سعيداً ومعافى في العام 1959. وفي الثانية من العمر، في الأسبوع الذي تم تلقيح أخواته ضد مرض شلل الأطفال، كان يعاني من الأنفلونزا فلم يأخذ اللقاح. بعد شهرين من تلك الحادثة استيقظت والدته ذات صباح لتجده مشلولاً في مهده. لقد أصيب بمرض شلل الأطفال. هرعت به إلى المشفى حيث تم وضعه على جهاز التنفس الاصطناعي. كان الجانب الأيمن من جسده قد تعرض لأذى كبير، ولكن الجانب الأيسر تعافى إلى حد ما بعد عدة أسابيع من العلاج. يصيب شلل الأطفال العضلات ولكنه يصيب أيضاً الأعصاب التي توصل العضلات بالدماغ. لقد فقد معظم وظيفة ساقه اليمنى، وكان جانبه الأيمن ضعيفاً جداً. كان عليه أن يتعلم المشي في عمر صغير بمساعدة الجراحة التي لم تكن على درجة من التطور في الستينات. ولكن كانت ساقه اليسرى قوية إلى حد ما، فاعتمد عليها بدرجة كبيرة. وكان هذا بمثابة معاناة قاسية لأي كان، وخصوصاً بالنسبة لطفل صغير. ولكن حدثت عندئذ مصيبة أخرى.

“عندما كنت في الثامنة، خضعت لعمل جراحي في ساقى اليسرى - أي الساق القوية - لاستئصال نسج منها وزرعها في الساق اليمنى الضعيفة. حينها كان لدي بثرة على ركبتي، حيث عرضتها على الطبيب قبل إجراء العملية. لم يبد الطبيب اهتماماً بها. ولكن خلال العملية تم جرح البثرة، فانتقلت العدوى إلى جرح العملية، وبعد يومين أصبحت أصابع القدمين زرقاء اللون. تم نقلي إلى المشفى وقد أصابني الغرغرينا. وبعد ثلاثة أشهر في المشفى توجب بتر ساقى اليسرى، أي ساقى القوية<sup>(3)</sup>.”

أمر الحياة هو، ما الذي يمكن فعله عندما يقع أمر ما لا يمكن العودة عنه؟ يمكن أن نقاضي الناس، وأن نغضب من الواقع، وأن نعيش في ندم وأسى وغضب ولوم، ولكن الحقيقة هي أن بعض الأمور لا يمكن تغييرها. كان هذا الانعطاف في سياق الأحداث مدمراً بالنسبة لبيتر. ما كان ينبغي أن يحدث. كان أمراً قاسياً وغير ضروري. وكانت العواقب تغييراً في الحياة. لقد غدا الطفل الآن أكثر عجزاً مما مضى.

يمكن للعالم أن يكون جائراً على نحو مروع.

حيث تحدث أحداث سيئة لأناس طبيين.

إذا ما كنا نعتقد أن هذا ليس إلا نتيجة لما يخطه الله لنا، وأنه سيكون هناك مكافآت في وقت لاحق في الحياة الآخرة. أو إذا ما كنت تعتقد أن هذا هو خبط القدر العشوائي الذي لا يحمل أي معنى باستثناء المعنى الذي نستخلصه منه، فإن ثمة أمرٌ مؤكد واحد، ألا وهو: «لا أحد منا في مأمن من المعاناة». وبالتالي يكون خيارنا الوحيد المتاح في نهاية المطاف هو كيفية مواجهة المصائب، وكيفية التعايش مع أمورٍ لم نكن نرغب في حدوثها مطلقاً.

يتشاءم ويستاء بعض الناس، ويغرق آخرون في الإحباط.

كان يمكن لبيتر أن يصبح قاسياً أو محبطاً أو حتى أن يفكر بالانتحار. ولكنه لم يفعل. رفع نظره إلى السماء. راقب الطائرات وهي تحلق عالياً وفكر، حسناً، ماذا عن الطيران؟ إن كان لا يستطيع المشي، فلماذا لا يستطيع الطيران؟ وهكذا أمضى طفولته وهو يلحلم بامتلاك طائرة خاصة، وبالتحليق فوق تضاريس العالم الأرضي، ولم يكن هناك من يمكن أن يشبهه عن ذلك.

لقد اجتاز طريقاً طويلاً ووعراً في تلك الأيام. في البداية لم يظهر أية إمكانية لتجاوز الاختبارات الصحية. لقد قوبل بجميع المبررات المحتملة لعدم حصوله على إجازة الطيران. ولكنه لم يتراجع. كان مصراً على البرهان أن بإمكانه أن يقود طائرة عادية رغم إعاقته، وأن يظهر بأنه قادر على القفز من الطائرة بنفس السرعة التي يتمكن بها شخص معافى جسدياً في حالة الطوارئ. وقد تمكن من ذلك.

«أخيراً، بعد خمس سنوات، أصبحت طياراً قادراً على قيادة طائرة عادية. كما أردت أن أدرب أناساً عاجزين للاستمتاع بنفس النشاطات التي يستمتع بها الأصحاء. وبعد عامين نلت مرتبة مدرب. وبعد سنتين من ذلك الوقت، أصبحت مدرب طيران مرخص له في مدرسة الطيران الخاصة بي. وكنت واحداً من أوائل مدربي الطيران الكسحاء في العالم. وحتى الآن دربت ما يزيد عن 400 طيار».

رسالة بيتر هي رسالة أمل، رسالة عدم الاستسلام لليأس. عندما لم تسعفه الأرض، بحث عن مكان آخر. وقد رحبت به السماوات، ووجد فيها ضالته.

يعيش اليوم بيتر في أستراليا، يقود طائرته في عطل نهاية الأسبوع، ويلهم الناس في نوادي ومدارس روتاري بأحاديثه المشجعة، فيما يخص التعامل مع ومعايشة المحن التي يمكن أن تواجهها الحياة كل إنسان، وفي أي وقت.

لم يحظى بعد بشهرة عالمية، ولكنه سينالها، حسب رأينا. ما لدى بيتر ليقوله حول الحياة والكفاح يستحق الاستماع إليه. وقد كانت حياته عبارة عن حياة موسومة بالمحن القاسية. فابتسامته ووجهة نظره الإيجابية وحس الدعابة الرفيع لديه ومزاجه البهيج، من شأنها أن تدفع أي إنسان للنهوض من فراشه كل يوم لمواجهة العالم بشجاعة.

وبالتالي إن أفضل ما يمكن أن نقوله هو: تواجهنا الحياة بمفاجآت غير متوقعة. وسنواجه إخفاقات. ولا بد أن نواجه الظلم في طريقنا.

أحياناً يحدث لنا انعطاف مفاجئ. إخفاق من الدرجة الأولى. كارثة لم نتبين قدومها. خسارة لا تعوض.

إذا كنا نعتقد أن حياتنا قيمة جوهرية، بغض النظر عن مستوى خطورتها أو صعوبتها - إذا كنا نعتقد أننا جديرون ونستحقها - فالخيار الوحيد أمامنا هو أن نجد روح المبادرة، والشجاعة، والطرق اللازمة للعيش مع وما بعد الأحداث غير المتوقعة. إن كان الأمر يتعلق بامتحانات فاشلة أو زيجات فاشلة أو سيارات أو طائرات لم تصل إلى وجهتها المقصودة، فلدينا خيار: الغضب من الحياة، أو قضاء الوقت في تطوير مرونة حقيقية، أي طرق للتقدم إلى الأمام والعيش، لأن حياتنا ثمينة.

ليس هناك مكان للفشل في حياة بتر.

عندما نمحو الفشل، فنحن لا نلغي إمكانية تعرضنا للخسارة. فهذا خارج استطاعتنا. إذ سوف نستمر في السقوط والتعثر كل يوم على الطريق. وهذا جزء من الحياة. بل نقلل الهوامش التي يحكم علينا فيها كفاشلين مع العواقب السلبية بعيدة الأثر لذلك.

نحن مخلوقات بشرية متألفة. ولدينا القدرة على التطور. كما أننا نتحول. ولكن في الغالب لا تتجدد الـ DNA كما ينبغي، وعلينا أن نعيش مع هذه الحقيقة. أحياناً تيسر الأمور. وأحياناً - في كثير من الأحيان - لا تيسر حياتنا وفقاً لما هو مخطط. فنحن جميعاً نتقدم في السن، ومع ذلك تملك أجسامنا القدرة على التعافي والتوازن طيلة الطريق. كل شيء يتداعى ويتفسخ، ومع ذلك فالترميم جزء من مجمل مسيرة تطورنا. وعندما نتخلص من لغة الفشل، فإننا نتخلص من موضوع الحكم. كما نعالج الألم الذي يعاني منه الكثير منا، بسبب وضعنا لبعض الناس في أعلى السلم ولآخرين في أسفل السلم. نحن ننظر لما هو غير متوقع وغير متتار باعتباره جزءاً أصيلاً من الحياة. كما نتوقف عن النظر لأنفسنا من خلال المقارنة مع الآخرين، ونشرع في الالتفات إلى القيمة الحقيقية لحياتنا الخاصة. وهذا ممكن أيضاً حتى مع إخفاقات الدرجة الأولى المأساوية. وقصة جون هي مثال بارز على ذلك:

قبل عدة سنوات واجهت جون ويلسون<sup>(4)</sup> أحد أسوأ المآسي التي يمكن تخيلها، وهي خسارة ابنها ذو السنوات الست في حادث دراجة. كان ولدها الأصغر يقود دراجته جيئةً وذهاباً في شارعهم الهادئ في كاليفورنيا، عندما جاءت سيارة مسرعة جداً من وراء منعطف وأسقطت الطفل عن دراجته. ليتوفى في المشفى بعد ساعات من الحادث. وعلى الرغم من أن هذا الحادث وقع قبل ما يزيد عن أربعين عاماً، ما تزال جين تقول إنها تعيش ألماً حاداً. حيث كانت تقول: «هذا الألم لا يغيب أبداً».

«ما يمكنني أن أخبركم به هو أنني فهمت ما يلي: كيف كان لي أن أظن أنني محصنة من المعاناة؟ ليس هناك من ضمانة لأحد منا. هذه هي الحياة. وهذه الخسارة هي جزء من حياتي. وجزء من حياة الكثير من الناس. فهذا يحدث اليوم، وسيحدث غداً، وسيحاول الملايين من الناس العيش مع الأسى وإيجاد السبل للنهوض في الصباح والحب والاهتمام بمن يبقى».

لقد وجدت معنى في العمل لسنوات لصالح منظمة إنسانية وجمعيات خيرية، تساعد من هم في حاجة، وتنال الجوائز على عملها، وتساعد عائلات تواجه مصاعب مالية وشخصية. لقد حملت حزنها وعجزها ووظفتهم كمحفز لتقديم المساعدة حيث يمكنها ذلك، وللتعاطف مع من يواجه خسارة من أي نوع كانت.

لقد جعلت الأمور أسهل وأخف وطأة على الكثير من الناس، وهو ما أعطى معنى لوجودها. كانت تحيي ذكرى ابنها الفقيد بمساعدة الأطفال الآخرين حينما تتمكن من ذلك.

العبرة التي تقدمها لنا جون، كتلك التي يقدمها بيتر، هي الشجاعة وفهم الكيفية التي تسير وفقها الحياة.

هذه الأشياء لا بد أن تحدث. لا أحد منا محصنٌ من المعاناة أكثر من جون، أو من تداعيات المأساة على حياتنا. وعندما نعي ذلك، نشعر في إعطاء كل شيء حقه. يمكن أن نجل الوقت الذي نقضيه مع عائلتنا، ونقدر قيمة التحديات التي تصادفنا، وأن نستمتع برحلتنا، وأن نطور القدرات والمهارات التي سنحتاجها عندما تواجهنا الحياة بمصاعب حقيقية.

عندما نتحرر من مفهوم الفشل المخيم فوق حياتنا، نستطيع أن نعطي أنفسنا الفرصة كي تكون أكثر تعبيراً عن ذاتنا، لأن المفاجآت غير المتوقعة تتطلب منا أن نكون مرنين ومتفهمين ومبدعين وخلاقين. ليس بالمعنى المادي فقط، بل بالمعنى العاطفي والنفسي والروحي. يجب أن نظهر بأفضل ما لدينا ككائنات بشرية، معتمدين على ما نملك من طاقات. لقد خلقنا من أجل هذا العالم، ونحن جزء من هذا الكون العظيم المتطور.

“الفشل” مفهوم يفتقر إلى العمق، نحكم به على جوانب من حياتنا، ثم نفتنح به كما لو أنه حقيقة مطلقة. ولكنه مجرد ظل على جدار كهف أفلاطون.

عندما نتخلص من الفشل، يجب أن يذهب اللوم معه. واللوم هو ابن الفشل. فنحن نلوم الآخرين لأننا بهذا نشعر بأننا أفضل، وكما نضع أنفسنا في مرتبة أعلى في نظام النقد. فنحن لسنا سيئين وأغبياء مثل الآخرين. وعندما نبحث عن سبب للخطأ أو الفشل أو الحادث، فإننا نشعر بالحاجة للوم أحد ما. وهذا يجرنا من المسؤولية. ولكن ليس من شأن اللوم أن يحسن الأمور، حتى لو كان الطرف الآخر مسؤولاً عن الخطأ. فهو لا يساعد الناس على إصلاح أنفسهم ولا يعالج الضرر. وعندما نفتنح بالفشل، لا يكون اللوم بعيداً جداً.

ونحن، كمجتمع فاشلون لا شعورياً، ومحكومون باللوم. فعندما يخفق شيء ما أو شخص ما، يجب أن يكون هناك من يستحق اللوم. هناك محاولات لتغيير ذلك في أطر معينة، كالعُدالة الإصلاحية في نظام العُدالة الجنائية، وفي التعليم. ولكن على العموم، نحن نتصرف كما لو أن هذا هو حال الأمور. إن الحاجة للتفكير الإصلاحي حيال اللوم ستساعدنا في تحويل تفكيرنا حيال الفشل.

يقول إليوت كوهين في مقال «علم النفس اليوم» أن اللوم يقوم على سلسلة من «القناعات غير العقلانية» وهي:

1. الخطأ هو خطأ شخص آخر.

2. وهذا الشخص لا يستحق الاحترام.

3. يجب أن يعامل هؤلاء بقسوة.

4. لا يمكنني أن أتقبل أية مسؤولية حيال ذلك، لأنني سأكون، في هذه الحالة، غير جدير بالتقدير كالشخص الذي أوجه اللوم له.<sup>(5)</sup> فيما يلي بعض الأمثلة عن العلاقة بين الفشل والندم، حيث لا يوجد فعلياً ارتباط منطقي بين ما يعتبر سبباً وأثراً، وما يتوجب علينا التغلب عليه عندما نحاول أن نمحو القناعات السابقة لدينا عن الفشل.

- فشلت في الحصول على الترقية، وبالتالي لا بد أن يكون رئيسي كارهاً للمرأة.
- فشلت في عقد صفقة من أجل بيت، وبالتالي إن موظف العقارات أحمق.
- اضطر للانصراف وإقامة علاقة غير شرعية لأن زوجته لم تعد ترضيه على الإطلاق.
- سحب قرضاً وقامر به لأنه كان يشعر أنه خدع في علاقته.
- عندما نشعر أننا أخفقنا، فإننا نريد غالباً أن يتحمل شخص آخر المسؤولية. ولكن علينا الخروج من كهف ظلال العار/ اللوم، لأنه لا يساعد أحد، ولا يساعدنا نحن في الحد الأدنى.

أما الطريقة الإصلاحية، مثلاً، فتتنظر إلى العالم على نحو مختلف: حيث يتحدد العامل الخطأ بأنه العامل الذي يسبب الأذى. والأفعال التي تسبب الأذى هي التي تحدد المسؤولية والملامة. وبالتالي إذا ارتكب أحد ما خطأً، فهو مسؤول عن تصحيح ما ارتكبه.

كان بمقدور بيتر أن يلوم الطبيب الجراح الذي أدى تشخيصه الخاطئ لخسارة ساقه السليمة. وكان يمكن أن يغتم لذلك مدى الحياة. ولكنه لم يفعل.

في الثالث والعشرين من آب عام 1993، وقع حادث مأساوي في جنوب إفريقيا، في الوقت الذي كان فيه نظام الأبارتيد في طور الأفول. كانت الطالبة الشابة من أميريكان فولبرايت، أمي بيهيل، المهتمة بحقوق الإنسان، عائدة مع أصدقاءها لمنزلهم في المدينة في غوغوليثو - بالقرب من كيب تاون - قبل يوم من الموعد المحدد لعودتها إلى كاليفورنيا. وبينما كانت تقودهم في ذلك المساء وهي عائدة إلى المنزل، صادفت مجموعة من الشبان الخارجين من اجتماع سياسي عاصف. عندما رأوا بشرتها البيضاء وشعرها الأشقر هاجموا سيارتها بالحجارة. وعندما وجدت أن الطريق أغلقت بالحجارة خرجت من السيارة في محاولة للهروب. لحق بها مجموعة من الشباب وألقوا القبض عليها وطعنوها حتى الموت.

لم يكن الصفح أمراً يمكن تخيله في هكذا تجربة. ولكن هذا ما قام به بالضبط أهل أمي.

طار كل من ليندا وبيتر بيهيل إلى جنوب إفريقيا لمعرفة ما حدث بالضبط لابنتهما. وقد كتبت ليندا في «مشروع الصفح الخيرية»:

«عندما سمعنا الأخبار المروعة عن إيمي، انهار جميع أفراد العائلة، ولكن أردنا في نفس الوقت معرفة ظروف مقتلها. وفي الحال بعد ذلك غادرنا إلى كيب تاون. لقد استمددنا طاقتنا على التعامل المباشر مع الوضع من إيمي. لقد كانت غارقة بقوة في الحياة السياسية لجنوب إفريقيا، وعلى الرغم من أن العنف الذي أدى لانتخابات حرة، قد أدى إلى موتها، لم نرغب في قول أي شيء سلبي حول انتقال جنوب إفريقيا إلى

الديمقراطية. لذا لم نعترض على طلب العفو الذي تقدم به الشبان الأربعة المتهمين بالقتل في العام 1998. وفي جلسة العفو قمنا بمصافحة أهالي مرتكبي الجرم<sup>(6)</sup>.”

على شرف إيمي، قامت ليندا وبيتر بتأسيس مؤسسة لمتابعة عمل ابنتهما، وللنضال من أجل حقوق الشباب المحرومين والمعدمين. وكان هناك اثنان ممن بدأ العمل مع المؤسسة من قتل إيمي. وتقول ليندا عنهم: “لقد أغرمت بهذين الشابين. لقد كانا مثل أولادي. ربما يبدو الأمر غريباً، ولكنني أميل للاعتقاد أن هناك شيء من روح إيمي لديهما. البعض يظن أننا ندعم مجرمين، ولكن هدف المؤسسة التي أسسناها باسم إيمي، يتمحور حول منع الجريمة بين الشباب. وقد أصبحت مقتنعة بقوة بالعدالة الإصلاحية. وهي ما يدعوه ديزموند توتو (النبيل): أن تعتمد الصفر بدلاً من الانتقام، والاعتقاد أن (إنسانيتي لا يمكن أن تنفصم عن إنسانيتك)<sup>(7)</sup>.”

إيزي نوفميلا، أحد قاتلي إيمي، قال:

“قبل أن ألتقي ليندا وبيتر بيهل، لم أكن أعي أن الناس البيض كائنات بشرية أيضاً. لقد كنت عضواً في جيش تحرير الشعب الأزاني، أي الجناح المسلح من مؤتمر الوحدة الإفريقي. شعارنا كان «لكل مستوطن رصاصة». لقد كرهتهم مذ رأيتهم لأول مرة على التلفاز. وقد اعتقدت أن خطة هؤلاء البيض - الأهل - هي القدوم إلى جنوب إفريقيا للمطالبة بإنزال أقصى عقوبة. ولكنهم لم يذكروا مطلقاً أنهم يريدون شنقنا. لقد كنت مشوشاً إلى درجة كبيرة. وقد بدا أنهم عرفوا أن شباب هذه المنطقة هم من يتحمل عبء هذه الأزمة - القتال من أجل التحرير - على أكتافهم.

في البداية لم أرغب في الذهاب إلى هيئة المصالحة والحقيقة لتقديم شهادتي. لقد اعتقدت أن في ذلك خيانة، ولكنني قرأت بعد ذلك في الصحافة أن ليندا وبيتر قالوا أنه ليس من شأنهم هم أن يسامحا، بل على شعب جنوب إفريقيا أن يتعلم كيف يسامح بعضه بعضاً. لذا قررت أن أذهب وتقديم روايتي والتعبير عن ندمي. لم يكن دافعي العفو. أردت فقط الصفر. أردت أن أقول أمام ليندا وبيتر، ووجهها لوجه، (أنا أسف؛ هل يمكن أن تسامحني؟). أردت أن أكون حرّاً في عقلي وجسدي. كان من الطبيعي أن يتألما لفقد ابنتهما، ولكن بمجيئهما إلى جنوب إفريقيا - ليس للكلام عن التجريم، بل للحديث عن معاناة نضالنا - فقد أعادا لي حريتي. أنا لست قاتلاً، ولم يسبق لي أن نظرت إلى نفسي على هذا النحو، ولكنني لن أنتمي لمنظمة سياسية مرة ثانية، لأن هكذا منظمات تملي عليك أفكارك وتصرفاتك<sup>(8)</sup>.”

هذه الطريقة في الاستجابة على إخفاق من الدرجة الأولى لا يمكن إصلاحه، يقدم نموذجاً على طريقة مختلفة في الرد على الأحداث المأساوية، بدلاً من الانتقام والرغبة بنوع ما من الثأر.

هذا السلوك لن يعيد الناس مرة ثانية، ولكن يمكن أن يشعر الناس أن أحبائهم لم يموتوا من أجل لا شيء<sup>٤</sup>.

وفي حالة كارثة شخصية شهيرة كهذه المتعلقة بإيمي بيهيل، جسدت عائلتها طريقة ملهمة ومؤثرة بعمق للتعامل مع خسارة لا مثيل لها. لقد عبروا عن تسامح كان من شأنه تجديد وافتداء للمجتمع بدلاً من سجن ومعاينة مرتكبي الجريمة المروعة.

وفي النهاية يتعلق الأمر بخياراتنا. يمكن لنا أن نسأل السؤال الجوهرى التالي: ما النتيجة التى نريدها؟

إذا كان دافعنا أن نرد الصفة وننتقم، فعلىنا أن نسأل الأسئلة التالية:

ما الذى يمكن لهذا الفعل الذى نريد القيام به أن يفيدنا؟ هل يمكن له أن يحل المشكلة؟ هل يمكن أن يخفف من ألم فقدان شخص عزيز علينا؟ هل من شأنه أن يجعل حياتنا أكثر سراً بعد ذلك؟ فى غالب الأحيان هذا لن يحدث، بل سيزيد من الكراهية والعداء والإحساس بظلم الحياة.

ولكن إذا حاولنا استيعاب هذه الإخفاقات، يمكن أن نجد أنها يمكن أن تقود لنتائج إيجابية تساعدنا على بلسمة الجراح بسرعة أكبر من العمل لمعاقبة الجاني.

كان من الممكن للبندى وبيتر بيهيل أن يطالبا بالعدالة والانتقام. ولكن ابنتهما كانت قد ماتت. وليس هناك من عدالة يمكن أن تعيدها لهما. لقد عرف أهلها ابنتهما، وكانا يعرفان قناعاتها: لقد أرادت أن ينتهى العنف ضد الإنسانية. لقد ساعد إنشاء مؤسسة إيمي فى إعطاء معنى ليس لحياتهم فقط، بل لحياة قاتلي إيمي ولعدد لا يحصى من الشباب البؤساء الذين يتلقون الدعم من المؤسسة.

فى كل يوم هناك إخفاقات. طائرات تتحطم. أبنية تحترق. أناس يموتون. ويمكننا أن نتعلم من الأخطاء، ولكن يعتمد هذا على استعدادنا للاعتراف بها، وليس من شأن هذا التعلم أن يعيد لنا ما خسرناه. علينا أن نتعايش مع الخسارة. يجب أن يكون هناك مسؤولية ومحاسبة، وحيث يكون ممكناً يجب أن يكون هناك تعويض وعلاج للضرر المستطاع. واللوم يلاحقنا جميعاً إلى مخابننا، ونحن نعلم لتمويه أخطائنا وما يسمى إخفاقاتنا، ونعمد للكذب صوناً لكبرياتنا.

وبالتالى دعونا نتخيل أننا محونا الفشل كما عرفناه من كل مغامرة أو مسعى إنسانى. فعندما تشرع فى تصميم نوع جديد من الطيران وتتحقق فى ذلك، ولكنك تتعلم أموراً دقيقة وأساسية حول الإقلاع والمقاومة، فهذا أمر رائع. وسيكون لديك معرفة وخبرة إذا ما حاولت ذلك مرة أخرى. أو حتى إذا حاولت تصميم سيارة أو مركب بدلاً من الطائرة. فالمعرفة التى يتم اكتسابها بعد عناء هي علم قابل للتحويل. أو ربما طلب منك أن تجعل دراجة بعجلات مربعة تسير؛ تقوم بصناعة الدراجة ولكنها لا تسير، ولكنها تتحول إلى نموذج، أو تحفة فى متحف الفن الحديث أو غلاف كتاب يعلق على الجمل الأصيل لما يسمى عمل إنسانى فاشل. أو أنك تذهب لتسلق جبل إفرست فتضئى إلى معسكر الانطلاق، ولكنك تمرض وتضطر للإلغاء عملية التسلق قبل أن تبدأ. وحينها ما هو الموقف؟ لقد حاولت. لقد كافحت. وفى جميع هذه السيناريوهات قمت بالسفر. وكان لديك الشجاعة. وبالتالى أنت بطل بغض النظر عن أى شيء آخر. احترم الخبرات التى تنالها من التحديات والحييات. هذا هو عالمك العجيب، وإذا كانت الحياة مكونة من هذه النتائج التى كانت تدعى سابقاً «إخفاقات»، فلتفشل إذاً، أو بالأحرى، لتعش متألقاً فيها هو متاح لك من الزمن، وليكن بذهنك أنك جزء من عالم واسع وغامض ومتطور.

**أفكار مهمة.**

- ماذا لو مسحنا فكرة الفشل في جميع مجالات العمل الإنساني؟ عندها لن نفشل أبداً. بل نكتشف مئات الطرق التي لا تعمل وفقها الأشياء.
- إن سعينا الدؤوب وراء النجاح أوصلنا إلى الخوف أو إخفاء «فشلنا»، بحيث لا نستطيع أن نحصل على أية فائدة من النتائج المفاجئة التي تواجهنا.
- حالما نتحرر من التصورات القديمة عن «الفشل» تتاح لنا الفرصة كي نعبر على نحو أعمق عن أنفسنا: تتطلب الوقائع المفاجئة منا أن نكون أكثر مرونة وإبداعاً وابتكاراً.
- يعتبر تحول أفكارنا عن الفشل تجربة مفصلية. فحالما ننظر له بطريقة جديدة، لن يكون هناك تراجع.
- عندما نتخلص من الأفكار القديمة عن الفشل، يمكن أن تختفي مفاهيم العار واللوم.

### أفكار مساعدة حول التفكير التحولي عن الفشل

- تذكر: لقد خلقنا لهذا العالم. ونحن جزء من كون عظيم مدهش ويتطور.
- “الفشل” هو مفهوم بسيط فكرياً نطلقه على جزء من حياتنا ثم نعتقد أنه حقيقة مطلقة. وهو ليس كذلك.
- لا تقارن حياتك كما هي في الواقع، بالحياة التي تطمح لها. واستبدل الخوف بالحب. عليك أن تكون بأعلى درجة ممكنة من الصدق حتى عندما تجري الأمور على غير ما ترغب.
- توقف عن لوم الآخرين. تحمل مسؤولية حياتك. وعندما تواجهك وقائع مفاجئة، ابحث عن الكيفية التي يمكن من خلالها إصلاح الأمور، أو كيف يمكن أن تضمن قيام الآخرين بإصلاحها، بدلاً من الخجل أو لوم الآخرين.
- تمسك بحياتك بكلتا يديك. وعندما لا تسير الحياة وفقاً لما هو مخطط، لا تنسى أنك لا تزال ذات الشخص المتألق. حيث تصبح «إخفاقاتك الآن» في ذهنك مجرد «وقائع مفاجئة»، وهذه يمكن معالجتها.

# استنتاج ونشاطات

## العيش مع الوقائع المفاجئة

لا يمثل الفشل، كما رأينا الآن، مفهومًا خاصًا يستوجب الخوف والسعي لتجنبه بأي ثمن. إخفاقات الدرجة الأولى هي إخفاقات كارثية؛ أي لا يمكننا تجنبها، بل يجب استيعابها عندما تقع، والتعايش مع نتائجها. إخفاقات الدرجة الثانية هي تحديات يمكن مواجهتها إذا توقفنا عن النظر لها كإخفاقات. أما إخفاقات الدرجة الثالثة فهي اعتباطية، مفروضة من قبلنا، ومشكلة من توقعاتنا الخاصة، ويمكننا إزالة الإحساس باستحقاق الخسارة من نتائجها. وفي جميع هذه الفئات الثلاثة مما يسمى فشل، يمكن لفلسفاتنا وخطاباتنا ومقارباتنا أن تغير عميقًا الطريقة التي تؤثر بها علينا. ستجد فيما يلي الأدوات والتمارين التي تطلب منك أن تكتب وتفكر بحياتك وأحداثها المفاجئة. نأمل أن تمكنك هذه الأدوات من السير في ميادين حياتك الفريدة والمتألقة.

### تمارين لتحويل الفشل إلى نتائج غير متوقعة.

#### التمرين الأول: الحياة

سجل ثلاثة أحداث حديثة تعتبرها حالات فشل.

فيما يلي ثلاثة أمثلة:

1. خسارة بيت الأحلام بسبب عدم التصرف بسرعة أو بجدارة.
2. وجدت نفسي في عمل بلا أفق، حيث المسؤول عن العمل شخص رهيب.
3. قضاء بعض الوقت بدرجة أعلى دون أن يرافق ذلك أي فرق فيما يخص قابلية التوظيف.

إن كان لديك القدرة على استنتاج فائدة ما من هذه التجارب - دروس أو نظرة للحياة، أو ما إلى ذلك - قم بتسجيلها.

### أمثلة:

1. منزل الأحلام: معرفة أهمية البديهة وكيف يمكن الانتباه لها.
2. عمل مسدود الأفق: إدراك أي جدير وأكبر بكثير من القواعد التافهة المفروضة عليّ كل يوم. والشروع في التفكير من أجل البحث عن شيء آخر.
3. درجة أعلى: قراءة الكثير من المقالات التي فتحت آفاق تفكير جديدة من شأنها أن تجعل الحياة أكثر متعة.

### التمرين الثاني: العمل

فكر في حالة عمل تخاف معها من الفشل.

1. تخيل وسجل أسوأ نتيجة ممكنة. مثلاً: طردت من العمل، أو تم استبدالك بسبب سوء الأداء
2. تخيل وسجل أفضل نتيجة ممكنة. مثلاً: أن تحصل على ترفيع بسبب رقم مبيعات قياسي.
3. تخيل وسجل كوارث لا تتوقعها. مثلاً: أن تصدم من قبل قاطرة بينما أنت تعبر الطريق.
4. تخيل وسجل شيء ما رائع لا تتوقع حدوثه. مثلاً: أن يتم اختيارك صدفةً، وأن يعرض عليك عقد من أجل فيلم

حالمًا يكون لديك هذه السرديات يمكنك أن تكمل كتابة جميع هذه القصص وتتابع هذه المسارات الأربع. بدلاً من توقع أيًا من هذه الأحداث، عليك أن تعلم أنها ممكنة الحدوث، إضافة لكثير غيرها مما لم تتخيله. حاول الحصول على ما تريد، ولكن كن على وعي تام كيف يمكن أن تظهر السيناريوهات غير المتوقعة. وستكون أكثر أهلية عندما تكتسب أداءً قوياً، وعندما تنخرط بكتابة الروايات، وتقر بها هو غير متوقع، ويكون لديك الطرق اللازمة لمعالجتها كل يوم.

### التمرين الثالث: العلاقات

تخيل نفسك في حالة علاقة حيث تجد نفسك خائفاً من الفشل.

تذكر: هذه ليست حالات فشل، بل فقط وقائع. إن لم تتجاوزها تتحطم. وإذا تجاوزتها، فمن الممكن أن تواجه حالات أخرى. هناك دائماً إمكانية لحدوث أمور غير متوقعة.

1. دوّن أسوأ الأحداث الممكنة. مثلاً: تلك التي لا يمكن استبعادها وتسبب الانهيار.
2. دوّن أفضل الأحداث الممكنة. مثلاً: الاهتداء إلى طريقة جديدة للتوحد.
3. دوّن أحداثاً غير متوقعة مروعة. مثلاً: موت مفاجئ لشريك أو حدوث مرض.
4. دوّن أحداثاً مفاجئة سارة. مثلاً: حب جديد بنفس بهجة الحب الأول، وربما أعمق.

عندما يكون لديك هذه السيناريوهات، يمكنك أن تكمل كل من هذه القصص وتواصل هذه المسالك الأربعة. وبالتالي ما الذي يحدث مع الحالة الأسوأ؟ وما الخطط التي وضعتها للتعامل مع هذا السيناريو؟ وما الذي يحدث مع الحالة الأفضل؟ ما الذي ستفعله؟

### التمرين الرابع: الصحة

تذكر، في النهاية، جميع إخفاقاتنا الصحية. البقاء هو خرافة. نحن جميعاً لا بد أن يأتي يوم نعجز فيه عن البقاء. وما يمكننا فعله هو تأجيل هذا اليوم بقدر المستطاع والعيش في هذه الأثناء.

فكروا في وضع صحي تخافون معه من تطور سيء.

1. دوّن أسوأ التطورات الممكنة. مثلاً: يجري جوش اختبار PSA ليجد أنه عالٍ بشكل استثنائي.
  2. دوّن أفضل الاحتمالات الممكنة. مثلاً: أن يجد بعد الاختبار عدم وجود السرطان، بل مجرد تضخم في البروستات، الأمر الذي يعتبر طبيعياً لمن هم في عمره.
  3. دوّن حالات مفاجئة مروعة. مثلاً: أن يكون لديه سرطان، وقد انتشر ليصيب العظام.
  4. دوّن حالة من الأمنيات. مثلاً: أن يكون ارتفاع PSA شاذاً، ليظهر أنه طبيعي في اختبارات لاحقة.
- حالما تمتلك هذه الروايات، لاحق كل مسلك. ما الذي يحدث مع الاحتمال الأسوأ؟ وما الخطط التي أعدتها للتعامل مع هذه السيناريوهات؟ ما الذي يحدث مع الاحتمال الأفضل؟ ما الذي ستفعله؟

### التمرين الخامس: لعبة «ماذا لو»

هذا التمرين هو عمل يهدف لإيجاد خطة عمل ناجحة، إن كان هناك حدث مفاجئ ذو أثر على الحياة. سجلوا أسوأ ثلاث سيناريوهات، وخطة عمل لما يمكن فعله في حال وقوعها. ماذا لو خسرت عملك، أو رفيق حياتك، أو منزلك؟ من شأن هذا أن يؤدي لتطورات مروعة، ولكنها أشباح من شأنها ترويع البالغين في خضم لياليهم على أية حال، وبالتالي من الضروري تسجيل هذه التخيلات المروعة؛ بدلاً من القول «هذا لن يحدث لي أبداً»، تخيل أن هذا سيحدث وما الذي ستفعله حينها.

بالنسبة لأولئك الذين لديهم أهداف وعزم على المضي لتحقيقها، سجلوا ثلاثة منها. وتخيلوا أن طارئاً حدث جعل من كل من هذه الأهداف غير قابل للتحقيق. ضعوا خطة عمل إيجابية لكل من هذه الحالات إن لم تضي الأمور وفقاً لما هو مخطط.

عندما نقوم بذلك، عندما نستعد لمخاوفنا وآمالنا مسبقاً، يمكننا أن نطور أحد أهم الخصائص اللازمة لنا في هذا العالم: الشجاعة. الشجاعة لعيش الحياة على أكمل وجه ممكن، مع المعرفة أن هناك أموراً ستحدث خارج نطاق قدرتنا وسيطرتنا.

## كيف يمكن الفشل بامتياز:

### أن تعيش يعني أن تفشل

- لا تسلم بالخرافة القائلة بأنه لزاماً علينا أن «ننجح».
- طف بعقلك إلى آماذ بعيدة، وعد إلى لحظتك الراهنة. أنت تحيا بأعجوبة، وأنت نفسك أعجوبة. ليعم الفرح في أوصالك فقط بسبب وجودك. إنه هبة عظيمة.
- العب مع أطفالك. تمتع في الوقت الذي لا يتوجب عليك الذهاب فيه إلى مكان آخر، كالذهاب إلى صف أو درس أو مسابقة ما. ارسم ولون أو اطحخ أو اروي طرفات، ولا بأس من تقريع البعض.
- امض وقتاً مع أصدقائك.
- أكتب الملاحظات لأولادك أو زوجك مرة واحدة في الأسبوع: أخبرهم ما الذي تثمنه لديهم، وما الذي أنت ممتن لهم به في حياتك.
- تطوع. ساعد هؤلاء الذين يعانون أينما صادفتهم. أعطي من وقتك، ولكن الأهم أن تعطي من قلبك. فهذا أعظم عمل إنساني يمكن أن تقوم به.
- إذا وجدت نفسك في جو عمل قاتل للروح، أي عمل محكوم بتنافس جنوني، عليك بإنقاذ حياتك من لعبة الفشل والنجاح المادي. ابحث عن أعمال أخرى تناسبك على نحو أكثر. وحتى عندما لا يكون التغيير ممكناً في الوقت الراهن، اعتبر نفسك في سياق عملية تغيير، تسعى نحو شيء جديد في طور التشكل. فأنت كائن متطور.
- قم بكل ما سبق وحرر نفسك من عبء تطلعاتك وتطلعات الآخرين حول ما يجب عليك أن تكون. فاللحظة الراهنة ليست نهائية. إنها ومضة عابرة. إن كان لديك أطفال في بيئة مدرسية تنافسية، أظهر لهم أنك تحبهم لذاتهم لا وفقاً لما يحققونه من درجات وجوائز.
- تذكر، بالنسبة لإخفاقات الدرجة الثانية والثالثة، أنه يمكننا أن نغير الطريقة التي ننظر فيها للفشل. وعندما تحدث إخفاقات الدرجة الأولى، تذكر أن حياتنا وهذا الكون الذي نعيش فيه مليان بما لا يمكن

تجنبه من أحداث؛ إن نصيرنا الأعظم تجاه أحداث كهذه، هو الشجاعة والوعي أننا مشمولون بهذه الحقيقة مع كل إنسان آخر على هذا الكوكب.

## شكر وعرفان

---

بودنا أن نوسع شكرنا لهؤلاء الموجودين في أستراليا والولايات المتحدة الذين شاركوا بنا بسخاء بتجارهم الشخصية وقصصهم عن «الوقائع المفاجئة». والشكر للفريق الجاد في فاميليو، كاترين هيل وبروك جوردن وديفيد ميليس وايريك ريغز وكريستوفر روبنس، على دعمكم ولجعلكم العالم مكاناً أفضل، بإضافة كتاب في الوقت المناسب.

## حول المؤلفين

---

شيلي دافيدوف، مؤلفة معروفة دوليًا لثلاثة وأربعين كتابًا. من عناوينها الواقعية الحديثة: «همسات في الدم» (مطبعة جامعة كوينزلاند، أستراليا، عام 2016)، «اللعب بالكلمات» (بالكريف ماكميلان، المملكة المتحدة، 2016) حيث تم تأليفه بالاشتراك مع بول ويليامز، و«تربية الأطفال المثيرين للتوتر» (فاميليوس، الولايات المتحدة الأمريكية، 2015). وهي تحاضر في أقسام «التربية» و«الكتابة الإبداعية» في جامعة سن شاين كوست في أستراليا.

ولمزيد من المعلومات يمكن زيارة الموقع: [WWW.Shelleydavidow.com](http://WWW.Shelleydavidow.com)

بول ويليامز، PhD، مؤلف حائز على جوائز، له عدد من الكتب من ضمنها مذكرات «الجندي الزرق» (كتب جنوب إفريقيا، جنوب إفريقيا، 2008). يعيش في أستراليا ويقوم بتنسيق برنامج الكتابة الإبداعية في جامعة سن شاين كوست. كتابه الأخير هو «اللعب بالكلمات» (بالغريف ماكميلان، المملكة المتحدة 2016) الذي تم تأليفه بالاشتراك مع شيلي دافيدوف. يمكن زيارة موقعه على الشبكة لمعرفة المزيد: [www.paul-a-williams.com](http://www.paul-a-williams.com)

حول فاميليوس

زر موقعنا: [www.FAMILIUS.COM](http://www.FAMILIUS.COM)

## هوامش الكتاب

---

### الفصل الأول

Notes 1. Breuning, Loretta Graziano. Habits of a Happy Brain: Retrain Your Brain to Boost Your Serotonin, Dopamine, Oxytocin & Endorphin Levels. Avon, MA: Adams Media, 2016. 12

2. Ibid., 16.

3. Ibid., 30.

4. Robertson, Ian H. The Winner Effect: The Neuroscience of Success and Failure. New York: Thomas Dunne Books, 2012. 3–20.

5. Sapolsky, Robert M. Why Zebras Don't Get Ulcers: An Updated Guide to Stress, Stress-Related Diseases, and Coping, 2nd Edition. New York: W. H. Freeman and Co., 1998. 7.

6. Sapolsky, Robert. "Sick of Poverty." Scientific American 293, no. 6 (2005): 92–99.

7. Masunaga, Samantha, and Jim Puzanghera. "SpaceX explosion frustrates both Elon Musk's and Mark Zuckerberg's plans." Los Angeles Times, September 1, 2016. <http://www.latimes.com/business/la-fi-space-x-explosion-20160901-snap-story.html>.

8. Marge Denver. Interview with authors. 2017. Name changed for privacy.

### Suggested Reading

DeBord, Matthew. "Elon Musk is setting himself up for an epic failure." Business Insider Australia, May 9, 2016. Accessed August 4, 2016. <http://www.businessinsider.com.au/musk-epic-failure-2016-5?r=US&IR=T>.

## الفصل الثاني

1. Air Crash Investigations. National Geographic, September, 3, 2003. Television series. Accessed March 11, 2017. <http://www.nationalgeographic.com.au/tv/air-crash-investigation/>.

2. Bassett, Vicki. "Causes and Effects of the Rapid Sinking of the Titanic." Undergraduate Engineering Review, December 2, 1998. Accessed February 22nd, 2017. <http://writing.engr.psu.edu/uer/bassett.html>.

3. Ibid.

4. Lawless, Jill. "Giant helium-filled airship Airlander takes off for first time." Phys.org, August 17, 2016. Accessed February 22, 2017. <https://phys.org/news/2016-08-giant-helium-filled-airshipairlander.html>. 5. Howell, Elizabeth. "Challenger: Shuttle Disaster That Changed NASA." Space.com, October 16, 2012. Accessed August 8, 2016. <http://www.space.com/18084-space-shuttle-challenger.html>.

6. Ibid.

7. "What happened in Chernobyl?" Greenpeace International, March 20, 2006. Accessed August 15, 2016. <http://www.greenpeace.org/international/en/campaigns/nuclear/nomorechernobyls/what-happened-in-chernobyl/>.

8. Beale, Charlotte. "Has the Chernobyl disaster affected the number of nuclear plants built?" The Guardian, April 30, 2016. Accessed August 8,

2016. [https://www.theguardian.com/environment/2016/apr/30/has-  
chernobyl-disaster-affected-number-of-nuclear-plants-built](https://www.theguardian.com/environment/2016/apr/30/has-chernobyl-disaster-affected-number-of-nuclear-plants-built).

Commission Report.” National Commission on Terrorist 9/11“ .9  
Attacks upon the United States, July 22, 2004. Accessed August 2, 2016.  
.http://govinfo.library.unt.edu/911/report/index.htm

10. Fainaru, Steve, and James V. Grimaldi. “FBI Knew Terrorists Were  
Using Flight Schools.” Washington Post, September 23, 2001.  
[https://www.washingtonpost.com/ archive/politics/2001/09/23/fbi-knew-  
terrorists-were-usingflight-schools/377177b0-b632-429f-9a15-  
393c2256c2b4/?utm\\_term=.98275f2b7a8f](https://www.washingtonpost.com/archive/politics/2001/09/23/fbi-knew-terrorists-were-using-flight-schools/377177b0-b632-429f-9a15-393c2256c2b4/?utm_term=.98275f2b7a8f).

11. Pinker, Steven. *The Better Angels of Our Nature: Why Violence Has  
Declined*. New York: Viking, 2011.

12. Syed, Matthew. *Black Box Thinking: Why Most People Never  
Learn from Their Mistakes—But Some Do*. New York: Portfolio, 2015.

13. Gladwell, *Outliers*.

14. Personal interview with the authors, 2017. Name withheld for  
privacy.

### الفصل الثالث

Notes 1. Fuchs, Sir Vivian, and Sir Edmund Hillary. *The Crossing of  
Antarctica: The Commonwealth Trans-Antarctic Expedition 1955-1958*.  
London: Penguin, 1965.

2. Lovell, James A. “Houston, We’ve Had a Problem.” *Apollo  
Expeditions to the Moon*, edited by Edgar M. Cortrite, chapter 13.2.  
Accessed February 22, 2017. [https://history.nasa.gov/SP-350/ toc.html](https://history.nasa.gov/SP-350/toc.html).

3. *Ibid.*

4. *Ibid.*, ch. 13.1.

5. Ibid., ch. 13.4.

6. Ibid., ch. 13.1.

7. DeBord, Matthew. “Elon Musk is setting himself up for an epic failure.” Business Insider Australia, May 9, 2016. Accessed August 4, 2016. <http://www.businessinsider.com.au/musk-epic-failure-2016-5?r=US&IR=T>.

8. Ibid.

9. Ibid.

10. Pelley, Scott. “U. S., China, Russia, Elon Musk: Entrepreneur’s ‘insane’ vision becomes reality.” CBS News, May 22, 2012. <http://www.cbsnews.com/news/us-china-russia-elon-musk-entrepreneurs-insane-vision-becomes-reality/>.

11. The Discovery and Development of Penicillin 1928–1945. The American Chemical Society, 1999. Accessed August 18, 2016. <https://www.acs.org/content/dam/acsorg/education/whatischemistry/landmarks/flemingpenicillin/the-discovery-and-development-of-penicillin-commemorative-booklet.pdf>.

12. Jay, Emma. “Viagra and other drugs discovered by accident.” BBC News, January 20, 2010. Accessed September 26, 2016. <http://news.bbc.co.uk/2/hi/health/8466118.stm>.

13. “Patsy Sherman: Invention of Scotchgard Stain Repellent.” Women-inventors.com. Accessed October 10, 2016. <http://www.women-inventors.com/Patsy-Sherman.asp>.

### Suggested Reading

Breuning, Loretta Graziano. *Habits of a Happy Brain: Retrain Your Brain to Boost Your Serotonin, Dopamine, Oxytocin & Endorphin Levels*. Avon, MA: Adams Media, 2016. *Antimicrobial Resistance: Tackling a Crisis for the Health and Wealth of Nations*. The Review on Antimicrobial Resistance, December 2014. [https://amr-review.org/sites/default/files/AMR%20Review%20Paper%20-%20Tackling%20a%20crisis%20for%20the%20health%20and%20wealth%20of%20nations\\_1.pdf](https://amr-review.org/sites/default/files/AMR%20Review%20Paper%20-%20Tackling%20a%20crisis%20for%20the%20health%20and%20wealth%20of%20nations_1.pdf). Robertson, Ian

H. The Winner Effect: The Neuroscience of Success and Failure. New York: Thomas Dunne Books, 2012. Sapolsky, Robert M. Why Zebras Don't Get Ulcers: An Updated Guide to Stress, Stress-Related Diseases, and Coping, 2nd Edition. New York: W. H. Freeman and Co., 1998.

## الفصل الرابع

1. Kohn, Alfie. "The Failure of Failure." Huffington Post, June 23, 2016. Accessed February 26, 2017. [http://www.huffingtonpost.com/alfiekohn/the-failure-of-failure\\_b\\_10635942.html](http://www.huffingtonpost.com/alfiekohn/the-failure-of-failure_b_10635942.html).
2. Buettner, Dan. The Blue Zone: Lessons for Living Longer from the People Who've Lived the Longest. Washington, DC: National Geographic, 2008.
3. Poulain, Michel, Gianni Pes, and Luisa Salaris. "A Population Where Men Live as Long as Women: Villagrande Strisaili, Sardinia." Journal of Aging Research (2011): 153756. <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC3205712/>.
4. Strauss, Valerie. "The real problem with multiple-choice tests." Washington Post, January 25, 2013. [https://www.washingtonpost.com/news/answer-sheet/wp/2013/01/25/the-real-problem-with-multiple-choice-tests/?utm\\_term=.5f2df75fb240](https://www.washingtonpost.com/news/answer-sheet/wp/2013/01/25/the-real-problem-with-multiple-choice-tests/?utm_term=.5f2df75fb240).
5. Nelson, Sharleen. "New Hampshire Schools Roll Out Competency Based Learning Model." The Journal, January 23, 2013. Accessed February 26, 2017. <https://thejournal.com/articles/2013/01/23/newhampshire-schools-roll-out-competency-based-learning-model.aspx>.
6. Sturgis, Chris. "Raising the Bar at Sanborn Regional High School." Competency Works, March 19, 2014. Accessed February 25, 2017. <http://www.competencyworks.org/understanding-competency-education/6269/>.

7. Noe-Payne, Mallory. “No grades, no problem: How one high school is transforming learning.” WGBH News, June 18, 2015. Accessed March 14, 2017. <http://www.pri.org/stories/2015-06-18/no-gradesno-problem-how-one-high-school-transforming-learning>.

8. Kohn, Alfie. “The Case Against Grades.” Educational Leadership, November 2011. Accessed March 14, 2017. <http://www.alfiekohn.org/article/case-grades/>.

9. Masters, Geoff. “Rethinking how we assess learning in schools.” The Conversation, February 6, 2017. Accessed March 14, 2017. <http://www.theconversation.com/rethinking-how-we-assess-learning-in-schools-71219>

10. Stanley, Thomas J. The Millionaire Mind. Kansas City: Andrews McMeel Publishing, 2001.

11. Johnson, Steve, and Matt Murray. “Valedictorians Stay Levelheaded about Being No. 1.” Chicago Tribune, May 29, 1992. Accessed March 14, 2017. [http://articles.chicagotribune.com/1992-05-29/news/9202170890\\_1\\_salutatorians-valedictorians-study](http://articles.chicagotribune.com/1992-05-29/news/9202170890_1_salutatorians-valedictorians-study).

12. Kahneman, Daniel. Thinking, Fast and Slow. New York: Farrar, Straus and Giroux, 2013.

13. Janice Bridges. Interview with the authors, December 2016. Name changed for privacy.

14. Leo Goldberg. Interview with the authors, January 2017. Name changed for privacy.

15. Lara James. Interview with the authors, December 2016. Name changed for privacy.

## الفصل الخامس

Zusak, Marcus. "The Failurist: Markus Zusak." TED Talk, Sydney, .1 April 26, 2014. Accessed February 26, 2017. <https://tedxsydney.com/talk/the-failurist-markus-zusak/>. 2. Rowling, J. K. "Text of J. K. Rowling's Speech: The Fringe Benefits of Failure, and the Importance of Imagination." Harvard Gazette, June 5, 2008. Accessed August 22, 2016. <http://news.harvard.edu/gazette/story/2008/06/text-of-j-k-rowling-speech/>. 3. Branson, Richard. "Turning failure into success." Virgin, January 5, 2017. Accessed August 22, 2016. <https://www.virgin.com/richard-branson/turning-failure-into-success>. 4. Shah, Vishrut. "Elon Musk and the art of failing successfully." YourStory.com, June 28, 2016. Accessed August 22, 2016. <https://yourstory.com/2016/06/elon-musk-failure/>. 5. D'Onfro, Jillian. "16 Genius Quotes from Eccentric Billionaire Elon Musk." Business Insider Australia, November 5, 2013. Accessed February 26, 2017. <http://www.businessinsider.com.au/best-elonmusk-quotes-tesla-2013-11?-r=US&IR=T#on>

government-licensing-we-have-essentially-no-patents-in-spacexour-primary-long-term-competition-is-in-china-if-we-publishedpatents-it-would-be-farcical-because-the-chinese-would-just-use-them-as-a-recipe-book-8

.Gladwell, Outliers .6

Forbes' Billionaire List: JK Rowling Drops from Billionaire to " .7 Millionaire Due to Charitable Giving." Huffington Post, March 15, 2012. [http://www.huffingtonpost.com/2016/12/13/forbes-billionaire-list-rowling\\_n\\_1347176.html](http://www.huffingtonpost.com/2016/12/13/forbes-billionaire-list-rowling_n_1347176.html)

Perhaps still mindful of her humble beginnings, J. K. Rowling has .8 gifted so much of her money away through her charitable organization and work with women in need that she has fallen off the Forbes billionaire list, .lost her billionaire status, and means to keep on giving to those in poverty

Furr, Nathan. "How Failure Taught Edison to Repeatedly Innovate." .9 Forbes, June 9, 2011. Accessed February 26, 2017. <https://www.forbes.com/sites/nathanfurr/2011/06/09/how-failure-taught-edison-to-repeatedly-innovate/#598cab4d65e9>

The History behind the World’s Most Popular Line and Wrinkle“ .10  
Injectable.” The Harley Medical Group, September 24, 2013. Accessed  
March 14, 2017. [https://www.harleymedical.co.uk/news/  
the-history-  
behind-the-worlds-most-popular-line-and-  
.wrinkleinjectable#sthash.vywiLFho.dpuf](https://www.harleymedical.co.uk/news/the-history-behind-the-worlds-most-popular-line-and-wrinkleinjectable#sthash.vywiLFho.dpuf)

Dean, Michael. “An Extraordinarily Marketable Man: The Ongoing .11  
Struggle for Ownership of Superman and Superboy.” The Comics Journal,  
.October 14, 2004. 263. Archived from the original on September 19, 2008

Andrae, Thomas, and Mel Gordon. Siegel and Shuster’s Funnyman: .12  
The First Jewish Superhero, from the Creators of Superman. Port  
.Townsend, WA: Feral House, 2010

## الفصل السادس

Davidson, Jacob. “Yes, Oxfam, the Richest 1% Have Most of the .1  
Wealth. But That Means Less Than You Think.” Time, January 21, 2015.  
Accessed March 14, 2017. [http://time.com/money/3675142/  
oxfam-richest-  
.1-wealth-flawed](http://time.com/money/3675142/oxfam-richest-1-wealth-flawed)

Nicole Foreman. Interview with authors, 2017. Name changed for .2  
.privacy

Davidow, Shelley. Whisperings in the Blood. Brisbane, Australia: .3  
.University of Queensland Press, 2016

.Personal correspondence. Shelley Davidow. February 2017 .4

Kahneman, Daniel, and Angus Deaton. “High income improves .5  
evaluation of life but not emotional well-being.” Proceedings of the  
.National Academy of Sciences 107, no. 38 (2010): 16489–93. 6. Ibid

Elias, Ric. “3 things I learned while my plane crashed.” Ted Talk, .7  
2011. Accessed October 18, 2016. [https://www.ted.com/talks/  
.ric\\_eli](https://www.ted.com/talks/ric_elias/transcript?language=en)

.Ibid .8

Pastiloff, Jennifer. "Dying to Be Me. The Manifestation Q&A Series: .9 Anita Moorjani." The Manifestation Station, February 6, 2012. Accessed March 3, 2017. <http://themanifeststation.net/2012/02/06/dying-to-be-me-the-manifestation-qa-series-anita-moorjani>

.Ibid .10

Life Lessons from Anita Moorjani's Amazing Near Death Experience." Conscious Life News, January 22, 2015. Accessed October 18, 2016. <http://consciouslifeneeds.com/life-lessons-anita-moorjanis-death-experience-video/1135078>

.Ibid .12

.Ibid .13

.Ibid .14

Suggested Reading Moorjani, Anita. Dying to Be Me: My Journey from Cancer, to Near Death, to True Healing. London: Hay House, 2014

## الفصل السابع

1. Fenig, Ethel. "President Barack Obama built that." American Thinker, November 7, 2013. [http://www.americanthinker.com/blog/2013/11/president\\_barack\\_obama\\_built\\_that.html](http://www.americanthinker.com/blog/2013/11/president_barack_obama_built_that.html).

2. "The History of Room 404." Room404.com, 1999. Accessed October 19, 2016. <http://www.room404.com/page.php?pg=homepage>.

3. "Online Etymology Dictionary." Etymonline.com, 2001. Accessed October 20, 2016. [http://www.etymonline.com/index.php?term=fail&allowed\\_in\\_frame=0](http://www.etymonline.com/index.php?term=fail&allowed_in_frame=0).

4. Syed, Black Box Thinking, 69.

5. Ibid., 113.

6. Chengappa, Raj. "Killer exams: How to revamp the system." India Today, March 28, 2005. Accessed March 5, 2017. <http://indiatoday.intoday.in/story/growing-number-of-studentscommitssuicide-over-exams/1/194023.html>.

7. "Explaining the Rise in Youth Suicide." The Anika Foundation, 2014. [http://www.anikafoundation.com/rise\\_in\\_suicide.shtml](http://www.anikafoundation.com/rise_in_suicide.shtml).

8. "Suicide by children and young people in England." National Confidential Inquiry into Suicide and Homicide by People with Mental Illness (NCISH). Manchester, UK: University of Manchester Press, 2016. 3. [http://research.bmh.manchester.ac.uk/cmhs/research/centreforsuicideprevention/nci/reports/cyp\\_report.pdf](http://research.bmh.manchester.ac.uk/cmhs/research/centreforsuicideprevention/nci/reports/cyp_report.pdf).

9. DiSalvo, David. "How Language Shapes Our World." Neuronarrative, April 7, 2009. Accessed March 5, 2017. <https://neuronarrative.wordpress.com/2009/04/07/how-languageshapes-our-world/>.

10. Ibid.

11. Marano, Hara Estroff. "Our Brain's Negative Bias." Psychology Today, June 20, 2003. Accessed March 5, 2017. <https://www.psychologytoday.com/articles/200306/our-brains-negative-bias>.

12. Peter Croft. Interview with the authors, December 2016. Name changed for privacy.

## الفصل الثامن

1. Mehl-Madrona, Lewis. Healing the Mind through the Power of Story: The Promise of Narrative Psychiatry. Rochester, VT: Bear & Company, 2010. 2.

2. Ibid., 8.

3. Back to The Future. Directed by Robert Zemeckis. Universal City, CA: Universal Pictures, 1985.
4. Elsaesser, Thomas, and Warren Buckland. Studying Contemporary American Film: A Guide to Movie Analysis. London: Bloomsbury Academic, 2002. 234.
5. Campbell, Joseph. The Hero with a Thousand Faces. Novato, CA: New World Library, 2008.
6. "Hero's Journey." Wikipedia. Accessed January 23, 2017. [https://en.wikipedia.org/wiki/Hero's\\_journey](https://en.wikipedia.org/wiki/Hero's_journey).
7. Bishop, Elizabeth. "One Art." In The Complete Poems: 1927–1979. New York: Farrar, Straus and Giroux, 1983.
8. Gerry and Martha Hutchinson. Interview with the authors, 2016. Names changed for privacy.
9. Lost in Space. Century City, CA: CBS, 1967.
10. Hutchinson, interview.
11. Kundera, Milan. The Unbearable Lightness of Being. New York: Harper Perennial Modern Classics, 2005.
12. Pretty Woman. Directed by Garry Marshall. Los Angeles: Touchstone Pictures and Silver Screen Partners IV, 1990.
13. Miller, Arthur. Death of a Salesman. New York: Morosco Theater, 1949.
14. De Maupassant, Guy. "The Necklace." Le Galois, February 17, 1884.
15. Williams, Paul. "Application for Position of Failure." 2017. Unpublished.

1. Harry and June Webster. Interview with the authors, 2016. Names changed for privacy.
2. Conlon, Michael. "Writer Cormac McCarthy confides in Oprah Winfrey." Reuters Entertainment, June 5, 2007. Accessed March 6, 2017. <http://www.reuters.com/article/2007/06/05/us-mccarthy-idUSN0526436120070605>.
3. Konstan, David. "Epicurus." Stanford Encyclopedia of Philosophy, Fall 2016 edition. Edited by Edward N. Zalta. Accessed March 6, 2017. <https://plato.stanford.edu/entries/epicurus>.
4. Seneca. "On Peace of Mind." *The Stoics Reader: Selected Writings and Testimonia*. Translated by Brad Inwood and Lloyd P. Gerson. Cambridge, MA: Hackett Publishing Company, 2008.
5. AFP. "'Miracle baby' survives 11-story fall from apartment window in Minnesota," *The Telegraph*, May 15, 2014. Accessed March 7, 2017. <http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/northamerica/usa/10832517/Miracle-baby-survives-11-story-fall-from-apartment-window-in-Minnesota.html>.
6. Shum, David. "Boy, 12, survives fall from 6th floor apartment balcony in North York." *Global News*, January 12, 2017. Accessed March 7, 2017. <http://globalnews.ca/news/3176549/child-injuredafter-falling-from-apartment-balcony-in-north-toronto/>.
7. Bradatan, Costica. "In Praise of Failure." *New York Times*, December 15, 2013. [https://opinionator.blogs.nytimes.com/2013/12/15/in-praise-of-failure/?\\_r=0](https://opinionator.blogs.nytimes.com/2013/12/15/in-praise-of-failure/?_r=0).
8. Horigan, Paul Gerald. "Sartre's Atheistic Existentialism." *God's Existence and Other Philosophical Essays*. Bloomington, IN: iUniverse, 2007. [http://www.academia.edu/9966165/Sartres\\_Atheistic\\_Existentialism](http://www.academia.edu/9966165/Sartres_Atheistic_Existentialism).
9. Solomon, Robert. *From Rationalism to Existentialism: The Existentialists and Their Nineteenth-Century Backgrounds*. Lanham, MD: Rowman & Littlefield Publishers, 2001. 279.
10. Camus, Albert. *The Myth of Sisyphus*. Translated by Justin O'Brien. London: Hamish Hamilton Limited, 1955.

11. Peale, Norman Vincent. *The Power of Positive Thinking*. New York: Touchstone, 2003. 156 | PHILOSOPHIES OF FAILURE

12. Martin, Andy. "Against happiness: Why we need a philosophy of failure." *Prospect magazine*, August 1, 2014. Accessed March 6, 2017. <http://www.prospectmagazine.co.uk/arts-and-books/against-happiness-why-we-need-a-philosophy-of-failure>.

13. Pirsig, Robert M. *Zen and the Art of Motorcycle Maintenance: An Inquiry into Values*. New York: Vintage, 2004. 286–287.

14. Seligman, Martin E. P. "Learned Helplessness." *Annual Review of Medicine* 23, no. 1 (1972): 407–12. Accessed March 6, 2017. <http://www.annualreviews.org/doi/abs/10.1146/annurev.me.23.020172.002203>.

15. Bradatan, "In Praise of Failure.

## الفصل العاشر

1. Michelle Gerard. Interview with the authors, December 2016. Name changed for privacy.

2. Jules Berstein. Interview with the authors, January 2017. Name changed for privacy

3. Pretorius, Peter, and Shelley Davidow. "Wings to Fly: A paraplegic's tenacious journey to the skies." *Plane & Pilot*, June 25, 2013. Accessed March 8, 2017. <http://www.planeandpilotmag.com/article/wings-to-fly/#.WHhPXH1p9Va>.

4. June Wilson. Interview with the authors, January 2017. Name changed for privacy.

5. Cohen, Elliot D. "Stop Playing the Blame Game: How Your Blame Claims May Be Impeding Happiness." *Psychology Today*, July 29, 2012.

[https://www.psychologytoday.com/blog/ what-would-aristotle-do/201207/stop-playing-the-blame-game](https://www.psychologytoday.com/blog/what-would-aristotle-do/201207/stop-playing-the-blame-game).

6. "Linda Biehl & Easy Nofemela (South Africa)." The Forgiveness Project, March 29, 2010. Accessed March 17, 2017.  
[http://theforgivenessproject.com/stories/ linda-biehl-easy-nofemela-south-africa/](http://theforgivenessproject.com/stories/linda-biehl-easy-nofemela-south-africa/).

7. Ibid.

8. Ibid.